الكتاب: كتاب الفتوح
المؤلف: أحمد بن أعثم الكوفي
الجزء: ٥
الوفاة: ٣١٤
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق: علي شيري (ماجستر في التاريخ الإسلامي)
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤١١
المطبعة: دار الأضواء
الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع
ردمك:
ملاحظات: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ص ب ٤٠ / ٢٥ غبيري - أو ٦٦٤١ / ١١٣ الحمرا . / تلكس ٢٣٧١٧ بيدر أو ٢٣٤٠٧ هادي - بيروت - لبنان

كتاب الفتوح

(١)

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١١ ه - ١٩٩١ م
دار الأضواء
للطباعة والنشر والتوزيع
ص ب ٤٠ / ٢٥ غبيري - أو ٦٦٤١ / ١١٣ الحمراء.
تلكس ٢٣٧١٧ بيدر أو ٢٣٤٠٧ هادي - بيروت - لبنان

كتاب الفتوح
للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي
(المتوفي نحو سنة ٣١٤ ه ٩٢٦ ه)
تحقيق
علي شيري
ماجستير في التاريخ الإسلامي
الجزء الخامس
دار الأضواء

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
قال: ثم نزل الضحاك عن المنبر وكتب إلى يزيد بن معاوية هذا:
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي لبس رداء البقاء، وحكم على عباده بالفناء، فقال عز وجل * (كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) * (١).
لعبد الله يزيد أمير المؤمنين، من الضحاك بن قيس، سلام عليك، أما بعد فكتابي إلى أمير المؤمنين فكتاب تهنئة ومصيبة، فأما الخلافة التي جاءتك فهي التهنئة، وأما المصيبة فموت أمير المؤمنين معاوية (٢)، إنا لله وإنا إليه راجعون، فإذا قرأت كتابي فالعجل العجل! لتأخذ الناس ببيعة أخرى محدودة، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. قال ثم أثبت في أسفل كتابه هذين البيتين:
مضى ابن أبي سفيان فردا لشأنه * وخلفت فانظر هذه كيف تصنع
أقمنا على المنهاج واركب محجة * سدادا فأنت المرتجى كيف تفزع
قال: ثم ورد الكتاب على يزيد (٣)، فوثب صائحا، باكيا، وأمر بإسراج دوابه وسار يريد دمشق، فصار إليها بعد ثلاثة أيام من مدفن معاوية (٤)، وخرج حتى إذا

---

(١) سورة الرحمن الآية ٢٦ و ٢٧.
(٢) وردت معاوية في الأصل مرتين مكررا.
(٣) وكان يزيد بحوارين، موضع من تدمر على مرحلتين. وقيل إنهم كتبوا إليه بعد أن اشتد مرض معاوية، فأقبل وقد دفن (الطبري).
(٤) في البداية والنهاية: ركب الضحاك بن قيس في جيش وخرج ليتلقى يزيد بن معاوية، فلما وصلوا إلى ثنية العقاب تلقتهم أثقال يزيد، وإذا يزيد... وعليه الحزن ظاهر، فسلم عليه الناس بالإمارة وعزوه في أبيه.

وافى يزيد قريبا من دمشق فجعل الناس يتلقونه فيبكون ويبكي. وأيمن بن خريم الأسدي بين يدي يزيد وهو يقول (١):

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا (٢)
فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا
فإنك لو سمعت بكاء هند * ورملة إذ يلطمن (٣) الخدودا
بكيت بكاء موجعة بحزن * أصاب الدهر واحدها الفريدا
(٤) فصبرا يا بني حرب تعزوا * فمن هذا الذي يرجو الخلودا
فقد وارث قبوركم ثناء * وحزما لا كفاء له وجودا (٥)
تلقاها يزيد عن أبيه
فدونكها معاوي عن يزيدا
أديروها بني حرب عليكم * ولا ترموا بها الغرض البعيدا
فإن دنياكم بكم اطمأنت * فأولوا أهلها خلقا سديدا
وإن عصفت عليكم فاعصفوها * عصافا تستقيم لكم شديدا (٦)

قال: وسار يزيد ومعه جماعة إلى قبر معاوية فجلس وانتحب ساعة وبكى، وبكى الناس معه، ثم قام عن القبر وأنشأ يقول (٧):

جاء البريد بقرطاس يحث (٨) به * فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا في كتابكم (٩) * قال الخليفة أمسى مدنفا وجعا

بعض الأبيات في ذيل أمالي القالي ونسبت للكميت الأسدي باختلاف في بعض الألفاظ. ٣ / ١١٥.

(٢) بالأصل بمقدار صمدت له صمودا وما أثبت عن أمالي القالي.

(٣) في الأمالي: إذ تصكان. وهما بمعنى.

(٤) من هنا الأبيات في طبقات فحول الشعراء ص ٥٢٢. ونسبت فيه إلى عبد الله بن همام السلولي. باختلاف في الألفاظ.

(٥) البيت في الطبقات:
لقد وارى قليبكم بيانا * وحلما لا كفاء له وجودا

(٦) البيت في الطبقات:
وإن ضجرت عليكم فاعصبوها * عصابا تستدر به شديدا

(٧) الأبيات في الطبري ٥ / ٣٢٨ ابن الأثير ٢ / ٥٢٦ البداية ٨ / ١٥٣ العقد الفريد ٤ / ٣٤٩ الأغاني ١٦ / ٣٣ (ساسي) والمعمرون ص ١٥٧ باختلاف بعض الألفاظ.

(٨) يخب به في المصادر.

(٩) في البداية والنهاية: صحيفتكم.

مادت بنا الأرض أو كادت تميد بنا * كأنما العز من أركانها انقطعا (١)
إنا نسير على جرد مسومة * يغشى العجاج بنا والنجم ما طلعا (٢)
لسنا نبالي إذا بلغن أرحلنا * ها مات منهن بالبيداء أو ظلعا
حتى دفنا لخير الناس كلهم * وخيرهم منتمي جدا ومضطجعا
أعز أبلج يستقى الغمام به * لو صارع الناس عن أحلامهم صرعا (٣)
من لا تزال له نفس على شرف * وشد مقدار تلك النفس أن تقعا
لما انتهينا وباب الدار منصفق * وصوت رملة راع (٤) القلب فانصدعا (٥)
أودى ابن هند فأودى المجد يتبعه * كانا يكونان دهرا قاطعين معا (٦)

قال: ثم ركب يزيد وسار إلى قبة لأبيه خضراء فدخلها وهو معتم بعمامة خز سوداء متقلدا بسيف أبيه معاوية حتى وصل إلى باب الدار، ثم جعل يسير والناس عن يمينه وشماله قد نزلوا عن دوابهم، وقد ضربت له القباب والقساطيط المدنجة، حتى صار إلى القبة الخضراء، فلما دخلها نظر فإذا قد نصبت له فيها فرش كثيرة بعضها على بعض ويزيد يحتاج أن يرقى عليها بالكراسي. قال: فصعد حتى جلس على تلك الفرش، والناس يدخلون عليه يهنئونه بالخلافة ويعزونه في أبيه، وجعل يزيد يقول: نحن أهل الحق وأنصار الدين، وأبشروا يا أهل الشام! فإن الخير لم يزل فيكم، وسيكون بيني وبين أهل العراق حرب شديد، وقد رأيت في منامي كأن نهرا يجري بيني وبينهم دما عبيطا وجعلت أجهد في منامي أن أجوز ذلك النهر، فلم أقدر على ذلك حتى جاءني عبيد الله بن زياد، فجازه بين يدي وأنا أنظر إليه. قال: فأجابه أهل الشام وقالوا: يا أمير المؤمنين! امض بنا حيث شئت واقدم بنا على من

---

(١) البداية والنهاية: انقلعا.
(٢) بعده في العقد وابن الأثير والبداية والنهاية:
ثم انبعثنا إلى خوص مزممة * فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
(٣) في البداية والنهاية: " لو قارع.. قرعا ".
(٤) عن ابن الأثير، وبالأصل: رفع.
(٥) بعده في ابن الأثير:
ثم ارعوى القلب شيئا بعد طيرته * والنفس تعلم أن قد أثبتت جزعا
(٦) بعده في البداية والنهاية:
لا يرفع الناس ما أوهى وأن جهدوا * أن يرقعوه ولا يوهون ما رقعا

أحببت فنحن بين يديك، وسيوفنا تعرفها أهل العراق في يوم صفين. فقال لهم يزيد: أنتم لعمري كذلك، وقد كان أمير المؤمنين معاوية لكم كالأب البار بالولد، وكان من العرب أمجدها وأحمدها وأهمدها وأعظمها خطرا وأرفعها ذكرا وأنداها أنامل
وأوسعها فواضل وأسماها إلى الفرع الباسق، لا يعتريه الفهاهة في بلاغته ولا تدخله اللكنة (١) في منطقه حتى إذا انقطع من الدنيا أثره وصار إلى رحمة الله تعالى ورضوانه. قال: فصاح به صائح من أقاصي الناس وقال (٢): كذبت والله يا عدو الله! ما كان معاوية والله بهذه الصفة، وإنما كانت هذه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه
أخلاقه وأخلاق أهل بيته لا معاوية ولا أنت. قال: فاضطرب الناس، وطلب الرجل فلم يقدروا عليه، وسكت الناس (٣). وقال إلى يزيد رجل من شيعته يقال له عطاء (٤) بن أبي صيفي فقال: يا أمير المؤمنين! لا تلتفت إلى مقالة الأعداء وقد أعطيت خلافة الله من بعد أبيك فأنت خليفتنا، وابنك معاوية ولي العهد بعدك لا نريد به بدلا ولا نبغي عنه حولا والسلام. قال: ثم أنشأ يقول:

يزيد بن أبي سفيان هل لكم * إلى ثناء وود غير منصرم
إنا نقول ويقضي (الله) معتذرا * مهما يشار بنا من صالح ندم
فأفتديها بلكم خدها يزيد * وقال خذها بلا نكس ولا برم
ولا تمهدها في دار غيركم * إني أخاف عليكم حسرة الندم
إن الخلافة لم تعرف لناكثكم * بينا دعائهما فيكم ولم ترم
ولا يزال وفود في دياركم * يغشون أبلج سباقا إلى الكرم

قال: فأمر له يزيد بجائزة حسناء، ثم قام يزيد على قدميه.

بالأصل: النكبة، والسياق يقتضي ما أثبتناه.
(٢) بهامش الأصل المنسوخ: المتكلم من الملائكة المقربين بإذن الله تعالى.
(٣) في مروج الذهب ٣ / ٨٠ ثم نزل ودخل منزله، ثم أذن للناس، فدخلوا عليه لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه.
(٤) في مروج الذهب: " عاصم " وانظر فيه قوله أمام يزيد معزيا ومهنئا.
(٥) بالأصل: وأبيك معاوية ولي العهد قبلك.

ذكر كلام يزيد بن معاوية
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (١): أيها الناس! إن معاوية كان عبدا (٢) من عباد الله، أنعم الله عليه ثم قبضه إليه، وهو خير ممن كان بعده، ودون ممن كان قبله، ولا أزكيه على الله، هو أعلم به مني، فإن عفا عنه فبرحمته (٣)، وإن عاقبة فبذنبه، وقد وليت هذا الأمر من بعده، ولست أقصر عن طلب حق (٤) ولا أعذر من تفريط في باطل، فإذا أراد الله شيئا كان - والسلام -. قال: ثم جلس فصاح الناس من كل جانب: سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين. قال: ثم تقدم إليه رجل (٥) من وجوه أهل الشام حتى وقف بين يديه رافعا صوته وهو يقول:

اصبر يزيد فارقت ذا ثقة * واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا
لا رزء أعظم في الأقوام نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أعطيت طاعة أهل الأرض كلهم * فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف * أما هلكت ولا نسمع بمنعاكا

قال: وبايع الناس بأجمعهم يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده، وفتح يزيد بيوت الأموال فأخرج لأهل الشام أموالا جزيلة، ففرقها عليهم (٣)، ثم عزم على الكتب إلى جميع البلاد بأخذ البيعة له. قال: وكان على المدينة يومئذ مروان بن الحكم فعزله يزيد وولى مكانه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (٧) وكتب إليه.
ذكر الكتاب إلى أهل البيعة بأخذ البيعة
من عبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد فإن

---

(١) انظر خطبته في مروج الذهب ٣ / ٨٠ والعقد الفريد ٤ / ٣٥١.
(٢) المروج والعقد: حبلا من حبال الله.
(٣) المروج: إن يغفر الله له فهو أهله.
(٤) المروج والعقد: ولست أعتذر عن جهل، ولا أشتغل بطلب علم.
(٥) هو عبد الله بن همام السلولي كما في مروج الذهب ٣ / ٨٠ وانظر مقالته هناك. والأبيات أيضا وفي الكامل للمبرد باختلاف بعض الألفاظ.
(٦) العبارة في مروج الذهب: ثم قام الناس يهنئونه بالخلافة، فلما ارتفع عن مجلسه أمر لكل واحد منهم بمال على مقداره في نفسه، ومحله في قومه، وزاد في عطائهم ورفع مراتبهم.
(٧) في الطبري ٥ / ٣٣٨ ابن الأثير ٢ / ٥٢٩ ولي يزيد، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان. وفي الإمامة والسياسة ١ / ٢٢٥ خالد بن الحكم.

معاوية كان عبد الله (١) من عباده أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكن له ثم قبضه إلى روحه وريحانه ورحمته وغفرانه، عاش بقدر ومات بأجل، عاش برا تقيا وخرج من الدنيا رضيا زكيا، فنعم الخليفة كان ولا أزكيه على الله، هو أعلم به مني، وقد كان عهد إلى عهدا وجعلني له خليفة من بعده، وأوصاني أن أحدث آل أبي تراب بآل أبي سفيان لأنهم أنصار الحق وطلاب العدل، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة على أهل المدينة - والسلام - (٢) -.

قال: ثم كتب إليه في صحيفة صغيرة كأنها أذن فأرة: أما بعد فخذ الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر (٣) وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب أخذا عنيفا ليست فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه.

قال: فلما ورد كتاب يزيد على الوليد بن عتبة (٤) وقرأه قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا ويح الوليد بن عتبة من أدخله في هذه الإمارة، ما لي وللحسين ابن فاطمة! قال: ثم بعث إلى مروان بن الحكم (٥) فأراه الكتاب فقرأه واسترجع، ثم قال: يرحم الله أمير المؤمنين معاوية! فقال الوليد: أشر علي برأيك في هؤلاء القوم كيف ترى أن أصنع، فقال مروان: ابعث إليهم في هذه الساعة فتدعوهم إلى البيعة والدخول في طاعة يزيد (٦)، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وأن أبوا قدمهم واضرب أعناقهم قبل (٧) أن يدروا بموت بمعاوية فإنهم إن علموا ذلك وثب كل رجل منهم فأظهر

الخلاف ودعا إلى نفسه، فعند ذلك أخاف أن يأتيك من قبلهم ما لا قبل لك به وما لا يقوم له إلا عبد الله بن عمر، فإني لا أراه ينازع في هذا الأمر أحدا إلا أن تأتيه الخلافة فيأخذها عفوا، فذر عنك ابن عمر (٨) وابعث إلى الحسين بن علي وعبد الرحمن بن

---

(١) الطبري: عبدا من عباد الله.

(٢) الكتاب باختلاف في الطبري ٥ / ٣٣٨ والإمامة والسياسة (من تحقيقنا ١ / ٢٢٥).

(٣) مر أن عبد الرحمن بن أبي بكر كان قد توفي منذ زمن، ولم يرد ذكره في نص نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٣٣٨ وابن الأثير ٢ / ٥٢٩ والأخبار الطوال ص ٢٢٧.

(٤) بالأصل " عقبة " خطأ.

(٥) وكان مروان بن الحكم أميرا على المدينة قبل ولاية الوليد عليها، وكان ما بينهما متباعدا، حتى وصول كتاب يزيد.

(٦) في الإمامة والسياسة: فإنهم إن بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من أهل الإسلام

(٧) في الأخبار الطوال: قبل أن يعلن الخبر.

(٨) في الطبري: أما ابن عمر فإني لا أراه يرى القتال، ولا يحب أن يولى على الناس، إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفوا.

وفي الأخبار الطوال: أما عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر (كذا) فلا تخافن ناحيتهما. فليسا بطالبين شيئا من هذا الأمر.

أبي بكر (١) وعبد الله بن الزبير فادعهم إلى البيعة مع أني أعلم أن الحسين بن علي خاصة لا يجيبك إلى بيعة يزيد أبدا ولا يرى له عليه طاعة، ووالله إن لو كنت في موضعك لم أراجع الحسين بكلمة واحدة حتى أضرب رقبته كائنا في ذلك ما كان.
قال: فأطرق الوليد بن عتبة إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه وقال: يا ليت الوليد لم يولد ولم يكن شيئا مذكورا! قال: ثم دمعت عيناه فقال له عدو الله مروان: أوه أيها الأمير! لا تجزع مما قلت لك فإن آل أبي تراب هم الأعداء في قديم الدهر لم يزالوا، وهم الذين قتلوا الخليفة عثمان بن عفان، ثم ساروا إلى أمير المؤمنين فحاربوه، وبعد فإني لست آمن أيها الأمير! إنك إن لم تعاجل الحسين بن علي خاصة أن تسقط منزلتك عند أمير المؤمنين يزيد، فقال له الوليد بن عتبة: مهلا! ويحك يا مروان عن كلامك هذا! وأحسن القول في ابن فاطمة فإنه بقية ولد النبيين.
قال: ثم بعث الوليد بن عتبة إلى الحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر (٢) وعبد الله بن عمر (٣) وعبد الله بن الزبير فدعاهم، فأقبل إليهم الرسول، والرسول [عبد الله بن -] (٤) عمرو بن عثمان بن عفان لم يصب القوم في منازلهم، فمضى نحو المسجد فإذا القوم عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فسلم عليهم ثم قام وقال: أجيبوا الأمير! فقال الحسين: يفعل الله ذلك إذا نحن فرغنا عن مجلسنا هذا إن شاء الله (٥). قال: فانصرف الرسول إلى الوليد فأخبره بذلك.
وأقبل عبد الله بن الزبير على الحسين بن علي وقال: يا أبا عبد الله! إن هذه ساعة لم يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للناس، وإني قد أنكرت ذلك وبعثه في هذه الساعة إلينا ودعاءه إيانا لمثل هذا الوقت، أترى في أي طلبنا؟ فقال له الحسين: إذا

---

(١) كذا وقد أشرنا إلى وفاته قبل زمن.
(٢) كذا. وقد أشرنا إلى أنه قد مات قبل ذلك بزمن.
(٣) في الطبري وابن الأثير ذكر أنه أرسل فقط إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ولم يأتيا على ذكر عبد الله بن عمر.
(٤) زيادة عن الطبري وابن الأثير والأخبار الطوال والإمامة والسياسة.
زيد في الأخبار الطوال: وهو حينئذ غلام حين راهق.
(٥) في الأخبار الطوال: فقالا للغلام: انطلق، فإنا صائران إليه على إثرك.

أخبرك أبا بكر (١)! إني أظن بأن معاوية قد مات، وذلك أني رأيت البارحة في منامي كأن منبر معاوية منكوس، ورأيت داره تشتغل نارا، فأولت ذلك في نفسي أنه مات.
فقال له ابن الزبير: فاعلم يا بن علي أن ذلك كذلك، فما ترى أن تصنع إن دعيت إلى بيعة يزيد أبا عبد الله؟ قال: أصنع أني لا أبايع له أبدا، لأن الأمر إنما كان لي من بعد أخي الحسن، فصنع معاوية ما صنع وحلف لأخي الحسن أنه لا يجعل الخلافة لأحده من بعده من ولده وأن يردها إلي إن كنت حيا (٢)، فإن كان معاوية قد خرج من دنياه ولم يفئ لي ولا لأخي الحسن بما كان ضمن فقد والله أتانا ما لا قوام لنا به، انظر أبا بكر أنى أبايع ليزيد ويزيد رجل فاسق معلن الفسق يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والفهود ويبغض بقية آل الرسول! لا والله لا يكون ذلك أبدا.
قال فبينما هما كذلك في هذه المحاورة إذ رجع إليهما الرسول (٣) فقال: أبا عبد الله! إن الأمير قاعد لكما خاصة تقوما إليه! قال: فزبره الحسين بن علي ثم قال: انطلق إلى أمير لا أم لك! فمن أحب أن يصير إليه منا فإنه صائر إليه، وأما أنا فإني أصير إليه الساعة إن شاء الله تعالى.
قال: فرجع الرسول أيضا إلى الوليد بن عتبة فقال: أصلح الله الأمير! أما الحسين بن علي خاصة فقد أجاب وها هو صائر إليك في إثري، فقال مروان بن الحكم: غدر والله الحسين! فقال الوليد: مهلا! فليس مثل الحسين يغدر (٤) ولا يقول شيئا ثم لا يفعل.
قال: ثم أقبل الحسين على من بحضرته فقال: قوموا إلى منازلكم فإني صائر إلى هذا الرجل فأنظر ما عنده وما يريد. فقال له ابن الزبير: جعلت فداك يا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! إني خائف عليك أن يحبسوك عندهم فلا يفارقونك أبدا دون أن تبايع
أو تقتل. فقال الحسين: إني لست أدخل عليه وحدي، ولكن أجمع أصحابي إلي وخدمي وأنصاري وأهل الحق من شيعتي، ثم آمرهم أن يأخذ كل واحد سيفه مسلولا تحت ثيابه ثم يصيروا بإزائي، فإذا أنا أومأت إليهم وقلت: يا آل الرسول ادخلوا! دخلوا وفعلوا ما أمرتهم به، فأكون على الامتناع، ولا أعطي المقادة والمذلة من

---

(١) هي كنية عبد الله بن الزبير.
(٢) راجع ما لاحظناه - في المجلد الثاني - حول صلح الحسن ومعاوية.
(٣) لم يرد خبر رجوع الرسول إليهما في أي من المصادر.
(٤) بالأصل " يقدر " وما أثبتناه يوافق السياق.

نفسي، فقد علمت والله أنه جاء من الأمر ما لا قوام به، ولكن قضاء الله ماض في وهو الذي يفعل في بيت رسوله عليه السلام ما يشاء ويرضى.
قال: ثم صار الحسين بن علي إلى منزله ثم دعا بماء، فلبس وتطهر بالماء وقام فصلى ركعتين ودعا ربه بما أحب في صلاته، فلما فرغ من ذلك أرسل إلى فتيانه وعشيرته ومواليه وأهل بيته فأعلمهم بشأنه ثم قال: كونوا بباب هذا الرجل فإني ماض إليه ومكلمه، فإن سمعتم أن صوتي قد علا وسمعتم كلامي وصحت بكم فأدخلوا يا آل الرسول واقتحموا من غير إذن ثم أشهروا السيوف ولا تعجلوا، فإن رأيتم ما تكرهون فضعوا سيوفكم ثم اقتلوا من يريد قتلي!
ثم خرج الحسين من منزله وفي يده قضيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في ثلاثين
رجلا (١) من أهل بيته ومواليه وشيعته، حتى أوقفهم على باب الوليد بن عتبة ثم قال: انظروا ما ذا أوصيتكم فلا تتعدوه وأنا أرجو أن أخرج إليكم سالما إن شاء الله.
قال: ثم دخل الحسين على الوليد بن عتبة فسلم عليه فرد عليه ردا حسنا ثم أدناه وقربه، قال: ومروان بن الحكم هناك جالس في مجلس الوليد، وقد كان بين مروان وبين الوليد منافرة ومفاوضة، فأقبل الحسين على الوليد فقال: أصلح الله الأمير! والصلاح خير من الفساد، والصلة خير من الخشناء والشحناء (٢) وقد آن لكما أن تجتمعا، فالحمد لله الذي ألف بينكما، قال: فلم يجيباه في هذا بشيء. فقال الحسين: هل أتاكم من معاوية كائنة خبر فإنه كان عليلا وقد طالت علته، فكيف حاله الآن؟ قال: فتأوه الوليد وتنفس الصعداء وقال: أبا عبد الله! أجرك الله في معاوية فقد كان لك عم صدق وقد ذاق الموت، وهذا كتاب أمير المؤمنين يزيد.
فقال الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعظم الله لك الأجر أيها الأمير، ولكن لماذا دعوتني؟ فقال: دعوتك للبيعة، فقد اجتمع عليه الناس. فقال الحسين: إن مثلي لا يعطي بيعته سرا (٣)، وإنما أحب أن تكون البيعة علانية بحضرة الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحدا (٤):

---

(١) في الأخبار الطوال ص ٢٢٧: فجمع نفرا من مواليه وغلمانه. ثم مشى نحو دار الإمارة.
(٢) في الطبري: والصلة خير من القطيعة.
(٣) زيد في الطبري: " ولا أراك تجتزئ بها مني سرا " وفي الإمامة والسياسة: " لا خير في بيعة سر، والظاهرة خير. فإذا حضر الناس كان أمرا واحدا ".
(٤) في الأخبار الطوال: وأنا طوع يديك، فإذا جمعت الناس لذلك حضرت، وكنت واحدا منهم.

فقال له الوليد: أبا عبد الله! لقد قلت فأحسنت في القول وأحببت جواب مثلك وكذا ظني بك، فانصرف راشدا على بركة الله حتى تأتيني غدا مع الناس! فقال مروان بن الحكم: أيها الأمير! إنه إذا فارقك في هذه الساعة لم يبايع فإنك لن تقدر منه ولا تقدر على مثلها، فاحبسه عندك ولا تدعه يخرج أو يبايع وإلا فاضرب عنقه. قال: فالتفت إليه الحسين وقال: ويلي عليك يا بن الزرقاء! أتأمر بضرب عنقي، كذبت والله (١)، والله لو رام ذلك أحد من الناس لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك، وإن شئت ذلك فرم ضرب عنقي إن كنت صادقا. قال: ثم أقبل الحسين على الوليد بن عتبة وقال: أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب خمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق، مثلي لا يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون وننتظر وتنتظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة. قال: وسمع من بالباب الحسين فهموا بفتح الباب وإشهار السيوف، فخرج إليهم الحسين سريعا فأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، وأقبل الحسين إلى منزله (٢).

فقال مروان بن الحكم للوليد بن عتبة: عصيتني حتى انفلت الحسين من يدك، أما والله لا تقدر على مثلها أبدا، ووالله ليخرجن عليك وعلى أمير المؤمنين فاعلم ذلك، فقال له الوليد بن عتبة: ويحك! أشرت علي بقتل الحسين وفي قتله ذهاب ديني ودنياي، والله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها (٣) وأني قتلت الحسين بن علي ابن فاطمة الزهراء، والله ما أظن أحدا يلقى الله بقتل الحسين إلا وهو خفيف الميزان عند الله [يوم القيامة] (٤) لا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم. قال: فسكت مروان (٥).

وبعث الوليد إلى عبد الله بن الزبير فدعاه، فأرسل إليه ابن الزبير: أيها

---

(١) في الطبري: كذبت والله وأثمت. وفي ابن الأثير: كذبت والله ولؤمت.

(٢) الطبري: فخرجوا معه حتى أتى منزله.

(٣) في الطبري: قال الوليد: وبخ غيرك يا مروان، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها، وأني قتلت حسينا.

(٤) زيادة عن الطبري.

(٥) في الإمامة والسياسة: فقال له مروان مستهزئا: إن كنت إنما تركت ذلك لذلك فقد أصبت. (وفيه خالد بن الحكم بدل الوليد بن عتبة وهو خطأ)، وزيد في الطبري: يقول له هذا وهو غير الحامد له على رأيه.

الأمير! لا تعجل فإني لك على ما تحب وأنا صائر إليك إن شاء الله! قال: فأبى الوليد بن عتبة ذلك وجعل يرسل إليه رسولا بعد رسول حتى أكثر عليه من الرسل. قال: وجعل أصحاب الوليد بن عتبة ينادون عبد الله بن الزبير ويقولون: يا بن الكاهلية! والله لتأتين الأمير ولتبايعنه أو لنقتلنك (١). قال: فأقبل جعفر بن الزبير حتى دخل على الوليد بن عتبة فسلم وقال: أصلح الله الأمير كف عن عبد الله فإنك قد دعوته وأنا صائر به إليك غدا إن شاء الله (٢) ولا تلج به ومر أصحابك أن ينصرفوا عنه فإنك لن ترى منه إلا ما تحب. فأقبل الوليد على جعفر بن الزبير، فقال الوليد لجعفر: إن مثلي ومثل أخيك كما قال الله تعالى: * (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) * (٣). فأمسك الوليد عن عبد الله بن الزبير يومه ذلك، وأرسل إلى الرسل فأمرهم بالانصراف عنه (٤).

فلما كان في نصف الليل وهدأت العيون خرج عبد الله بن الزبير ومعه إخوته بأجمعهم، فقال عبد الله لإخوته: خذوا عليهم غير المحجة فإني أيضا آخذ عليها مخافة أن يلحقنا الطلب. قال: فتفرق عنه إخوته ومضى عبد الله ومعه أخوه جعفر، ليس معهما ثالث، فأخذ على مجهول الطريق إلى مكة (٥). وأصبح الوليد ففقد أولاد الزبير وعلم أن عبد الله قد هرب إلى مكة، فغضب لذلك وضاق به ذرعا، فقال له مروان: إن الأمير أبقاه الله إذا استشار أمراء المعرفة والنصيحة وأشاروا عليه فلم يقبل فيكون قد أخطأ وضيع الحزم، والآن فأنا أعلم أنه ما أخطأ طريق مكة فسرح في طلبه الرجال من قبل أن يمعن في المسير قال: فدعا الوليد برجل يقال له حبيب بن كزبر (٦) فوجه به في ثلاثين (٧) راكبا من موالي بني أمية في طلب عبد الله بن الزبير (٨). ثم أرسل إلى كل من كان من شيعة عبد الله بن الزبير فأخذه وحبسه وفيمن

---

(١) في الطبري: أو ليقتلنك.
(٢) في الطبري: كف عن عبد الله فإنك قد أفزعته وذعرته بكثرة رسلك وهو آتيك غدا إن شاء الله.
(٣) سورة هود الآية ٨١.
(٤) ورد في الإمامة والسياسة ١ / ٢٢٦ أن الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير كانا سوية ودخلا معا إلى الوليد وخرجا معا على أن يأتيانه الصبح عندما يدعو الوليد الناس للبيعة.
(٥) في الطبري: فأخذ طريق الفرع... وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب وتوجه نحو مكة.
(٦) في الأخبار الطوال: حبيب بن كدين.
(٧) كذا بالأصل والأخبار الطوال، وفي الطبري ٥ / ٣٤١: ثمانين.
(٨) زيد في الطبري: فطلبوه فلم يقدروا عليه.

حبس يومئذ ابن عم لعمر بن الخطاب يقال له عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي، وأمه يقال لها العجماء (١) بنت عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب الخزاعية (٢).
قال: وحبس أيضا مصعب بن عبد الرحمن بن عوف.
قال: فمشى رجال من بني عدي إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب فقالوا: يا أبا عبد الرحمن! إن صاحبنا عبد الله بن مطيع قد حبس مظلوما لا ذنب له، والله لتخرجنه أو لتموتن (٣) من دونه. فقال لهم ابن عمر: لا تعجلوا بالفتنة ولا تسارعوا إليها، فكم من رجل قد أفسدت الفتنة عليه دينه ودنياه. قال: ثم أرسل ابن عمر إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه، وقال: يا معشر بني أمية! استعينوا بالله وبالحق على إقامة دينكم ودنياكم، ولا تظلموا فإن الظلم مرتعه وخيم، ولا تأخذوا بالظنة والتهمة، فإنكم إن استقمتم أعانكم الله وإن ظلمتم وكلكم الله إلى أنفسكم، فكفوا عن صاحبنا هذا عبد الله بن مطيع وخلوا سبيله فإنا لا نعلم أن لكم عليه سبيل ولا حق تحبسونه به، فإن زعمتم أنكم ما حبستموه إلا لحق فافعوا ذلك، وإن كنتم إنما حبستموه على الظن فإنا لا ندع صاحبنا يحبس مظلوما. فقال مروان: إنما نحن حبسناه بأمر أمير المؤمنين يزيد وعليكم (٤) أن تكتبوا في ذلك إلى أمير المؤمنين ونكتب
نحن أيضا فإنه لا يكون إلا ما تحبون. قال: فوثب أبو جهم بن حذيفة (٥) العدوي فقال: نكتب وتكتبون وابن العجماء محبوس؟ لا والله لا يكون ذلك أبدا.
ثم وثب بنو (٦) عدي فجعلوا يحضرون حتى صاروا إلى باب السجن، فاقتحموا على عبد الله بن مطيع فأخرجوه وأخرجوا كل من كان في السجن ولم يتعرض إليهم أحد. فاغتم لذلك الوليد بن عتبة وأراد أن يكتب بذلك إلى يزيد، فلبث ولم يكتب.
قال: وأصبح الحسين من الغد خرج من منزله ليستمع الأخبار، فإذا هو

---

(١) من الترجمة الفارسية، وبالأصل " العمقاء ".
(٢) في نسب قريش: أم هشام واسمها أميمة بنت أبي الخيار بن أبي عمر بن عامر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث.
(٣) بالأصل: لتموتن.
(٤) بالأصل " ولا عليلم " خطأ.
(٥) بالأصل " خليفة " خطأ وما أثبتناه عن الإصابة.
(٦) بالأصل " بني " تصحيف.

بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه، فقال: أبا عبد الله! إني لك ناصح فأطعني ترشد وتسدد، فقال الحسين: وما ذلك قل حتى أسمع! فقال مروان: أقول إني آمرك ببيعة أمير المؤمنين يزيد فإنه خولك في دينك ودنياك، قال: فاسترجع الحسين وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد. ثم أقبل الحسين على مروان وقال: ويحك! أتأمرني ببيعة يزيد وهو رجل فاسق! لقد قلت شططا من القول يا عظيم الزلل! لا ألومك على قولك لأنك اللعين الذي لعنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص، فإن من لعنه
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن له ولا منه [إلا] أن يدعو إلى بيعة يزيد. ثم قال: إليك عني
يا عدو الله! فإنا أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والحق فينا وبالحق تنطق ألسنتنا، وقد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: " الخلافة محرمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء
أبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فافقروا بطنه " فو الله لقد رآه أهل المدينة على منبر جدي فلم يفعلوا ما أمروا به، قاتلهم الله بابنه يزيد! زاده الله في النار عذابا. قال: فغضب مروان بن الحكم من كلام الحسين ثم قال: والله! لا تفارقني أو تبايع ليزيد بن معاوية صاغرا، فإنكم آل أبي تراب قد ملئتم كلاما وأشربتم بغض (١) آل بني سفيان، وحق عليكم أن تبغضوهم وحق عليهم أن تبغضوهم.
قال: فقال له الحسين: ويلك يا مروان! إليك عني فإنك رجس وإنا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: (إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا). (٢) قال: فنكس مروان رأسه لا ينطق بشيء، فقال له الحسين: أبشر يا بن الزرقاء بكل ما تكره من الرسول عليه السلام يوم تقدم على ربك فيسألك جدي عن حقي وحق يزيد. قال: فمضى مروان مغضبا حتى دخل على الوليد بن عتبة فخبره بما سمع من الحسين بن علي.
قال: فعندها كتب الوليد (٣) إلى يزيد بن معاوية يخبره بما كان من أهل المدينة

---

(١) بالأصل " بعض! والسياق يقتضي ما أثبتناه.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٣.
(٣) في المقتل لأبي مخنف: بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الله يزيد أمير المؤمنين من عتبة (كذا) ابن أبي سفيان، أما بعد فإن الحسين بن علي ليس يرى لك خلافة ولا بيعة فرأيك في أمره والسلام ".
ولم نجد نسخة الكتاب في أي من المصادر، خاصة أنها أجمعت على أن الحسين قد خرج من المدينة

بعد خروج ابن الزبير عنها بليلة. (انظر الطبري – ابن الأثير – الأخبار الطوال).

وما كان من ابن الزبير وأمر السجن، ثم ذكر له بعد ذلك أمر الحسين بن علي أنه ليس (١) يرى لنا عليه طاعة ولا بيعة. قال: فلما ورد الكتاب على يزيد غضب لذلك غضبا شديدا، وكان إذا غضب انقلبت عيناه فعاد أحول، قال: فكتب إلى الوليد بن عتبة.

ذكر كتاب يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عتبة

من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانيا على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبد الله بن الزبير فإنه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبدا ما دام حيا، وليكن مع جوابك إلي رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل ولك عندي الجائزة والحظ الأوفر والنعمة واحدة والسلام.

قال: فلما ورد الكتاب على الوليد بن عتبة وقرأه تعاظم ذلك وقال: لا والله لا يراني الله قاتل الحسين بن علي! وأنا [لا] (٢) أقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها.

قال: وخرج الحسين بن علي من منزله ذات ليلة وأتى إلى قبر جده صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

السلام عليك يا رسول الله! أنا الحسين ابن فاطمة، أنا فرخك وابن فرختك وسبطك (٣) في الخلف (٤) الذي خلفت على أمتك فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني وأنهم لم يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتى ألقاك - صلى الله عليك وسلم -. ثم وثب قائما وصف قدميه ولم يزل راكعا وساجدا.

قال: وأرسل الوليد بن عتبة إلى منزل الحسين لينظر هل خرج من المدينة أم لا، فلم يصبه في منزله فقال: الحمد لله الذي لم يطالبني الله عز وجل بدمه! وظن أنه خرج من المدينة.

قال: ورجع الحسين إلى منزله مع الصبح، فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى

---

(١) بالأصل: " أليس ".
(٢) زيادة اقتضاها السياق.
(٣) في الأصل " وسبطا ".
(٤) في الأصل " الخلق " ولا معنى لهاهنا. وما أثبتناه يوافق ما ورد بعدها.

القبر أيضا فصلى ركعتين (١)، فلما فرغ من صلاته جعل يقول: اللهم! إن هذا قبر نبيك محمد وأنا ابن بنت محمد وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم! وإني أحب المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه ما (٢) اخترت من أمري هذا ما هو لك رضى.

قال: ثم جعل الحسين يبكي حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى ساعة، فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أقبل في كبكبة من الملائكة عن يمينه وعن

شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى ضم الحسين إلى صدره وقبل بين عينيه وقال: يا بني! يا حسين! كأنك عن قريب أراك مقتولا مذبوحا بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي وأنت في ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة! فما لهم عند الله من خلاق، حبيبي يا حسين! إن أباك وأمك [وأخاك] (٣) قد قدموا علي وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة. قال: فجعل الحسين ينظر في منامه إلى جده صلى الله عليه وآله وسلم ويسمع كلامه وهو يقول: يا جداه! لا حاجة لي في الرجوع إلى

الدنيا أبدا فخذني إليك واجعلني معك إلى منزلك. قال: فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا

حسين! إنه لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم فإنك (٤) وأباك وأخاك وعمك وعم أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة (٥).

قال: فانتبه الحسين من نومه فزعا مذعورا فقص رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب، فلم يكن ذلك اليوم في شرق ولا غرب أشد غما من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا أكثر منه باكيا وباكية.

وتهيأ الحسين بن علي وعزم على الخروج من المدينة ومضى في جوف الليل إلى قبر أمه فصلى عند قبرها وودعها، ثم قام عن قبرها وصار إلى قبر أخيه الحسن

---

(١) بالأصل " ركعتان ".

(٢) بالأصل: " إلا ما ".

(٣) زيادة اقتضاها السياق، باعتبار ما ورد " قدموا علي وهم إليك مشتاقون ".

(٤) بالأصل: فإني.

(٥) قال الحدادي: فرفع النبي (ص) يده ورأسه إلى السماء فقال: اللهم أفرغ على حبيبي الصبر وأعظم له الأجر " (عن هامش المقتل).

ففعل مثل ذلك ثم رجع إلى منزله. وفي وقت الصبح أقبل إليه أخوه محمد ابن الحنفية.

ذكر وصية الحسين بن علي إلى أخيه محمد ابن الحنفية

قال: فلم جاء إليه محمد ابن الحنفية رضي الله عنه: يا أخي فدتك نفسي! أنت أحب الناس إلي وأعزهم علي ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق وليس أحد أحق لها منك فإنك كنفسي وروحي وكبير أهل بيتي ومن عليه اعتمادي وطاعته في عنقي لأن الله تبارك وتعالى قد شرفك وجعلك من سادات أهل الجنة. وإني أريد أن أشير عليك برأيي فاقبله مني. فقال له الحسين: قل ما بدا لك! فقال: أشير عليك أن تنجو نفسك (١) عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار (٢) ما استطعت، وأن تبعث رسلك إلى الناس وتدعوهم (٣) إلى بيعتك فإني إن بايعك الناس (٤) وتابعوك حمدت الله على ذلك، وقمت فيهم بما يقوم فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

والخلفاء الراشدون المهديون من بعده حتى يتوفاك الله وهو عنك راض والمؤمنون كذلك كما رضوا عن أبيك وأخيك، وإن أجمع الناس على غيرك حمدت الله على ذلك (٥)، وإني خائف عليك أن تدخل مصرا من الأمصار أو تأتي جماعة من الناس فيقتتلون فتكون طائفة منهم معك وطائفة عليك فتقتل منهم. فقال له الحسين: يا أخي! إلى أين أذهب؟ قال: أخرج إلى مكة فإن اطمأنت بك الدار فذاك الذي تحب وأحب، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن فإنهم أنصار جدك وأخيك وأبيك، وهم أرأف الناس وأرقهم قلوبا وأوسع الناس بلادا وأرجحهم عقولا، فإن اطمأنت بك أرض اليمن وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال وصرت من بلد إلى بلد لتنظر (٦) ما يؤول إليه أمر الناس ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين. فقال له الحسين:

---

(١) في الطبري: " تنح بتبعتك " وفي ابن الأثير: ببيعتك.

(٢) عن الطبري وابن الأثير وابن كثير، وبالأصل " الأنصار ".

(٣) في الطبري وابن الأثير: فادعهم إلى نفسك.

(٤) في ابن الأثير والطبري: فإن بايعوا لك.

(٥) في الطبري وابن الأثير: لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك.

(٦) في الطبري وابن الأثير: حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فإنك أصوب ما تكون رأيا وأحزمه عملا حين تستقبل الأمور استقبالا ولا تكون عليك الأمور أبدا أشكل منها حين تستدبرها استدبارا.

يا أخي! والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت والله يزيد بن معاوية أبدا وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم): " اللهم! لا تبارك في يزيد " قال: فقطع عليه محمد ابن الحنفية الكلام وبكى فبكى معه الحسين ساعة ثم قال: جزاك الله يا أخي عني خيرا! ولقد نصحت وأشرت بالصواب وأنا أرجو أن يكون إن شاء الله رأيك موفقا مسددا، وإني قد عزمت على الخروج إلى مكة وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو إخوتي وشيعتي وأمرهم أمري ورأيهم رأيي. وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عينا عليهم ولا تخف علي شيئا من أمورهم. قال: ثم دعا الحسين بداوة وبياض وكتب فيه.

وصية الحسين رضي الله عنه لأخيه محمد رضي الله عنه

فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب لأخيه محمد ابن الحنفية المعروف ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنة حق والنار حق. وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة أبي علي بن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي [الله] (١) بيني وبين القوم بالحق ويحكم بيني وبينهم [بالحق] (٢) وهو خير الحاكمين، هذه وصيتي إليك يا أخي! وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والسلام عليك وعلى من اتبع الهدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال: ثم طوى الكتاب الحسين وختمه وبخاتمه ودفعه إلى أخيه محمد ابن الحنفية ثم ودعه وخرج في جوف الليل يريد مكة بجميع أهله (٣)، وذلك لثلاث ليال

---

(١) زيادة عن المقتل لأبي مخنف.

(٢) زيادة عن المقتل لأبي مخنف.

(٣) في الأخبار الطوال ص ٢٢٨ مضى... ومعه أختاه أم كلثوم وزينب وولد أخيه وإخوته أبو بكر وجعفر والعباس وعامة من كان بالمدينة من أهل بيته إلا أخاه محمد ابن الحنفية.

مضين من شهر شعبان (١) في سنة ستين، فجعل يسير ويقرأ هذه الآية: (فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين) (٢)، فقال له ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب: يا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! لو عدلنا عن الطريق وسلكنا غير
الجادة كما فعل عبد الله بن الزبير كان عندي الرأي، فإنا نخاف أن يلحقنا الطلب! فقال له الحسين: لا والله يا بن عمي! لا فارقت هذا الطريق أبدا أو أنظر إلى أبيات مكة أو يقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى، ثم جعل الحسين يتمثل بشعر يزيد بن المفرغ الحميري وهو يقول (٣):

لا سهرت السوام في فلق الصب * ح مضيئا ولا دعيت يزيدا (٤)
يوم أعطى من المخافة ضي * ما والمنايا يرصدنني أن أحيدا

قال: فبينما الحسين كذلك بين المدينة ومكة إذا استقبله عبد الله بن مطيع العدوي (٥) فقال: أين تريد أبا عبد الله جعلني الله فداك! قال: أما (٦) في وقتي هذا أريد مكة، فإذا صرت إليها استخرت الله تعالى في أمري بعد ذلك. فقال له

---

(١) في الطبري: ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب.
(٢) سورة القصص الآية ٢١.
(٣) من أبيات في الطبري ٥ / ٣٤٢ ابن الأثير ٢ / ٥٣١ الشعر والشعراء ص ١ / ٣٢٢ مروج الذهب ٣ / ٦٧ تهذيب ابن عساكر ٤ / ٣٢٩ الأغاني ٨ / ٢٨٧ باختلاف في الألفاظ.
(٤) قبله:
حتى ذا الزور وانهه أن يعودا * إن بالباب حارسين قعودا
(٥) ورد خبر استقبال عبد الله بن مطيع العدوي في الأخبار الطوال ص ٢٢٨ وابن الأثير ٢ / ٥٣٣. وقد تقدم قبل قليل أن الوليد بن عتبة قد حبس عبد الله بن مطيع بعد خروج ابن الزبير من المدينة. وأنه كتب إلى يزيد أن بني عدي قد أخرجوه عنوة من السجن وأخبره بامتناع الحسين بن علي (ر ض) عن البيعة.
الرواية يعني رواية سجن ابن مطيع – ضعيفة من وجوه:
– اتفاق الروايات على خروج الحسين بن علي من المدينة بعد ابن الزبير بليلة.
– لقاؤه ابن مطيع قادما من مكة إلى المدينة، والمفترض حسب رواية ابن الأعثم أن يكون في السجن.
– وإن كان قد أخرج من السجن، كيف انتقل من المدينة إلى مكة وعاد منها والتقى الحسين بن علي خلال الطريق، وقد خرج الحسين بن علي بعد ابن الزبير بليلة. هذا يضعف رواية ابن الأعثم، ويضعف خبر رسالة الوليد إلى يزيد بشأن قضية السجن، وامتناع الحسين عن البيعة.
(٦) في ابن الأثير: أما الآن فمكة.

عبد الله بن مطيع: خار (١) الله لك يا بن بنت رسول الله فيما قد عزمت عليه غير أني أشير عليك بمشورة فاقبلها مني، فقال له الحسين. وما هي يا بن مطيع؟ قال: إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة (٢) فيها قتل أبوك وأخوك (٣) بطعنة طعنوه كادت
أن تأتي على نفسه، فألزم الحرم فأنت سيد العرب في دهرك هذا، فو الله لئن هلكت ليهلكن أهل بيتك بهلاكك والسلام. قال: فودعه الحسين ودعا له بخير وسار حتى وافى مكة، فلما نظر إلى جبالها (٤) من بعيد جعل يتلو هذه الآية: (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) (٥).
ودخل الحسين إلى مكة ففرح به أهلها فرحا شديدا. قال: وجعلوا يختلفون
إليه بكرة وعشية، واشتد ذلك على عبد الله بن الزبير لأنه قد كان طمع أن يبايعه أهل مكة، فلما قدم الحسين شق ذلك عليه، غير أنه لا يبدي ما في قلبه إلى الحسين
لكنه يختلف إليه ويصلي بصلاته ويقعد عنده ويسمع من حديثه وهو مع ذلك يعلم أنه لا يبايعه أحد من أهل مكة والحسين بن علي بها، لأن الحسين عندهم أعظم في أنفسهم من ابن الزبير (٦).
قال: وبلغ ذلك أهل الكوفة أن الحسين بن علي قد صار إلى مكة. وأقام
الحسين بمكة باقي شهر شعبان ورمضان وشوال وذي (٧) العقدة. قال: وبمكة يومئذ عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، فأقبلا جميعا حتى دخلا على الحسين وقد عزما على أن ينصرفا إلى المدينة فقال له ابن عمر: أبا
عبد الله! رحمك الله اتق (٨) الله الذي إليه معادك! فقال عرفت من عداوة أهل هذا البيت لكن وظلمهم إياكم، وقد ولي الناس هذا الرجل، يزيد بن معاوية، ولست

---

(١) أي جعل لك الخير.
(٢) في الأخبار الطوال ص ٢٢٨ وابن الأثير ٢ / ٥٣٣ فإياك والكوفة فإنها بلدة مشؤومة.
(٣) الأخبار الطوال وابن الأثير: وبها خذل أخوك.
(٤) في النسخ: حالها " وما أثبتناه الصواب.
(٥) سورة القصص الآية ٢٢.
(٦) في البداية والنهاية ٨ / ١٧٥ أن ابن الزبير كان يغدو ويروح إلى الحسين ويشير عليه أن يقدم العراق، ويقول: هم شيعتك وشيعة أبيك.
(٧) بالأصل: ذو. (٨)
بالأصل: اتقي.

آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه (١) الصفراء والبيضاء فيقتلونك (٢) ويهلك فيك بشر
كثير، فإني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: " حسين مقتول، ولئن قتلوه
وخذلوه ولن ينصروه ليخذل هم الله إلى يوم القيامة! " وأنا أشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعل الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين. فقال له الحسين: أبا عبد الرحمن! أنا أبايع يزيد وأدخل في صلحه وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفي أبيه ما قال؟ فقال ابن عباس: صدقت أبا
عبد الله! قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته: " ما لي وليزيد لا بارك الله في يزيد! وإنه يقتل
ولدي وولد ابنتي الحسين رضي الله عنه، والذي نفسي بيده! لا يقتل ولدي بين ظهراني (٣) قوم فلا يمنعونه إلا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم! ثم بكى ابن عباس و بكى معه الحسين وقال: يا بن عباس! تعلم أني ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فقال ابن
عباس: اللهم نعم نعلم ونعرف أن ما في الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله) غيرك، وأن نصرك لفرض على هذه الأمة كفريضة الصلاة والزكاة
التي لا يقدر أن يقبل أحدهما دون الأخرى. قال الحسين: يا بن عباس! فما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من داره وقراره ومولده وحرم رسوله ومجاورة
قبره ومولده ومسجده وموضع مهاجره، فتركوه خائفا مرعوبا لا يستقر في قرار ولا يأوي
في موطن، يريدون في ذلك قتله وسفك دمه وهو لم يشرك بالله شيئا ولا اتخذ من دونه وليا، ولم يتغير عما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء من بعده؟ فقال ابن
عباس: ما أقول فيهم [إلا] (٤) (انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) (٥) (يرآءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) (٦) وعلى مثل هؤلاء تنزل (٧) البطشة الكبرى، وأما أنت يا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنك رأس الفخار برسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن نظيره البتول، فلا تظن يا بن بنت رسول الله أن الله غافل عما يعمل

---

(١) في الأصل " لكان هذا ".
(٢) في الأصل: يقتلونه.
(٣) في الأصل: " الطهراي ".
(٤) زيادة اقتضاها معنى قول ابن عباس.
(٥) سورة التوبة الآية ٥٤.
(٦) سورة النساء الآيتان ١٤٢ و ١٤٣.
(٧) بالأصل: ينزل.

الظالمون، وأنا أشهد أن من رغب عن مجاورتك وطمع في محاربتك ومحاربة نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم فماله من خلاق. فقال الحسين: اللهم اشهد! فقال ابن عباس: جعلت
فداك يا بن بنت رسول الله! كأنك تريدني إلى نفسك وتريد مني أن أنصرك! والله الذي لا إله إلا هو أن لو ضربت بين يديك سيفي هذا حتى انخلع جميعا من كفي لما كنت ممن أوفي من حقك عشر العشر! وها أنا بين يديك مرني بأمرك. فقال ابن عمر: مهلا ذرنا من هذا يا بن عباس.
قال: ثم أقبل ابن عمر على الحسين فقال: أبا عبد الله! مهلا عما قد عزمت عليه وارجع من هنا إلى المدينة وادخل في صلح القوم ولا تغب عن وطنك وحرم جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا تجعل لهؤلاء الذين لا خلاق لهم على نفسك حجة
وسبيلا، وإن أحببت أن لا تبايع فأنت متروك حتى ترى برأيك فإن يزيد بن معاوية – لعنه الله – عسى أن لا يعيش إلا قليلا فيكفيك الله أمره. فقال الحسين: أف لهذا الكلام أبدا ما دامت السماوات والأرض! أسألك بالله يا عبد الله أنا عندك على خطأ من أمري هذا؟ فإن كنت عندك على خطأ فردني فإني أخضع وأسمع وأطيع، فقال ابن عمر: اللهم لا ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسوله على خطأ، وليس مثلك من طهارته وصفوته من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على مثل يزيد بن معاوية – لعنه الله – باسم
الخلافة، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف وترى من هذه الأمة ما لا تحب، فارجع معنا إلى المدينة وإن لم تحب أن تبايع فلا تبايع أبدا واقعد في منزلك. فقال الحسين: هيهات يا بن عمر! إن القوم لا يتركوني وإن أصابوني وإن لم يصيبوني فلا يزالون حتى أبايع وأنا كاره أو يقتلوني، أما تعلم يا (١) عبد الله! أن من هوان هذه الدنيا على الله تعالى أنه أتي برأس يحيى بن زكريا عليه السلام إلى بغية من بغايا (٢) بني إسرائيل والرأس ينطق بالحجة عليهم؟ أما تعلم أبا عبد الرحمن! أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس (٣) سبعين نبيا ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كلهم كأنهم لم يصنعوا شيئا، فلم يعجل الله عليهم، ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر، اتق الله أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي واذكرني في صلاتك، فو الذي بعث جدي

---

(١) بالأصل " يا أبا عبد الله ".
(٢) بالأصل " بقية من بقايا " وما أثبتناه عن المقتل لأبي مخنف.
(٣) بالأصل " طلوع الشمس إلى الغروب " وما أثبتناه عن المقتل.

محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بشيرا ونذيرا لو أن أباك عمر بن الخطاب أدرك زماني لنصرني كنصرته
جدي وأقام من دوني قيامه بين يدي جدي، يا بن عمر! فإن كان الخروج معي مما يصعب عليك ويثقل فأنت في أوسع العذر، ولكن لا تتركن لي الدعاء في دبر كل صلاة، واجلس عن القوم ولا تعجل بالبيعة لهم حتى تعلم إلى ما تؤول الأمور
قال: ثم أقبل الحسين على عبد الله بن عباس رحمه الله فقال: يا بن عباس!
إنك ابن عم والدي، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكنت مع والدي تشير عليه بما فيه الرشاد، وقد كان يستنصحك ويستشيرك فتشير عليه بالصواب، فامض إلى المدينة في حفظ الله وكلائه ولا يخفى علي شيء من أخبارك فإني مستوطن هذا الحرم ومقيم فيه أبدا ما رأيت أهله يحبوني وينصروني، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم واستعصمت بالكلمة التي قالها إبراهيم الخليل صلى الله عليه وآله وسلم يوم ألقي في النار (حسبي الله
ونعم الوكيل) فكانت النار عليه بردا وسلاما.
قال: فبكى ابن عباس وابن عمر في ذلك الوقت بكاء شديدا والحسين يبكي معهما ساعة ثم ودعهما، وصار ابن عمر وابن عباس إلى المدينة، وأقام الحسين بمكة قد لزم الصوم والصلاة واجتمعت الشيعة بالكوفة.

ذكر أخبار الكوفة وما كان من كتبهم إلى الحسين
ابن علي رضي الله عنهما
قال: واجتمعت الشيعة في دار سليمان بن صرد الخزاعي فلما تكاملوا في منزله قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أهل بيته، ثم
ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فترحم عليه وذكر مناقبه الشريفة، ثم قال: يا معشر الشيعة! إنكم قد علمتم بأن معاوية قد صار إلى ربه وقدم على عمله وسيجزيه الله تبارك وتعالى بما قدم من خير أو شر، وقد قعد في موضعه ابنه يزيد - زاده الله خزيا - وهذا الحسين بن علي قد خالفه (١) وصار إلى مكة خائفا من طواغيت آل أبي سفيان وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله، وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهد وعدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهي والفشل فلا تغروا (٢) الرجل من نفسه. فقال القوم: بل ننصره ونقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه حتى ينال حاجته. فأخذ عليهم سليمان بن صرد بذلك ميثاقا وعهدا أنهم لا يغدرون ولا ينكثون (٣). ثم قال: اكتبوا إليه الآن كتابا من جماعتكم أنكم له كما ذكرتم، وسلوه القدوم عليكم. قالوا: أفلا تكفينا أنت الكتاب إليه؟ قال: لا، بل يكتب جماعتكم. قال: فكتب القوم إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما.
ذكر الكتاب الأول إلى الحسين رضي الله عنه
بسم الله الرحمن الرحيم، إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، من

---

(١) في الطبري ٥ / ٣٥٢ قد تقبض على القوم ببيعته.
(٢) عن الطبري، وبالأصل " فلا تغزوا ".
(٣) في إحدى النسخ: ينكبون.

سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة (١) وحبيب بن مظاهر (٢) ورفاعة بن شداد وعبد الله بن وال وجماعة شيعته من المؤمنين (٣)، أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك وعدو أبيك من قبلك الجبار العنيد الغشوم الظلوم الذي أبتر (٤) هذه الأمة وعضاها (٦) وتأمر عليها بغير رضاها، ثم قتل خيارها واستبقى أشرارها (٥)، فبعدا له كما بعدت ثمود! (٧) ثم إنه قد بلغنا أن ولده اللعين قد تأمر على هذه الأمة بلا مشورة ولا إجماع ولا علم من الأخبار، ونحن مقاتلون معك وباذلون أنفسنا من دونك فاقبل إليه فرحا مسرورا مأمونا مباركا سديدا وسيدا أميرا مطاعا إماما خليفة علينا مهديا، فإنه ليس عليك إمام ولا أمير إلا النعمان بن بشير وهو في قصر الإمارة وحيد طريد، ليس يجتمع معه في جمعه ولا يخرج معه إلى عيد ولا يؤدى إليه الخراج، يدعو فلا يجاب ويأمر فلا يطاع، ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه عنا حتى يلحق بالشام، فاقدم إلينا فلعل الله عز وجل أن يجمعنا بك على الحق، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته يا بن رسول الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ".

ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى عبد الله بن سبع (٨) الهمداني وعبد الله بن مسمع البكري (٩)، ووجهوا بهما إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما. فقرأ الحسين كتاب أهل الكوفة فسكت ولم يجبهم (١٠) بشيء (١١).

---

(١) عن الطبري ٥ / ٣٥٢ وابن الأثير ٢ / ٥٣٣ وبالأصل: لحيه.

(٢) عن الطبري وابن الأثير، وبالأصل: مطهر.

(٣) زيد في الطبري وابن الأثير: " والمسلمين من أهل الكوفة. سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ".

(٤) الطبري وابن الأثير: " الذي انتزى على هذه الأمة " وفي الإمامة والسياسة: الذي اعتدى.

(٥) في الطبري وابن الأثير: " فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر... " وفي الإمامة والسياسة: فانتزعها حقوقها. واغتصبها أمورها وغلبها على فيئها، وتأمر عليها... ".

(٦) زيد في الطبري: وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها.

(٧) من هنا إلى آخر الكتاب وردت العبارة في المصادر باختلاف انظر الطبري وابن الأثير والإمامة والسياسة.

(٨) عن الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية. وفي الأصل: " سبلع " وفي الأخبار الطوال: عبيد الله بن سبيع.

(٩) في الطبري وابن الأثير وابن كثير: عبد الله بن وال. وفي الأخبار الطوال: عبد الله بن وداك السلمي.

(١٠) بالأصل: " فلم يجيبهم ".

(١١) وقد وافوا الحسين بمكة لعشر خلون من شهر رمضان كما في الأخبار الطوال ص ٢٢٩ والبداية والنهاية ٨ / ١٦٢.

ثم قدم عليه بعد ذلك قيس (١) بن مسهر الصيداوي (٢) وعبد الرحمن بن عبد الله (٣) الأرحبي وعمارة (٤) بن عبيد (٥) السلولي وعبد الله بن وال التميمي، ومعهم
جماعة نحو خمسين ومائة (٦)، كل كتاب من رجلين وثلاثة وأربعة، ويسألوه القدوم عليهم، والحسين يتأنى في أمره فلا يجيبهم بشيء.
ثم قدم عليه بعد ذلك هانئ [بن -] (٧) هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي (٨) بهذا الكتاب (٩)، وهو آخر ما ورد على الحسين من أهل الكوفة.
ذكر الكتاب الثاني
بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي أمير المؤمنين من شيعته وشيعة أبيه، أما بعد [فحيهلا] (١٠) فإن الناس منتظرون لا رأي لهم [في] (١٠) غيرك، فالعجل العجل يا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! قد (١١) اخضر [ت] الجنات (١٢) وأينعت
الثمار (١٣) وأعشبت الأرض وأورقت الأشجار (١٣)، فاقدم إذا شئت فإنما تقدم إلى جند
لك مجند - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى أبيك من قبلك -.

---

(١) الأصل والطبري وابن الأثير وابن كثير، وفي الأخبار الطوال: بشر.
(٢) عن المصادر، وبالأصل: " الصيدواني " وفي البداية والنهاية: " الصدائي ".
(٣) عن الطبري وابن كثير. وفي الأخبار الطوال: عبد الرحمن بن عبيد. وفي الأصل: عبد الله بن عبد الرحمن.
(٤) عن الطبري وابن كثير، وبالأصل عامر.
(٥) ابن كثير: عبد الله.
(٦) في الطبري: ثلاثة وخمسين، وفي الأخبار الطوال: خمسون كتابا.
(٧) عن الطبري والأخبار الطوال.
(٨) في الأخبار الطوال وتاريخ اليعقوبي: الخثعمي.
(٩) في الأخبار الطوال: معهما أيضا نحو خمسين كتابا.
(١٠ - ١٠) زيادة عن الطبري ٥ / ٣٥٣.
(١١) كذا بالأصل، جعله كله كتابا واحدا حمله هانئ وسعيد بن عبد الله الحنفي. أما ما ورد في الطبري ٥ / ٣٥٣ والبداية والنهاية ٨ / ١٦٣ فإلى هنا ينتهي كتاب هانئ بن هانئ السبيعي، ويبدأ كتاب آخر، والعبارة في الطبري:
وكتب شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعزرة بن قيس (وعروة في الكامل لابن الأثير) وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي (عمر في البداية والنهاية).
(١٢) في الطبري: الجناب، وفي البداية والنهاية: الجنان.
(١٣ - ١٣) بدلها في الطبري: وطمت الجمام. وفي البداية والنهاية: ولطمت الجمام.

فقال الحسين لهانئ وسعيد بن عبد الله الحنفي: خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كتب معكما إلي! فقالا: يا أمير المؤمنين! اجتمع عليه شبث (١) بن ربعي وحجار بن أبجر (٢) ويزيد (٣) بن الحارث ويزيد بن رويم (٤) وعروة بن قيس وعمرو (٥) بن الحجاج ومحمد بن عمير بن عطارد (٦).

قال: فعندها قام الحسين فتطهر وصلى ركعتين بين الركن والمقام، ثم انفتل من صلاته وسأل ربه الخير فيما كتب إليه أهل الكوفة، ثم جمع الرسل فقال لهم: إني رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي وقد أمرني بأمر وأنا ماض لأمره، فعزم الله

لي بالخير، إنه ولي ذلك والقادر على إن شاء الله تعالى.

ذكر كتاب الحسين بن علي إلى أهل الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين (٧)، سلام عليكم أما بعد فإن هانئ بن هانئ وسعيد بن عبد الله قدما علي بكتبكم فكانا آخر من قدم علي من عندكم (٨)، وقد فهمت (٩) الذي قد قصصتم وذكرتم ولست أقصر عما أحببتم، وقد بعثت (١٠) إليكم أخي وابن عمي وثقتي (١١) من أهل بيتي مسلم (١٢) بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد أمرته أن يكتب إلي بحالكم ورأيكم ورأي ذوي (١٣) الحجى والفضل منكم، وهو متوجه إلى ما قبلكم إن شاء الله تعالى والسلام ولا قوة إلا بالله، فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم

---

(١) بالأصل: سبت، وما أثبت عن الطبري والبداية والنهاية.
(٢) بالأصل " الحر " انظر ما مر قريبا.
(٣) بالأصل: يزيد. ما أثبت عن الطبري.
(٤) بالأصل: زيد بن روهم. ما أثبت عن الطبري.
(٥) بالأصل: عمر. ما أثبت عن الطبري.
(٦) في الطبري: التميمي.
(٧) زيد في الطبري: " والمسلمين " وفي الأخبار الطوال: إلى من بلغه كتابي هذا، من أوليائه وشيعته بالكوفة.
(٨) الطبري: من رسلكم.
(٩) في الأخبار الطوال: وفهمت ما ذكرتم من محبتكم لقدومي عليكم.
(١٠) في الأخبار الطوال: وإني باعث إليكم...
(١١) عن الطبري والأخبار الطوال، وبالأصل " بقيتي ".
(١٢) بالأصل " سليمان " وما أثبت عن الطبري.
(١٣) بالأصل: " ذو "

فقوموا مع ابن عمي وبايعوه وانصروه ولا تخذلوه فلعمري! ليس الإمام العادل بالكتاب والعادل بالقسط كالذي يحكم بغير الحق ولا يهدي ولا يهتدي، جمعنا الله وإياكم على الهدى وألزمنا وإياكم كلمة التقوى، إنه لطيف لما يشاء - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (١) -.

قال: ثم طوى الكتاب وختمه ودعا مسلم بن عقيل رحمه الله فدفع إليه الكتاب وقال له: إني موجهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إلي، وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها وادع الناس إلى طاعتي وأخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين (٢) على بيعتي فعجل لي بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى (٣)، ثم عانقه وودعه وبكيا جميعا.

---

(١) انظر نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٣٥٣ الأخبار الطوال ص ٢٣٠ ابن الأثير ٢ / ٥٣٤.

(٢) الأصل: " مجتمعون " وفي الطبري: مجتمعين مستوثقين.

(٣) زيد في الأخبار الطوال: وإن تكن الأخرى، فعجل بالانصراف.

ذكر خروج مسلم بن عقيل رضي الله عنه نحو العراق
قال: فخرج مسلم بن عقيل من مكة نحو المدينة مستخفيا لئلا يعلم به أحد من بني أمية، فلما دخل المدينة بدأ بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى فيه ركعتين، ثم أقبل
في جوف الليل حتى ودع من أحب من أهل بيته، ثم إنه استأجر دليلين (١) من قيس عيلان يدلانه على الطريق ويصحبانه (٢) إلى الكوفة على غير الجادة. قال: فخرج به الدليلان من المدينة ليلا وسارا (٣)، فغلطا الطريق وجارا عن القصد واشتد بهما العطش فماتا جميعا عطشا (٤).
قال: وكتب مسلم بن عقيل رحمه الله إلى الحسين: بسم الله الرحمن
الرحيم، للحسين بن علي بن مسلم بن عقيل، أما بعد فإني خرجت (٥) من المدينة مع الدليلين (٦) استأجرت هما فضلا عن الطريق وماتا عطشا، ثم إنا صرنا إلى الماء بعد
ذلك وكدنا أن نهلك فنجونا بحشاشة أنفسنا، وأخبرك يا بن بنت رسول الله إنا أصبنا الماء بموضع يقال له المضيق (٧)، وقد تطيرت من وجهي هذا الذي وجهتني به،

---

(١) عن الطبري والأخبار الطوال، وبالأصل " دليلان ".
(٢) بالأصل " يصحبا به ".
(٣) في البداية والنهاية ٨ / ١٦٣ فسارا به على براري مهجورة المسالك.
(٤) عبارة الأخبار الطوال ص ٢٣٠ أن مسلم بن عقيل تركهما بعد أن اشتد عليهما العطش والحر ولم يستطيعا المشي، فقالا لمسلم: " عليك بهذا السمت. فالزمه لعلك أن تنجو ".
(٥) الطبري: أقبلت.
(٦) بالأصل: الدليلان.
(٧) في الطبري: " المضيق من بطن الخبيث " وفي الأخبار الطوال: " بطن الحربث ". والبطن الموضع الغامض من الوادي. والبطون كثيرة.

فرأيك (١) في إعفائي منه - والسلام -.
قال: فلما قرأ كتاب مسلم بن عقيل رحمه الله علم أنه قد تشاءم وتطير من موت الدليلين (٢) وأنه جزع.
فكتب إليه [الحسين]:
بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى مسلم بن عقيل، أما بعد
فإني (٣) خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إلى والاستعفاء من وجهك (٤) هذا الذي أنت فيه إلا الجبن والفشل فامض لما أمرت به (٥) - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته -.
فلما ورد الكتاب على مسلم بن عقيل كأنه وجد من ذلك في نفسه ثم قال:
والله لقد نسبني أبو عبد الله الحسين إلى الجبن والفشل، وهذا شيء لم أعرفه من نفسي أبدا. ثم سار مسلم بن عقيل من موضعه ذلك يريد الكوفة، فإذا برجل يرمي الصيد فنظر إليه مسلم فرآه وقد رمى ظبيا فصرعه، فقال مسلم: نقتل أعداءنا (٦) إن شاء الله تعالى.
قال: ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة فنزل دار سالم (٧) بن المسيب وهي دار المختار بن [أبي] (٨) عبيد الثقفي.

---

(١) الطبري: فإن رأيت أعفيتني منه، وبعثت غيري، والسلام. وفي الطبري أيضا: أن مسلم بن عقيل سرح كتابه إلى الحسين بن علي (رض) مع قيس بن مسهر الصيداوي. أما في الأخبار الطوال أنه أرسل الكتاب مع رسول استأجره من أهل ذلك الماء، يعني " ماء المضيق ".
(٢) بالأصل: الدليلان.
(٣) الطبري: فقد خشيت.
(٤) الطبري: من الوجه الذي وجهتك له.
(٥) زيد في الأخبار الطوال: فإني غير معفيك.
(٦) في الطبري: " يقتل عدونا ".
(٧) الطبري: " مسلم " وفي الأخبار الطوال: " دار المسيب ".
(٨) سقطت من الأصل، وما أثبتناه عن الطبري والأخبار الطوال.
وفي البداية والنهاية ٨ / ١٦٣ أنه نزل على رجل يقال له مسلم بن عوسجة الأسدي.

ذكر نزول مسلم بن عقيل الكوفة واجتماع الشيعة إليه للبيعة
قال: وجعلت الشيعة تختلف إلى دار مسلم وهو يقرأ عليهم كتاب الحسين
و القوم يبكون شوقا منهم إلى قدوم الحسين. ثم تقدم إلى مسلم بن عقيل رجل من همدان يقال له عابس بن أبي شبيب الشاكري فقال: أما بعد فإني لا أخبرك عن الناس بشيء فإني أعلم (١) ما في أنفسهم، ولكني أخبرك عما أنا موطن عليه نفسي. والله أجيبكم (٢) إذا دعوتم وأقاتل معكم عدوكم وأضرب بسيفي دونكم أبدا حتى ألقى
الله وأنا لا أريد بذلك إلا ما عنده.
ثم قام حبيب بن مظاهر (٣) الأسدي الفقعسي قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على ما أنت (٤) عليه. وتبايعت الشيعة على كلام هذين الرجلين ثم بذلوا الأموال، فلم يقبل مسلم بن عقيل منها شيئا (٥).
قال: وبلغ ذلك النعمان بن بشير قدوم مسلم بن عقيل الكوفة واجتماع الشيعة عليه - والنعمان يومئذ أمير الكوفة - فخرج من قصر الإمارة مغضبا (٦) حتى دخل

---

(١) في الطبري: ولا أعلم ما في أنفسهم.
(٢) الطبري: لأجيبنكم... ولأقاتلن... ولأضربن.
(٣) بالأصل " مظهر " وما أثبت عن الطبري.
(٤) الطبري: على مثل ما هذا عليه.
(٥) في البداية والنهاية ٨ / ١٦٣ اجتمع على بيعته من أهل الكوفة اثنا عشر ألفا ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفا.
(٦) كذا، وعبارة البداية والنهاية: أنه لما أخبر خبر مسلم بن عقيل ضرب عن ذلك صفحا ولم يعبأ به. وعبارة الأخبار الطوال أنه كان يحب العافية ويغتنم السلامة. وذهب في الإمامة والسياسة بعيدا في إيضاح موقف النعمان فقال إن النعمان بن بشير قال لما علم بقدوم مسلم: لابن بنت رسول الله (ص) أحب إلينا من ابن بحدل.

المسجد الأعظم فنادى في الناس فاجتمعوا إليه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أهل الكوفة فاتقوا الله ربكم ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإن فيها (١) سفك الدماء وذهاب الرجال والأموال، واعلموا أني لست أقاتل إلا من قاتلني، ولا أثب إلا على من وثب علي غير أنكم قد أبديتم صفحتكم (٢) ونقضتم (٣) بيعتكم وخالفتم إمامكم فإن رأيتم أنكم رجعتم عن ذلك، وإلا فو الله الذي لا إله إلا هو لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولو لم يكن لي [منكم] (٤) ناصر، مع أني أرجو أن من يعرف الحق منكم أكثر ممن يريد (٥) الباطل.

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد (٦) الحضرمي فقال: أيها الأمير أصلحك الله إن هذا الذي أنت عليه من رأيك إنما هو رأي المستضعفين فقال له النعمان بن بشير: يا هذا! والله لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من المغلوبين (٧) في معصية الله.

قال: ثم نزل عن المنبر ودخل قصر الإمارة، وكتب عبد الله بن مسلم (٨) إلى يزيد بن معاوية يخبره بذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين من شيعته من أهل الكوفة، أما بعد فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة وقد بايعه الشيعة للحسين بن علي رضي الله عنهما وهم خلق كثير، فإن كان لك في الكوفة حاجة فابعث إليهما رجلا قويا ينفذ فيها أمرك ويعمل فيها بعملك من عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل

---

(١) الطبري وابن الأثير: فيهما.
(٢) عن الطبري، وبالأصل " صحيفتكم ".
(٣) الطبري: نكثتم.
(٤) عن الطبري.
(٥) الطبري: يرديه.
(٦) البداية والنهاية: " شعبة ". وفي الأخبار الطوال ص ٢٣١: " مسلم بن سعيد الحضرمي ".
(٧) الطبري: " الأعزين " وفي البداية والنهاية: " الأقوياء الأعزين ".
(٨) الأخبار الطوال: " كتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعمارة بن عقبة، وكانا عيني يزيد بن معاوية " وانظر عبارة الطبري ٥ / ٣٥٦.

ضعيف أو هو مضعف والسلام (١). قال: ثم كتب أيضا عمارة بن عقبة بن أبي معيط (٢) بنحو من ذلك: فكتب إليه عمر (٣) بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك.
قال: فلما اجتمعت الكتب عند يزيد بن معاوية دعا بغلام أبيه وكان اسمه سرجون، فقال: يا سرجون! ما الذي عندك في أهل الكوفة فقد قدم مسلم بن عقيل وقد بايعه الترابية للحسين بن علي رضي الله عنهما؟ فقال له سرجون: أتقبل مني ما أشير به عليك؟ فقال يزيد: قل حتى أسمع! فقال: أشير عليك أن تكتب إلى عبيد الله (٤) بن زياد فإنه أمير البصرة فتجعل له الكوفة زيادة في عمله حتى يكون هو الذي يقدم الكوفة فيكفيك أمرهم. فقال يزيد: هذا لعمري هو الرأي (٥).
ثم كتب يزيد إلى عبيد الله (٦) بن زياد: أما بعد فإن شيعتي من أهل الكوفة كتبوا إلي فخبروني (٧) أن مسلم بن عقيل يجمع الجموع ويشق عصا المسلمين، وقد اجتمع عليه خلق كثير من شيعة أبي تراب (٨)، فإذا وصل إليك كتابي هذا فسر حين تقرأه حتى تقدم الكوفة فتكفيني أمرها، فقد جعلتها زيادة في عملك وضممتها إليك، فانظر أين تطلب مسلم بن عقيل بن أبي طالب بها فاطلبه طلب الخرزة، فإذا ظفرت به فاقتله ونفذ إلي رأسه (٩)، واعلم أنه لا عذر لك عندي دون ما أمرتك به،

---

(١) قارن مع الطبري ٥ / ٣٥٦ الأخبار الطوال ص ٢٣١ ابن الأثير ٢ / ٥٣٥.
(٢) الأصل: عمارة بن عطية بن معيط. انظر المصادر السابقة.
(٣) بالأصل " عمرو " وما أثبتناه عن الطبري.
(٤) بالأصل: " عبد الله ". وما أثبتناه عن الطبري.
(٥) في الطبري ٥ / ٣٥٦ أن يزيد استشار سرجون مولى معاوية فقال: " أرأيت معاوية لو نشر لك، أكنت آخذا برأيه؟ قال: نعم، فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة، فقال: هذا رأي معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب ". وكان الصك بإمرة عبيد الله على العراقين قد كتبه في الديوان لكن معاوية مات قبل انفاذ العهد إليه. فأخذ يزيد برأي سرجون وضم المصرين إلى عبيد الله، وبعث إليه بعهده على الكوفة.
(٦) بالأصل: عبد الله خطأ.
(٧) الطبري: يخبرونني.
(٨) يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٩) في الطبري: كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام. وانظر الأخبار الطوال ص ٢٣١ وابن الأثير ٢ / ٥٣٥ وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٤٢ وكتب إليه: قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وإنه قد خرج من مكة متوجها نحوهم، وقد بلي به بلدك من بين البلدان، وأيامك من بين الأيام، فإن قتلته، وإلا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد، فاحذر أن يفوتك.

فالعجل العجل والوحا الوحا – والسلام –. ثم دفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهلي ثم أمره أن يجد السير إلى عبيد الله بن زياد. قال: فلما ورد الكتاب على
عبيد الله بن زياد (١) وقرأه أمر بالجهاز إلى الكوفة.
قال: وقد كان الحسين بن علي قد كتب إلى رؤساء أهل البصرة مثل
الأحنف بن قيس ومالك بن مسمع والمنذر بن الجارود وقيس بن الهيثم (٢) ومسعود بن
عمرو (٣) وعمر (٤) بن عبيد الله بن معمر فكتب إليهم كتابا (٥) يدعوهم فيه إلى نصرته
والقيام معه في حقه، فكان كل من قرأ كتاب الحسين كتمه (٦)، ولم يخبر به أحد إلا المنذر بن الجارود فإنه خشي أن يكون هذا الكتاب دسيسا من عبيد الله بن زياد وكانت
حومة (٧) بنت المنذر بن الجارود تحت عبيد الله بن زياد، فأقبل إلى عبيد الله بن زياد فخبره بذلك. قال: فغضب عبيد الله بن زياد وقال: من رسول الحسين بن علي إلى البصرة؟ فقال المنذر بن الجارود: أيها الأمير رسوله إليهم مولى يقال له
سليمان (٨) رحمه الله، فقال عبيد الله بن زياد: علي به! فأتي بسليمان (٨) مولى الحسين
وقد كان متخفيا عند بعض الشيعة بالبصرة، فلما رآه عبيد الله (٩) بن زياد لم يكلمه دون أن
أقدمه فضرب عنقه صبرا – رحمه الله –! ثم أمر بصلبه. ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى
عليه وقال: أما بعد (١٠) يا أهل البصرة (١٠)! إني لنكل (١١) لمن عاداني وسم (١٢) لمن

---

(١) وكان في البصرة.
(٢) بالأصل: الحطيم، وما أثبتناه عن الطبري والأخبار الطوال.
(٣) عن الطبري والأخبار الطوال، وبالأصل " عمر ".
(٤) عن الطبري، وبالأصل " عمرو ".
(٥) كتب الحسين بن علي إلى أشراف أهل البصرة نسخة واحدة. انظر نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٣٥٧ وفي الأخبار الطوال ص ٢٣١: " سلام عليكم، أما بعد! فإني أدعوكم إلى إحياء معالم الحق وإماتة البدع، فإن تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد، والسلام ".
(٦) عن الطبري، وبالأصل " لثمه ".
(٧) في الطبري: " بحرية "، وفي الأخبار الطوال: هند.
(٨) في الأصل " سليمان بن صرد " وهو خطأ فاحش، وما أثبتناه عن الطبري. وفي الأخبار الطوال: سلمان.
(٩) بالأصل: عبد الله.
(١٠ – ١٠) مكانها في الطبري: فو الله ما تقرن بي الصعبة، ولا يقعقع لي بالشنان.

(١١) يقال: إنه لنكل شر، بكسر النون وسكون الكاف، أي ينكل بأعدائه. وما أثبتناه عن الطبري، وفي الأصل " لركن ".
(١٢) عن الطبري، وبالأصل " سمام ".

حاربني (١)، فقد أنصف القارة من راماها (٢)، يا أهل البصرة! إن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد ولاني الكوفة وأنا سائر إليها غدا إن شاء الله تعالى، وقد استخلفت عليكم أخي عثمان بن زياد، فإياكم والخلاف والإرجاف (٣)، فو الذي لا إله إلا هو! لو بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه ولأقتلن عريفه (٤)، ولآخذن الأدنى بالأقصى حتى يستقيموا لي، فاحذروا أن يكون فيكم مخالف أو مشاق، فأنا ابن زياد (٥) الذي لم ينازعني عم ولا خال - والسلام -. قال: ثم نزل من المنبر.

فلما كان من الغد نادى في الناس وخرج من البصرة يريد الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي والمنذر بن الجارود العبدي (٦) وشريك بن الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته (٦)، فلم يزل يسير حتى بلغ قريبا من الكوفة.

ذكر [مسير] عبيد الله بن زياد ونزوله الكوفة وما فعل بها

قال: فلما تقارب عبيد الله بن زياد من الكوفة نزل، فلما أمسى وجاء الليل دعا بعمامة غبراء (٧) واعتجر بها ثم تقلد سيفه وتوشح قوسه وتكنن كنانته وأخذ في يده قضيبا واستوى على بغلته الشهباء، وركب معه أصحاب، وأقبل حتى دخل الكوفة من

---

(١) عن الطبري، وبالأصل " نادبني ".

(٢) عن الطبري والأخبار الطوال، وبالأصل " القادة من رأياها " والقارة قوم رماة من العرب، وفي المثل: قد أنصف القارة من راماها، وقد زعموا أن رجلين التقيا أحدهما قاري والآخر أسدي. فقال القاري: إن شئت صارعتك، وإن شئت سابقتك وإن شئت راميتك فقال اخترت المراماة. فقال القاري: قد أنصفتني وأنشد:

قد أنصف القارة من راماها * إنا إذا ما فئة تلقاها

ترد أولاها على أخراها

ثم انترع له سهما فشك فؤاده.

(٣) عن الطبري والأخبار الطوال، وبالأصل " الجلاف ".

(٤) عن الطبري، وبالأصل " وعريقه ".

(٥) زيد في الطبري: أشبهته من بين وطئ الحصى ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم.

وفي الأخبار الطوال ص ٢٣٢: حتى تستقيموا، وقد أعذر من أنذر.

(٦) عن الطبري، ومكانها بالأصل: " وعبد الله بن شريك " وفي الأخبار الطوال: وخرج معه من أشراف أهل البصرة شريك بن الأعور والمنذر بن الجارود.

(٧) في الطبري ومروج الذهب: عمامة سوداء.

طريق البادية وذلك في ليلة مقمرة والناس متوقعون قدوم الحسين رضي الله عنه، قال: فجعلوا ينظرون إليه وإلى أصحابه وهو في ذلك يسلم عليهم فيردون عليه السلام، وهم لا يشكون أنه الحسين، وهم يمشون بين يديه، وهم يقولون: مرحبا بك يا بن بنت رسول الله [قدمت] (١) خير مقدم. قال: فرأى عبيد الله بن زياد من تباشير الناس بالحسين بن علي ما ساءه ذلك وسكت ولم يكلمهم ولا رد عليهم شيئا. قال: فتكلم مسلم بن عمرو الباهلي وقال: إليكم عن الأمير يا ترابية! فليس هذا من تظنون، هذا الأمير عبيد الله بن زياد قال: فتفرق الناس عنه ودخل عبيد الله بن زياد قصر الإمارة وقد امتلأ غيظا (٢) وغضبا (٣).

فلما أصبح نادى: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس إلى المسجد الأعظم، فلما علم أنهم قد تكاملوا خرج إليهم متقلدا بسيف متعمما (٤) بعمامة، حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أهل الكوفة! فإن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ولاني مصركم وثغركم وأمرني أن أغيث مظلومكم، وأن أعطي محرومكم، وأن أحسن إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدة على مريبكم (٥)، وأنا متبع (٦) في ذلك أمره ومنفذ فيكم عهده (٧) - والسلام -، ثم نزل ودخل القصر.

فلما كان اليوم الثاني خرج إلى الناس ونادى بالصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس خرج إليهم بزي خلاف ما خرج به أمس، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنه لا يصلح هذا الأمر إلا في شدة فمن غير عنف، ولين في غير

---

(١) زيادة عن الطبري ومروج الذهب والأخبار الطوال.

(٢) بالأصل: غيضا.

(٣) زيد في مروج الذهب ٣ / ٧٠ انتهى إلى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصن فيه، ثم أشرف عليه. فقال: يا بن رسول الله ما لي ولك؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان؟ فقال ابن زياد: لقد طال نومك يا نعيم. وحسر اللثام عن فيه، فعرفه ففتح له. وتنادى الناس: ابن مرجانة، وحصبوه بالحصباء، ففاتهم ودخل القصر. (وانظر الطبري ٥ / ٣٥٩).

(٤) بالأصل: منعما.

(٥) في الطبري: مريبكم وعاصيكم.

(٦) الأخبار الطوال: " وأنا منته "، وفي الطبري: وأنا متبع فيكم أمره.

(٧) زيد في الأخبار الطوال ص ٢٣٣: وأنا لمعطيكم كالوالد الشفيق ولمخالفكم كالسم النقيع، فلا يبقين أحد منكم إلا على نفسه " وقارن مع الطبري ٥ / ٣٥٩.

ضعف، وأن آخذ منكم البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، والولي بالولي. قال: فقام إليه رجل من أهل الكوفة يقال له أسد بن عبد الله المري فقال: أيها الأمير! إن الله تبارك وتعالى يقول: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وإنما المرء بجده، والسيف بحده، والفرس بشدة، وعليك أن تقول وعلينا أن نسمع، فلا تقدم فينا السيئة قبل الحسنة. قال: فسكت عبيد الله بن زياد ونزل عن المنبر فدخل قصر الإمارة.

وسمع بذلك مسلم بن عقيل وبقدوم عبيد الله بن زياد وكلامه، فكأنه اتقى على نفسه، فخرج من الدار التي (١) هو فيها في جوف الليل حتى أتى دار هانئ بن عروة المذحجي رحمه الله فدخل عليه، فلما رآه هانئ قام إليه وقال: ما وراءك - جعلت فداك؟ فقال مسلم: ورائي ما علمت هذا عبيد الله بن زياد الفاسق ابن الفاسق قد قدم الكوفة فاتقيته على نفسي (٢)، وقد أقبلت إليك لتجيرني وتأويني حتى أنظر إلى ما يكون. فقال له هانئ بن عروة: جعلت فداك! والله لقد كلفتني شططا! ولو لا دخولك داري (٣) لأحببت أن تنصرف، غير أني أرى ذلك عارا علي أن يكون رجل أتاني مستجيرا، فانزل على بركة الله (٤). قال: فنزل مسلم بن عقيل في دار هانئ المذحجي. وجعل عبيد الله بن زياد يسأل عنه فلم يجد من يرشده عليه، وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم رحمه الله في دار هانئ ويبايعون للحسين سرا، ومسلم بن عقيل يكتب أسماءهم ويأخذ عليهم العهود والمواثيق لا يركنون ولا يعذرون، حتى بايع مسلم بن عقيل نيف وعشرون ألفا (٥). قال: وهم مسلم بن

---

(١) بالأصل " الذي "، وقد تقدم أنه نزل في دار المختار بن أبي عبيد. وقيل غير ذلك. انظر ما لاحظنا في مكانه. وانظر الطبري ٥ / ٣٦٢.

(٢) وكان مسلم قد أخبر بمقالة عبيد الله بن زياد، وما أخذ به العرفاء والناس، وكان عبد الله قد قال للناس: " اكتبوا إلي الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق فمن كتبهم لنا فبرئ ومن لم يكتب لنا أحدا فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف ولا يبغي علينا منهم باغ فمن لم يفعل برئت منه الذمة وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره ". وكان هذا سبب خوف مسلم بن عقيل والتجائه إلى دار هانئ بن هانئ سيد قومه.

(٣) زيد في الطبري: وثقتك.

(٤) انظر الطبري ٥ / ٣٦٢ والأخبار الطوال ص ٢٢٣.

(٥) في الإمامة والسياسة ٢ / ٨ أكثر من ثلاثين ألفا.

عقيل أن يثب إلى عبيد الله (١) بن زياد فيمنعه هانئ من ذلك ويقول: لا تعجل فإن العجلة لا خير فيها.
ودعا عبيد الله بن زياد بمولى له يقال له معقل (٢) فقال: هذه ثلاثة آلاف (٣) درهم خذها إليك والتمس لي مسلم بن عقيل حيث كان من الكوفة، فإذا عرفت موضعه فادخل إليه وأعلمه أنك من شيعته وعلى مذهبه وادفع إليه هذه (٤) الثلاثة آلاف درهم وقل له: استعن (٥) بهذه على عدوك، فإنك إذا دفعت إليه الثلاثة آلاف درهم وثق بناحيتك واطمأن عليك ولم يكتمك من أمره شيئا، وفي غداة غد تعدو (٦) علي بالأخبار.
قال: فأقبل معقل مولى عبيد الله بن زياد حتى دخل المسجد الأعظم، فرأى رجلا من الشيعة يقال له مسلم بن عوسجة الأسدي فجلس إليه فقال: يا (٧) عبد الله إني رجل من أهل الشام (٨) غير أني أحب أهل هذا البيت وأحب من أحبهم، ومعي ثلاثة آلاف درهم أريد أن أدفعها إلى رجل قد بلغني عنه أنه يقدم (٩) إلى بلدكم هذا يأخذ البيعة لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسين بن علي، فإن رأيت هل تدلني عليه
حتى أدفع إليه المال الذي معي وأبايعه؟ وإن شئت فخذ بيعتي له قبل (١٠) أن تدلني عليه. قال: فظن مسلم بن عوسجة أن القول على ما يقول، فأخذ عليه الأيمان المغلظة والمواثيق والعهود وأنه يناصح ويكون عونا لمسلم بن عقيل رحمه الله على عبيد الله بن زياد، قال: فأعطاه موثقا من الأيمان وما وثق به مسلم بن عوسجة، ثم

---

(١) بالأصل: " بعبيد الله ".
(٢) في البداية والنهاية: مولى أبي رهم، وقيل كان مولى له يقال له معقل.
(٣) بالأصل " ألف " ما أثبت عن الطبري.
(٤) بالأصل: هذه الألف درهم. ما أثبت عن الطبري.
(٥) بالأصل: استعين.
(٦) الأصل: تعدوا.
(٧) بالأصل: يا أبا عبد الله، وما أثبتناه عن الطبري.
(٨) زيد في الطبري: " مولى لذي الكلاع " وفي البداية والنهاية: من بلاد حمص.
(٩) الطبري: قدم.
(١٠) الطبري: قبل لقائه.

قال له: انصرف عني الآن يومي هذا حتى أنظر ما يكون! قال: فانصرف معقل مولى زياد (١).
قال: ومرض شريك بن عبد الله الأعور الهمداني (٢) في منزل هانئ بن عروة، وعزم عبيد الله بن زياد على أن يصير إليه فيجتمع به، ودعا شريك بن عبد الله مسلم بن عقيل فقال له: جعلت فداك! غدا يأتيني هذا الفاسق عائدا وأنا مشغله لك بالكلام، فإذا فعلت ذلك فقم أنت اخرج إليه من هذه الداخلة فاقتله! فإن أنا عشت فسأكفيك أمر النصرة إن شاء الله.
قال: فلما أصبح عبيد الله بن زياد ركب وسار يريد دار ابن هانئ ليعود شريك بن عبد الله، قال: فجلس وجعل يسأل منه. قال: وهم مسلم أن يخرج إليه ليقتله فمنعه من ذلك صاحب المنزل هانئ (٣)، ثم قال: جعلت فداك! في داري صبية وإماء وأنا لا آمن الحدثان. قال: فرمى مسلم بن عقيل السيف من يده وجلس ولم يخرج، وجعل شريك بن عبد الله يرمق الداخلة وهو يقول:
ما تنظرون بسلمى عند فرصتها * فقد وفى ودها واستوسق الصرم (٤).

---

(١) العبارة في الطبري: قال له: اختلف إلي أياما في منزلي، فأنا طالب لك الإذن على صاحبك. فأخذ يختلف مع الناس فطلب له الإذن.
وفي البداية والنهاية: فلم يزل يتلطف ويستدل على الدار التي يبايعون بها مسلم بن عقيل حتى دخلها.
(٢) في الأخبار الطوال: البصري، وقد تناقلت المصادر هذه القصة واختلفت في اسم المريض فمنها من قال هانئ بن عروة المرادي ومنها من قال: شريك بن الأعور، وقد مرض في منزل هانئ.
انظر تفاصيل ذلك في الطبري ٥ / ٣٦٣ والأخبار الطوال ص ٢٣٣ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٤٣ ابن الأثير ٢ / ٥٣٧ البداية والنهاية ٨ / ١٦٤ - ١٦٥ الإمامة والسياسة ٢ / ٨ - ٩.
(٣) في رواية الطبري أن هانئا مرض فجاءه عبيد الله عائدا له، فقال له عمارة بن عبيد السلولي: إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية، فقد أمكنك الله منه فاقتله، فقال هانئ: ما أحب أن يقتل في داري، فخرج، فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور، فأرسل إليه عبيد الله: إني رائح إليك العشية فقال لمسلم: إن هذا الفاجر عائدي العشية، فإذا جلس فأخرج إليه فاقتله... وانظر المصادر المثبتة في الحاشية السابقة.
(٤) البيت المثبت عن الأخبار الطوال ص ٢٣٤ وكان في الأصل:
ما تنظرون بسلمى أن تجيبوها * اسقوني شربتي وإن منيتي فيها
وهو غير مستقيم. وفي الطبري:
ما تنظرون بسلمى أن تحيوها * اسقنيها وان كانت فيها نفسي
وفي ابن الأثير: " إسقونيها... بها نفسي ".

فقال له: عبيد الله (١) بن زياد: ما يقول الشيخ؟ فقيل له: إنه مبرسم (٢) أصلح الله الأمير. قال: فوقع في قلب عبيد الله بن زياد أمر من الأمور فركب من ساعته ورجع إلى القصر (٣).

وخرج مسم بن عقيل إلى شريك بن عبد الله (٤) من داخل الدار. فقال له شريك: يا مولاي جعلت فداك! ما الذي منعك من الخروج إلى الفاسق، وقد كنت أمرتك بقتله وشغلته لك بالكلام؟ فقال: منعني من ذلك (٥) حديث سمعته من عمي علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: الإيمان قيد الفتك (٦)، فلم أحب أن أقتل عبيد الله (٧) بن زياد في منزل هذا الرجل. فقال له شريك: والله! لو قتلته لقتلت فاسقا فاجرا منافقا. قال: ثم لم يلبث شريك بن عبد الله إلا ثلاثة (٨) أيام حتى مات - رحمه الله -. وكان من خيار الشيعة غير أنه يكتم ذلك إلا عمن يثق به من إخوانه.

قال:

وخرج عبيد الله بن زاد فصلى عليه ورجع إلى قصره.

فلما كان من الغد أقبل معقل مولى عبيد الله بن زياد إلى مسلم بن عوسجة فقال له: إنك كنت وعدتني أن تدخلني على هذا الرجل فأدفع إليه هذا المال، فما الذي

---

(١) بالأصل: عبد الله.

(٢) مبرسم: من البرسام. معرب وبر تعني الصدر، وسام من أسماء الموت. قال الجوهري: علة معروفة. (اللسان).

(٣) كان مع عبيد الله بن زياد مهران مولى له، وكأنه قد انتبه وبعد أن كرر شريك كلامه " اسقوني ماء " أن في الأمر مكيدة وغدرا فغمز مولاه عبيد الله فوثب وخرج من الدار، فقال له مهران: أراد والله قتلك. انظر الطبري ٥ / ٣٦٠ ابن الأثير ٢ / ٥٣٨ الإمامة والسياسة ٢ / ٩ البداية والنهاية ٨ / ١٦٥ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٤٣.

(٤) في الأخبار الطوال ص ٢٣٥: منعني منه خلتان: إحداهما: كراهية هانئ لقتله في منزله، والأخرى قول رسول الله (ص): الإيمان... ".

(٦) أخرجه أبو داود في الجهاد (باب ١٥٧)، والإمام أحمد في مسنده ١ / ١٦٦ - ١٦٧، ٤ / ٩٢ وفيه: الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن.

(٧) الأصل: لعبيد الله.

(٨) في الأخبار الطوال: أياما.

بدا لك في ذلك؟ فقال: إذا أخبرك يا أخا أهل الشام! إنا شغلنا بموت هذا الرجل شريك بن عبد الله وقد كان من خيار الشيعة وممن يتوالى أهل هذا البيت. فقال معقل مولى عبيد الله بن زياد: ومسلم بن عقيل في دار هانئ؟ فقال: نعم، قال: فقال معقل (١): فقم بنا إليه حتى ندفع إليه هذا المال وأبايعه.

قال: فأخذ مسلم بن عوسجة بيده فأدخله على مسلم بن عقيل فرحب به مسلم وقربه وأدناه وأخذ بيعته وأمر أن يقبض منه ما معه من المال. فأقام معقل مولى عبيد الله بن زياد في منزل هانئ يومه ذلك، حتى إذا أمسى انصرف إلى عبيد الله بن زياد معجبا لما قد ورد عليه من الخبر. ثم قال [عبيد الله] لمولاه: انظر إن تختلف إلى مسلم بن عقيل في كل يوم لئلا يستريبك وينتقل من منزل ابن هانئ إلى مكان غيره فأحتاج أن ألقى في طلبه عتبا (٢).

قال: ثم دعا عبيد الله [بن] (٣) زياد محمد بن الأشعث بن قيس وأسماء بن خارجة الفزاري وعمرو بن الحجاج الزبيدي. فقال: خبروني عنكم ما الذي يمنع هانئ بن عروة من المصير إلينا (٤)؟ فقالوا: إنه مريض فقال عبيد الله بن زياد: قد كان مريضا غير أنه قد برئ من علته ويجلس (٥) على باب داره، فعليكم أن تصيروا إليه وتأمروه أن لا يدع ما يجب عليه من حقنا (٦)، فإني لا أحب أن أستفسر رجلا مثله

لأني لم أزل له مكرما. فقالوا: نفعل أصلح الله الأمير، نلقاه في ذلك ونأمره بما تحب.

قال: فبينا عبيد الله بن زياد من هؤلاء القوم في محاورة إذ دخل عليه رجل من

---

(١) بالأصل: " فقال عبد الله بن معقل " بزيادة عبد الله بن وهو خطأ.

(٢) في الأخبار الطوال ص ٢٣٦: فكان الشامي يغدو إلى مسلم بن عقيل فلا يحجب عنه، فيكون نهاره كله عنده فيتعرف جميع أخبارهم، فإذا أمسى وأظلم عليه الليل دخل على عبيد الله بن زياد فأخبره بجميع قصصهم وما قالوا وفعلوا في ذلك، وأعلمه بنزول مسلم في دار هانئ بن عروة.

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) في الطبري " إتياننا ". وكان هانئ بن عروة، وبعد نزول مسلم بن عقيل في داره، قد آثر عدم الخروج وتمارض وجعل لا يخرج وقد كان قبل يغدو ويروح إلى عبيد الله.

(٥) عن الطبري، وبالأصل " وجلس ".

(٦) في الأخبار الطوال: من حق التسليم.

أصحابه يقال له عبد الله بن يربوع التميمي فقال: أصلح الله الأمير! ههنا خبر، فقال له [ابن] (١) زياد: وما ذاك؟ قال: كنت خارج الكوفة أجول على فرسي وأقلبه إذ نظرت إلى رجل قد خرج من الكوفة مسرعا يريد البادية، فأنكرته ثم لحقته وسألته عن حاله وأمره، فذكر أنه من أهل المدينة، ثم نزلت عن فرسي ففتشته فأصبت معه هذا الكتاب. قال: فأخذ عبيد الله بن زياد الكتاب ففضه وقرأه وإذا فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي، أما بعد فإني أخبرك أنه قد بايعك من أهل الكوفة نيف وعشرون ألفا، فإذا بلغك كتابي هذا فالعجل العجل، فإن الناس كلهم معك وليس لهم في يزيد بن معاوية رأي ولا هوى - والسلام -. قال: فقال ابن زياد: أين هذا الرجل الذي أصبت معه هذا الكتاب؟ قال: بالباب. فقال: ائتوني به!
فلما دخل ووقف بين يدي ابن زياد فقال له: من أنت؟ قال: أنا مولى لبني هاشم، قال: فما اسمك؟ قال: اسمي عبد الله بن يقطين، قال: من دفع إليك هذا الكتاب؟ قال: دفعه إلي امرأة لا أعرفها. قال: فضحك عبيد الله بن زياد وقال: أخبرني واحدة من ثنتين: إما أن تخبرني من دفع إليك هذا الكتاب، فتنجو من يدي، وإما أن تقتل. فقال: أما الكتاب فإني لا أخبرك من دفعه إلي، وأما القتل فإني لا أكرهه، فإني لا أعلم قتيلا عند الله أعظم ممن يقتله مثلك. قال: فأمر عبيد الله بن زياد بضرب عنقه، فضربت رقبته صبرا - رحمه الله -.
ثم أقبل على (٢) محمد بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وأسماء بن خارجة فقال: صيروا إلى هانئ بن عروة فاسألوه أن يصير إلينا فإنا نريد مناظرته.
ذكر هانئ وعبيد الله بن زياد
قال: فركب القوم وساروا إلى هانئ وإذا به جالس على باب داره، فسلموا عليه وقالوا له: ما الذي يمنعك من إتيان (٣) هذا الأمير؟ فقد ذكرك غير مرة (٤). فقال: والله ما يمنعني من المصير إليه إلا العلة. فقالوا له: صدقت، ولكنه بلغه

---

(١) سقطت من الأصل.
(٢) بالأصل: " على أبي محمد " خطأ.
(٣) في الطبري: من لقاء الأمير.
(٤) زيد في الطبري: " وقد قال: لو أعلم أنه شاك لعدته " وفي الإمامة والسياسة ٢ / ٩ أن عبيد الله قال: ائتوني به وإن كان شاكيا.

عنك أنك تقعد على باب دارك عشية واستبطأك، والإبطاء (١) والجفاء لا يحتمله السلطان من مثلك، لأنك سيد في عشيرتك ونحن نقسم عليك إلا ركبت معنا إليه.
قال: فدعا هانئ ثيابه (٢) ولبسها، ودعا ببغلة (٣) له فركبها، وسار مع القوم حتى إذا صار إلى باب قصر الإمارة كأن نفسه أحست (٤) بالشر (٥) فالتفت إلى حسان بن أسماء [بن خارجة] (٦) فقال له: يا بن أخي! إن نفسي تحدثني بالشر. فقال له حسان: سبحان الله يا عم! لا أتخوف عليك فلا تحدثك نفسك بشيء من هذا (٧).
ثم دخل القوم على عبيد الله بن زياد وشريح القاضي جالس عنده، فلما نظر إليهم من بعيد التفت إلى شريح القاضي فقال:

أريد حياته ويريد قتلي * خليلي من عذيري من مراد (٨)

فقال له هانئ بن عروة: وما ذاك أيها الأمير؟ فقال: (٩) بالله يا هانئ (٩) جئت بمسلم بن عقيل، وجمعت له الجموع من السلاح والرجال في الدار حولك، وظننت أن ذلك يخفى علي وأني لا أعلم؟ فقال: ما فعلت (١٠)! قال ابن زياد: بلى قد فعلت! قال: ما فعلت! فقال ابن زياد: أين معقل؟ فجاء معقل حتى وقف بين يديه، فنظر هانئ إلى معقل مولى زياد فعلم أنه كان عينا عليهم وأنه هو الذي أخبر ابن زياد عن مسلم، فقال: أصلح الله الأمير! والله ما دعوت مسلم بن عقيل ولا

---

(١) بالأصل: والاستبطاء، وما أثبت عن الطبري.
(٢) الطبري: بثيابه.
(٣) عن الطبري، وبالأصل: بغلة. وفي الأخبار الطوال: ببغلته.
(٤) عن الطبري، وبالأصل: حست.
(٥) في الإمامة والسياسة: فجعل يسير قليلا ويقف، ويقول: ما لي أذهب إلى ابن زياد، فما زال ذلك دأبه حتى دخل عليه.
(٦) زيادة عن الطبري.
(٧) زيد في الطبري: أن أسماء لم يعلم في أي شيء بعث إليه عبيد الله فأما محمد (بن الأشعث) فقد علم به.
(٨) البيت لعمرو بن معدي كرب. الطبري ٥ / ٣٦٥ واللآلئ ص ١٣٨ وابن الأثير ٢ / ٥٣٩ ابن كثير ٨ / ١٦٥ الأخبار الطوال ص ٢٣٧ باختلاف روايته.
(٩ - ٩) في الطبري: ما هذه الأمور التي تربص في دورك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين.
(١٠) زيد في الطبري: وما مسلم عندي.

آويته. ولكنه جاءني مستجيرا فاستحييت (١) من رده وأخذني من ذلك ذمام (٢)، فأما إذا قد علمت فخل سبيلي حتى أرجع إليه وآمره أن يخرج من داري فيذهب حيث شاء. فقال [ابن] (٣) زياد: لا والله ما تفارقني أو تأتيني (٤) بمسلم بن عقيل. فقال (٥): إذا والله لا آتيك به أبدا! آتيك بضيفي! فقال: والله لا تفارقني حتى تأتي به! فقال: والله لا كان ذلك أبدا. قال فتقدم (٦) مسلم بن عمرو الباهلي وقال: أصلح الله الأمير! ائذن لي في كلامه! فقال: كلمه بما أحببت ولا تخرجه من القصر. قال: فأخذ مسلم بن عمرو (٧) بيد هانئ فنحاه ناحية ثم قال: ويلك يا هذا! أنشدك بالله أن تقتل نفسك أو تدخل البلاء على عشيرتك في سبب مسلم بن عقيل، يا هذا! سلمه إليه فإنه لن يقدم عليه بالقتل أبدا. وأخرى فإنه سلطان، و ليس عليك في ذلك عار (٨) ولا منقصة. قال هانئ: بلى والله علي في ذلك من أعظم
العار أن يكون مسلم في جواري وضيفي وهو رسول ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم وعلى آله) وأنا حي صحيح الساعدين كثير الأعوان، والله لو لم أكن إلا وحدي – لكن وأنا كثير الأعوان – لما سلمته إليه أبدا حتى أموت. قال: فرده مسلم بن عمرو (٩) وقال: أيها الأمير! إنه قد أبى أن يسلم مسلم بن عقيل أو يقتل. قال: فغضب ابن زياد وقال: والله! لتأتيني به أو لأضربن عنقك. فقال: إذا والله تكثر البارقة (١٠) حول دارك. فقال له [ابن] (١١) زياد: أبالبارقة (١٢) تخوفني؟ ثم أخذ
قضيبا كان بين يديه فضرب (١٣) به وجه هانئ، فكسر به وجهه وأنفه وشق حاجبه.

---

(١) عن الطبري، وبالأصل: فاستحيت.
(٢) بالأصل: في الذمام، وما أثبت عن الطبري.
(٣) سقطت من الأصل.
(٤) الطبري: حتى تأتيني.
(٥) في الأخبار الطوال: أو يحمل بي أن أسلم ضيفي وجاري للقتل؟ والله لا أفعل ذلك أبدا.
(٦) في الطبري: فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم...
(٧) عن الطبري، بالأصل: عمير خطأ.
(٨) الطبري: مخزاة.
(٩) عن الطبري، وبالأصل: عمير خطأ.
(١٠) عن الطبري، وبالأصل: " الأبارقة " والبارقة: السيوف على التشبيه.
(١١) سقطت من الأصل.
(١٢) عن الطبري، وبالأصل: بالأبارقة.
(١٣) في الطبري: فاستعرض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه، وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب.

قال: فضرب هانئ بيده إلى قائم سيف من سيوف أصحاب ابن زياد فجاذبه ذلك الرجل ومنعه من السيف، وصاح عبيد الله بن زياد: خذوه! فأخذوه وألقوه في بيت من بيوت القصر وأغلقوا عليه الباب (١).

قال: ثم وثب أسماء بن خارجة إلى عبيد الله بن زياد فقال: أيها الأمير! أمرتنا أن نأتيك بالرجل فلما جئناك به وأدخلناه إليك هشمت وجهه وأسلت دمه (٢) وزعمت
أنك تقتله. قال: فغضب ابن زياد وقال: وأنت ههنا أيضا؟ ثم أمر بأسماء بن خارجة فضرب حتى وقع لجنبه. قال فحبس (٣) أسماء ناحية من القصر وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، إلى نفسي أنعاك يا هانئ (٤).

قال: وبلغ ذلك بني مذحج (٥)، فركبوا جميعهم عن آخرهم حتى وافوا باب القصر فضجوا وارتفعت أصواتهم، فقال عبيد الله بن زياد: ما هذا؟ فقيل له: أيها الأمير هؤلاء عشيرة هانئ بن عروة يظنون أنه قد قتل. فقال ابن زياد للقاضي شريح: قم فادخل إليه (٦) وانظر حاله واخرج إليهم وأعلمهم أنه (٧) لم يقتل. قال: فدخل شريح إلى هانئ فنظر إليه (٨)، ثم خرج إلى القوم فقال: يا هؤلاء! لا

---

(١) ثمة رواية مختلفة أوردها المسعودي في مروج الذهب ٣ / ٧١ للمقابلة التي جرت بين ابن زياد وهانئ: وفيه أن ابن زياد أغلظ القول لهانئ بعدما أنكر معرفته بمكان وجود مسلم بن عقيل، فقال له هانئ: إن لزياد أبيك عندي بلاء حسنا وأن أحب مكافأته به، فهل لك في خير؟ فقال ابن زياد: وما هو؟
قال: تشخص إلى أهل الشام أنت وأهل بيتك مسالمين بأموالكم فإنه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك. فقال ابن زياد: أدنوه مني، فأدنوه منه، فضرب وجهه... ".

(٢) في الطبري: وسيلت دمه على لحيته.

(٣) بالأصل: " فجلس ".

(٤) وأما موقف محمد بن الأشعث وهو أحد الذين ذهبوا إلى هانئ يدعونه إلى زيارة ابن زياد، قال الطبري: فقال: قد رضينا بما رأى الأمير. لنا كان أم علينا، إنما الأمير مؤدب.

(٥) في الطبري: وبلغ عمرو بن الحجاج - (وكانت أخت عمرو تحت هانئ بن عروة، وهي أم يحيى بن هانئ) - أن هانئا قد قتل، فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر...

(٦) الطبري: ادخل على صاحبهم.

(٧) الطبري والأخبار الطوال: أنه حي.

(٨) في الطبري: قال شريح: فلما رآني قال: يا لله يا للمسلمين! أهلكت عشيرتي، فأين أهل الدين، و أين أهل المصر، تفاقدوا يخلوني... (إذ سمع الرجة على باب القصر) فقال يا شريح: إني لأظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين إن دخل علي عشرة نفر أنقذوني...

تعجلوا بالفتنة فإن صاحبكم لم يقتل، والذي أبلغكم فإنه أبلغكم باطلا. قال: فرجع القوم وانصرفوا.

قال: وخرج عبيد الله بن زياد من القصر حتى دخل المسجد الأعظم فحمد الله وأثنى عليه، ثم التفت فرأى أصحابه عن يمين المنبر وعن شماله وفي أيديهم الأعمدة والسيوف المسللة، فقال: أما بعد يا أهل الكوفة فاعتصموا بطاعة الله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا (١) فتهلكوا وتندموا وتذلوا وتقهروا، فلا

يجعلن أحد على نفسه سبيلا، وقد أعذر من أنذر.

قال: فما أتم عبد الله بن زياد ذلك الخطبة حتى سمع الصيحة، فقال: ما هذا؟ فقيل له: أيها الأمير! الحذر الحذر! هذا مسلم بن عقيل قد أقبل في جميع من بايعه (٢)! قال: فنزل عبيد الله بن زياد عن المنبر مسرعا وبادر فدخل القصر و أغلق الأبواب.

ذكر مسلم بن عقيل رحمه الله وخروجه على عبيد الله

ابن زياد

قال: وأقبل مسلم بن عقيل رحمه الله في وقته ذلك عليه وبين يديه ثمانية عشر ألفا أو يزيدون (٣)، وبين يديه الأعلام وشاكوا السلاح، وهم في ذلك يشتمون عبيد الله بن زياد ويلعنون أباه. قال: وركب أصحاب عبيد الله واختلط القوم، فقاتلوا قتالا شديدا (٤)، وعبيد الله بن زياد وجماعة من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس.

---

(١) عن الطبري، وبالأصل، فتفرقوا.

(٢) في مروج الذهب ٣ / ٧١ ولما بلغ مسلما ما فعل ابن زياد بهانئ أمر مناديا فنادى يا منصور وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها، فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار إلى ابن زياد، فتحصن منه، فحصروه في القصر.

(٣) في الطبري: عقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزير الكندي على ربع كندة وربيعة، ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد - وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم و همدان، وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة.

(٤) في الأخبار الطوال: تحصن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشراف أهل الكوفة والأعوان والشرط وكانوا مقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر و النشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر فلم يزالوا كذلك حتى أمسوا.

قال: وجعل رجل من أصحاب عبيد الله بن زياد اسمه كثير بن شهاب ينادي من أعلى القصر بأعلى صوته: ألا يا شيعة مسلم بن عقيل! ألا يا شيعة الحسين بن علي! الله الله في أنفسكم وفي أهاليكم وأولادكم، فإن جنود أهل الشام قد أقبلت، وإن الأمير عبيد الله بن زياد قد عاهد الله لئن أقمتم على حربكم ولم تنصرفوا من يومكم هذا ليحرمنكم العطاء وليفرقن مقاتلتكم في مغازي أهل الشام، وليأخذن البريء بالسقيم والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى منكم (٢) بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال أمرها (٣) (٤).

قال: فلما سمع الناس ذلك تفرقوا وتحادوا عن مسلم بن عقيل رحمه الله، ويقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة وغدا تأتينا جموع أهل الشام، ينبغي لنا أن نفعل في منزلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم. قال: ثم جعل القوم يتسللون والنهار يمضي، فما غابت الشمس حتى بقي مسلم بن عقيل في عشرة (٥) أفراس من أصحابه لا أقل ولا أكثر واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلي المغرب وتفرق عنه العشرة. فلما رأى ذلك استوى على فرسه ومضى في بعض أزقة الكوفة (٦)، وقد أثخن بالجراحات حتى صار إلى دار امرأة يقال لها طوعة، وقد كانت فيما مضى امرأة قيس الكندي فتزوجها رجل من حضرموت يقال له (٧) أسد بن البطين فأولدها ولدا يقال له أسد. وكانت المرأة واقفة على باب

---

(١) عن الطبري، وبالأصل: مقابلي كم.

(٢) في الطبري: له فيكم.

(٣) الطبري: وبال ما جرت أيديها.

(٤) وكان عبيد الله بن زياد قد أمر بعض أشراف أهل الكوفة أن يسيروا فيمن أطاعهم من أهل الكوفة ويخذلوا الناس عن مسلم بن عقيل. فدعا كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج... وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت... وقال مثل ذلك للقعقاع بن ثور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري..

ثم جمع الأشراف إليه مجددا وقال لهم: منوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم. (انظر الطبري ٥ / ٣٦٩ - ٣٧٠) والأخبار الطوال ص ٢٣٩.

(٥) في الطبري: ثلاثون، وفي مروج الذهب: مئة رجل.

(٦) في مروج الذهب: لا يدري أين يتوجه.

(٧) في الطبري: أسيد الحضرمي، فولدت له بلالا. وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره.

دارها، فسلم عليها مسلم بن عقيل، فردت عليه السلام ثم قالت: ما حاجتك؟ قال: اسقيني شربة من الماء فقد بلغ (١) مني العطش، قال: فسقته حتى روى فجلس على بابها، فقالت: يا (٢) عبد الله! ما لك جالس أما شربت؟ فقال: بلى و الله (٣) ولكني ما لي بالكوفة منزل، وإني غريب قد خذلني من كنت أثق به، فهل لك في معروف تصطنعيه إلي فإني رجل من أهل بيت شرف وكرم، ومثلي من يكافئ بالإحسان. فقالت: وكيف ذلك؟ ومن أنت؟ فقال مسلم رحمه الله: خلي هذا الكلام وأدخليني منزلك عسى الله أن يكافئك غدا بالجنة. فقالت: يا عبد الله! خبرني اسمك ولا تكتمني شيئا من أمرك، فإني أكره أن يدخل منزلي من قبل معرفة خبرك وهذه الفتنة قائمة، وهذا عبيد الله بن زياد بالكوفة. فقال لها مسلم بن عقيل: إنك لو عرفتني حق المعرفة لأدخلتني (٤) دارك. أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب! فقالت المرأة: قم فادخل رحمك الله! فأدخلته منزلها (٥) وجاءته بالمصباح وبالطعام فأبى أن يأكل.

فلم يكن بأسرع من [أن -] (٦) جاء ابنها فلما أتى وجد أمه تكثر دخولها وخروجها إلى بيت هناك وهي باكية، فقال لها: يا أماه! إن أمرك يريبني لدخولك هذا البيت وخروجك منه باكية، ما قصتك؟ فقالت: يا ولداه! إني مخبرتك بشيء لا تفشه لأحد (٧)، فقال لها: قولي ما أحببت، فقالت له: يا بني! إن مسلم بن عقيل في ذلك البيت وقد كان من قصته كذا وكذا. قال: فسكت الغلام ولم يقل شيئا، ثم أخذ مضجعه ونام.

فلما كان من الغد نادى عبيد الله بن زياد في الناس أن يجتمعوا، ثم خرج من القصر وأتى إلى المسجد الأعظم فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها

---

(١) بالأصل: أبلغ.
(٢) بالأصل: يا أبا عبد الله.
(٣) زيد في الطبري: قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثم عادت فقالت مثل ذلك، فسكت، ثم قالت له: في الله، سبحان الله يا عبد الله، فمر إلى أهلك عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أحله لك.
(٤) بالأصل: إنك لو عرفتيني حق المعرفة لأدخلتيني.
(٥) الطبري: فأدخلته بيتا في دارها غير البيت الذي تكون فيه.
(٦) سقطت من الأصل.
(٧) زيد في الطبري: وأخذت عليه الأيمان، فحلف لها.

الناس! إن مسلم بن عقيل أتى هذا البلاد وأظهر العناد وشق العصا وقد برئت الذمة من رجل أصبناه (١) في داره، ومن جاء به فله ديته، اتقوا الله عباد الله وألزموا طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا، ومن أتاني بمسلم بن عقيل فله شعرة آلاف درهم والمنزلة الرفيعة من يزيد بن معاوية وله في كل يوم حاجة مقضية – و السلام –.

ثم نزل عن المنبر ودعا الحصين بن نمير السكوني (٢) فقال: ثكلتك أمك إن فاتتك سكة من سكك الكوفة لم تطبق على أهلها أو يأتوك بمسلم بن عقيل! فو الله لئن خرج من الكوفة سالما لنريقن أنفسنا في طلبه، فانطلق الآن فقد سلطتك على دور الكوفة وسككها. فانصب (٣) المراصد وجد الطلب حتى تأتيني بهذا الرجل.

قال (٤): وأقبل محمد بن الأشعث حتى دخل على عبيد الله بن زياد، فلما رآه قال: مرحبا بمن لا يتهم (٥) في مشورة! ثم أدناه وأقعده إلى جنبه (٦). وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم بن عقيل في دارها إلى عبد الرحمن بن [محمد بن] (٧) الأشعث فخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أمه. فقال له عبد الرحمن: اسكت الآن و لا تعلم بهذا أحدا من الناس. قال: ثم أقبل عبد الرحمن بن محمد إلى أبيه فساره في أذنه وقال: إن مسلما (٨) في دار طوعة، ثم تنحى عنه. فقال عبيد الله بن زياد: ما الذي قال لك عبد الرحمن؟ فقال: أصلح الله الأمير! البشارة العظمى. فقال: و ما ذاك؟ ومثلك من بشر بخير. فقال: إن ابني هذا يخبرني أن مسلم بن عقيل في (٩) دار طوعة عند مولاة لنا. قال (١٠): فسر بذلك، ثم قال: قم فأت به ولك ما

---

(١) الطبري: وجدناه.
(٢) الطبري وابن الأثير: حصين بن تميم.
(٣) الطبري: فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح غدا واستبر الدور وجس خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل. وانظر الأخبار الطوال ص ٢٤٠.
(٤) في الطبري ٥ / ٣٧٣ فلما أصبح (يعني عبيد الله) جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه.
(٥) الطبري: بمن لا يستغش ولا يتهم.
(٦) في الأخبار الطوال: فأقعده معه على سريره.
(٧) زيادة عن الطبري والأخبار الطوال. وفي مروج الذهب ٣ / ٧٢ غدا إلى محمد بن الأشعث فأعلمه.
(٨) بالأصل: مسلم.
(٩) الطبري: في دار من دورنا.
(١٠) في الطبري: فنخس بالقضيب في جنبه ثم قال: قم فأتني به الساعة.

بذلت من الجائزة الحظ الأوفى.
قال: ثم أمر عبيد الله بن زياد خليفته عمرو (١) بن حريث المخزومي أن يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة راجل (٢) من صناديد أصحابه.
قال: فركب محمد بن الأشعث حتى وافى الدار التي فيها مسلم بن عقيل.
قال: وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال فعلم أنه قد أتي في طلبه، فبادر رحمه الله إلى فرسه فأسرجه وألجمه، وصب عليه درعه، واعتجر بعمامة، وتقلد بسيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة، ويلهبون النار في نواحي القصب. قال: فتبسم مسلم رحمه الله، ثم قال: يا نفس! أخرجي إلى الموت الذي ليس منه (٣) محيص ولا عنه محيد، ثم قال للمرأة: أي رحمك الله وجزاك عني خيرا! اعلمي أنما أوتيت من قبل ابنك، ولكن افتحي الباب. قال: ففتحت الباب، وخرج مسلم في وجوه القوم كأنه أسد مغضب، فجعل يضاربهم بسيفه حتى قتل منهم جماعة (٤).
و بلغ ذلك عبيد الله بن زياد، فأرسل إلى محمد بن الأشعث وقال: سبحان الله يا (٥) عبد الله! بعثناك إلى رجل واحد تأتينا به فأثلم في أصحابي ثلمة عظيمة. فأرسل إليه محمد بن الأشعث: أيها الأمير! أما تعلم أنك بعثتني إلى أسد ضرغام، وسيف حسام، في كف بطل همام، من آل خير الأنام. قال: فأرسل إليه عبيد الله (٦) بن زياد: أن أعطه (٧) الأمان، فإنك لن تقدر عليه إلا بالأمان. فجعل محمد بن الأشعث يقول: ويحك يا بن عقيل! لا تقتل نفسك، لك الأمان! ومسلم بن عقيل يقول:

---

(١) في الأخبار الطوال ص ٢٤٠: عبيد.
(٢) في الطبري: ستين أو سبعين رجلا كلهم من قيس. وفي الأخبار الطوال: مائة رجل من قريش وكره أن يبعث إليه غير قريش خوفا من العصبية أن تقع.
فبعث معه - كما في الطبري: عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في ستين أو سبعين (في مروج الذهب: سبعين، وجهوا مع عبد الله بن العباس السلمي) من قيس.
(٣) مروج الذهب: عنه.
(٤) انظر في قتاله للقوم الطبري ٥ / ٣٧٣ مروج الذهب ٣ / ٧٢.
(٥) بالأصل: يا أبا.
(٦) بالأصل: عبيد.
(٧) بالأصل: أعطيه.

لا حاجة إلى أمان الغدرة، ثم جعل يقاتلهم وهو يقول (١):
أقسمت لا أقتل إلا حرا * ولو وجدت الموت كأسا مرا
أكره أن أخدع أو أغرا * كل امرئ يوما يلاقي شرا
أضربكم ولا أخاف ضرا
قال: فناداه محمد بن الأشعث وقال: ويحك يا بن عقيل! إنك لا تكذب ولا تغر (٢)، القوم ليسوا بقاتليك فلا تقتل نفسك. قال: فلم يلتفت مسلم بن عقيل رحمه الله إلى كلام ابن الأشعث وجعل يقاتل حتى أثخن بالجراح وضعف عن القتال، وتكاثروا عليه فجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة، فقال مسلم: ويلكم! ما لكم ترمونني بالحجارة كما ترمى الكفار! وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار، ويلكم! أما ترعون حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذريته. قال: ثم حمل عليهم على ضعفه فكسرهم
و فرقهم في الدروب، ثم رجع وأسند ظهره إلى باب دار هناك، فرجع القوم إليه فصاح بهم محمد بن الأشعث: ذروه حتى أكلمه بما يريد.
قال: ثم دنا منه ابن الأشعث حتى وقف قبالته وقال: ويلك يا بن عقيل! لا تقتل نفسك، أنت آمن ودمك في عنقي. فقال له مسلم: أتظن يا بن الأشعث أني أعطي بيدي أبدا وأنا أقدر على القتال! لا والله لا كان ذلك أبدا! ثم حمل عليه حتى ألحقه بأصحابه. ثم رجع موضعه فوقف وقال: اللهم! إن العطش قد بلغ (٣) مني.
قال: فلم يجسر أحد أن يسقيه الماء ولا قرب منه.
فأقبل ابن الأشعث على أصحابه وقال: ويلكم! إن هذا لهو العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع، احملوا عليه بأجمعكم حملة واحدة. قال: فحملوا عليه وحمل عليهم، فقصده من أهل الكوفة رجل يقال له بكير بن حمران الأحمري، فاختلفا بضربتين فضربه بكير ضربة على شفته العليا (٤)، وضربه مسلم بن عقيل ضربة فسقط إلى الأرض قتيلا، قال: فطعن من ورائه طعنة فسقط

---

(١) الأرجاز في الطبري وابن الأثير ومروج الذهب باختلاف في بعض الألفاظ والتعابير.
(٢) عن مروج الذهب وبالأصل " لا تعرف ".
(٣) الأصل: أبلغ.
(٤) في الطبري ومروج الذهب: فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا، وأشرع السيف في السفلى، و نصلت له ثنيتاه.

إلى الأرض، فأخذ أسيرا (١)، ثم أخذ فرسه وسلاحه.
وتقدم رجل من بني سليمان يقال له عبيد الله بن العباس فأخذ عمامته، فجعل يقول: اسقوني شربة من الماء! فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: والله (٢) لا تذوق الماء يا بن عقيل أو تذوق الموت! فقال له مسلم بن عقيل: ويلك يا هذا! ما أجفاك وأفظك وأغلظك! أشهد عليك أنك إن كنت من قريش فإنك مصلق، وإن كنت من غير قريش فإنك مدع (٣) إلى غير أبيك، من أنت يا عدو الله؟ فقال: أنا من عرف الحق إذ (٤) أنكرته، ونصح لإمامه (٥) إذ فششته، وسمع وأطاع إذ (٤) خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي! فقال له مسلم بن عقيل: أنت أولى بالخلود والحميم، إذ آثرت طاعة بني سفيان على طاعة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال مسلم بن عقيل رحمه
الله: ويحكم يا أهل الكوفة! اسقوني شربة من ماء! فأتاه غلام (٦) لعمرو بن حريث الباهلي بقلة فيها ماء وقدح فيها فناوله القلة، فكلما أراد أن يشرب امتلأ القدح دما، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم وسقطت ثنيتاه في القدح، فامتنع مسلم بن عقيل رحمه الله من شرب الماء (٧). قال: وأتي به حتى أدخل على عبيد الله بن زياد.

ذكر دخول مسلم بن عقيل على عبد الله بن زياد
و ما كان من كلامه وكيف قتل

قال: فأدخل مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد فقال له الحرسي: سلم على الأمير! فقال له مسلم: اسكت لا أم لك! مالك وللكلام؟ والله ليس هو لي بأمير فأسلم عليه! وأخرى فما ينفعني السلام عليه وهو يريد قتلي! فإن استبقاني فسيكثر عليه سلامي. فقال له عبيد الله بن زياد: لا عليك سلمت أم لم تسلم فإنك

---

(١) كذا، وثمة اجماع في المصادر أن مسلم بن عقيل أمكنهم من نفسه بعدما أعطي الأمان من محمد بن الأشعث.
(٢) في الطبري: لا والله لا تذوق منها قطرة أبدا حتى تذوق الحميم في نار جهنم.
(٣) بالأصل: داعى.
(٤) بالأصل: إذا.
(٥) بالأصل: الإمام، وما أثبتناه عن الطبري.
(٦) هو سليمان غلام عمرو، وفي الطبري أن عمارة بن عقبة بعث غلاما له يدعى قيسا فجاءه بقلة.
(٧) زيد في الطبري ومروج الذهب: فقال الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لشربته.

مقتول: فقال مسلم بن عقيل: إن قتلتني فقد قتل شر منك من كان خيرا مني. فقال له ابن زياد: يا شاق! يا عاق! خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين (١) [وألقحت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا بن زياد! والله ما كان] معاوية [خليفة بإجماع الأمة، بل تغلب على وصي النبي بالحيلة، وأخذ عنه الخلافة بالغصب] و [كذلك] ابنه يزيد (١). وأما الفتنة فإنك ألقحتها أنت وأبوك (٢) زياد بن علاج من بني ثقيف وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يرى شر بريته، فو الله ما خالفت ولا كفرت ولا بدلت! وإنما أنا في طاعة أمير المؤمنين الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد. فقال له ابن زياد:

يا فاسق! ألم تكن تشرب الخمر في المدينة؟ فقال مسلم بن عقيل: أحق والله بشرب (٣) الخمر مني من (٤) يقتل النفس الحرام وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنه لم يسمع (٥) شيئا. فقال له ابن زياد: يا فاسق! منتك نفسك أمرا أحالك الله دونه وجعله لأهله. فقال مسلم بن عقيل: ومن أهله يا بن مرجانة؟ فقال: أهله يزيد ومعاوية.

فقال مسلم بن عقيل: الحمد لله كفى (٦) بالله حكما بيننا وبينكم. فقال ابن زياد - لعنه الله -: أتظن أن لك (٧) من الأمر شيئا (٨)؟ فقال مسلم بن عقيل: لا والله ما هو الظن ولكنه اليقين. فقال ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك (٩)! فقال مسلم: إنك لا تدع سوء القتلة (١٠) وقبح المثلة (١٠) وخبث السريرة، والله لو كان معي عشرة ممن أثق

بهم وقدرت على شربة من ماء لطال عليك أن تراني في هذا القصر، ولكن إن كنت عزمت على قتلي ولا بد لك من ذلك فأقم إلي رجلا من قريش أوصي إليه بما أريد.

(١ - ١) ما بين معكوفتين زيادة عن الترجمة الفارسية، وما في الأصل هنا: معاوية وابنه يزيد، والنص غير واضح.

(٢) الأصل: وأبيك.

(٣) عن الطبري وبالأصل: يشرب.

(٤) في الطبري: من يلغ في دماء المسلمين ولغا فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس ويسفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن...

(٥) الطبري: لم يصنع.

(٦) الطبري: رضينا.

(٧) الطبري: لكم.

(٨) عن الطبري وبالأصل شيء.

(٩) زيد في الطبري: قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام.

(١٠ - ١٠) عن الطبري، وبالأصل: الغفلة وفتح المذلة.

فوثب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص فقال: أوص إلي بما تريد يا بن عقيل (١)! فقال: أوصيك ونفسي بتقوى الله فإن التقوى فيها الدرك لكل خير، وقد علمت ما بيني وبينك من القرابة، ولي إليك حاجة وقد يجب عليك لقرابتي أن تقضي حاجتي. قال: فقال ابن زياد: لا يجب يا بن عمر أن تقضي حاجة ابن عمك وإن كان مسرفا على نفسه فإنه مقتول لا محالة. فقال عمر بن سعد: قل ما أحببت يا بن عقيل! فقال مسلم رحمه الله: حاجتي إليك أن تشتري فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم فتبيعه وتقضي عني سبعمائة (٢) درهم استدنتها في مصركم، وأن تستوهب جثتي إذا قتلني هذا وتواريني في التراب، وأن تكتب إلى الحسين بن علي أن لا يقدم فينزل به ما نزل بي (٣). قال: فالتفت عمر (٤) بن سعد إلى عبيد الله بن زياد فقال: أيها الأمير! إنه يقول كذا وكذا. فقال ابن زياد (٥): أما ما ذكرت يا بن عقيل من أمر دينك فإنما هو مالك يقضى به دينك، ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأما جسدك إذا نحن قتلناك فالخيار في ذلك لنا، ولسنا نبالي ما صنع الله بجثتك، وأما الحسين فإن لم يردنا لم نرده، وإن أرادنا لم نكف عنه، ولكني أريد أن تخبرني يا بن عقيل بماذا أتيت إلى هذا البلد؟ شتت أمرهم وفرقت كلمتهم ورميت بعضهم على بعض! فقال مسلم بن عقيل: لست (٦) لذلك أتيت هذا البلد، ولكنكم (٧) أظهرتم المنكر، و دفنتم المعروف، وتأمرتم على الناس من غير رضى، وحملتموهم على غير ما

---

(١) كذا بالأصل، وفي المصادر أن مسلما وبعد أن استعرض جلساء عبيد الله بن زياد طلب إلى عمر بن سعد أن يقبل أن يوصي إليه، فقبل.

(٢) الأصل والطبري، وفي الأخبار الطوال: ألف درهم.

(٣) وكان مسلم بن عقيل وبعد تحوله إلى دار هانئ بن عروة قد بعث كتابا إلى الحسين بن علي (رض) مع عابس بن أبي شبيب الشاكري وفيه: أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفا. فعجل الاقبال حين يأتيك كتابي، فإن الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى والسلام الطبري ٥ / ٣٧٥.

و في رواية عند الطبري أيضا ٥ / ٣٧٤ أن مسلم لما أسره محمد بن الأشعث أخبره مقدم الحسين، وأن ابن الأشعث بعث إلى الحسين بخبر أسر مسلم وما آل إليه أمره ويدعوه إلى العودة من حيث أتى.

(٤) بالأصل: عمرو.

(٥) قد أسأت في إفشائك ما أسره إليك، وقد قيل: " إنه لا يخونك إلا الأمين، وربما ائتمنك الخائن " كذا في الأخبار الطوال ص ٢٤١. وانظر الطبري ٥ / ٣٧٧.

(٦) بالأصل: ليس، وما أثبتناه عن الطبري.

(٧) العبارة في الطبري ٥ / ٣٧٧ ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر.

أمركم الله به، وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف، وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك، ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا تزال الخلافة لنا فإنا (١) قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج على إمام هدى، وشق عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصبا، ونازع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلا إلا قول الله تبارك وتعالى: (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (٢). قال: فجعل ابن زياد يشتم عليا والحسن والحسين رضي الله عنهم، فقال له مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتيمة منهم، فاقض ما أنت قاض، فنحن أهل بيت موكل بنا البلاء. فقال عبيد الله بن زياد: الحقوا به إلى أعلى القصر فاضربوا عنقه وألحقوا رأسه جسده (٣). فقال مسلم رحمه الله: أما والله يا بن زياد! لو كنت من قريش أو كان بيني وبينك رحم
أو قرابة لما قتلتني ولكنك ابن أبيك.
قال: فأدخله ابن زياد القصر ثم دعا رجلا من أهل الشام قد كان مسلم بن عقيل ضربه على رأسه ضربة منكرة (٤)، فقال له: خذ مسلما (٥) واصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه بيدك ليكون ذلك أشفى لصدرك.
قال: فأصعد مسلم بن عقيل رحمه الله إلى أعلى القصر وهو في ذلك يسبح الله تعالى ويستغفره وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا (٦) وخذلونا. فلم يزل كذلك حتى أتى به إلى أعلى القصر. وتقدم ذلك الشامي فضرب عنقه - رحمه الله -.
ثم نزل الشامي إلى عبيد الله بن زياد وهو مدهوش، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ أقتلته؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير! إلا أنه عرض لي عارض فأنا له فزع مرعوب. فقال: ما الذي عرض لك؟ قال: رأيت ساعة قتلته رجلا حذاي أسود

---

(١) بالأصل: فإن.
(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٧.
(٣) في الطبري ٥ / ٣٧٨ ثم اتبعوا جسده رأسه.
(٤) يريد بكير بن حمران الأحمري كما في الطبري والمسعودي وقد تقدم أنه ضربه فقتله. وفي الأخبار الطوال ص ٢٤١ أن الذي تولى ضرب عنقه أحمر بن بكير.
(٥) بالأصل: مسلم.
(٦) بالأصل: غزونا، وفي الطبري: كذبونا وغرونا.

كثير السواد كريه (١) المنظر وهو عاض على إصبعيه - أو قال: شفتيه - ففزعت منه فزعا
لم أفزع قط مثله. قال: فتبسم [ابن] (٢) زياد وقال له: لعلك دهشت، وهذه عادة لم تعتدها (٣) قبل ذلك.

---

(١) بالأصل: كره.
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) بالأصل: لم تعتادها. خطأ.

ذكر هانئ بن عروة ومقتله بعد مسلم بن عقيل
رحمهما الله تعالى
قال: ثم أمر عبيد الله بن زياد بهانئ بن عروة أن يخرج فيلحق بمسلم بن عقيل، فقال محمد بن الأشعث: أصلح الله الأمير! إنك قد عرفت شرفه في عشيرته، وقد عرف قومه أني (١) وأسماء بن خارجة جئنا به إليك، فأنشدك الله أيها الأمير إنما وهبته لي فإني أخاف عداوة أهل بيته وإنهم سادات أهل الكوفة وأكثرهم عددا (٢). قال: فزبره ابن زياد، ثم أمر بهانئ بن عروة فأخرج إلى السوق إلى موضع يباع فيه الغنم وهو مكتوف. قال: وعلم أنه مقتول فجعل يقول: وأمذحجاه! واعشيرتاه (٣)! ثم أخرج يده من الكتاف وقال: أما من شيء فأدفع به عن نفسي (٢)؟ قال: فصكوه ثم أوثقوه كتافا، فقالوا: أمدد عنقك! فقال: لا والله ما كنت الذي أعينكم على نفسي فتقدم إليه غلام لعبيد الله بن زياد يقال له رشيد فضربه بالسيف فلم يصنع شيئا. فقال هانئ: إلى الله المعاد، اللهم! إلى رحمتك ورضوانك، اللهم اجعل هذا اليوم كفارة لذنوبي! فإني إنما تعصب لابن بنت نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فتقدم
رشيد وضربه ضربة أخرى فقتله (٥) - رحمه الله -. قال: ثم أمر عبيد الله بن زياد

---

(١) بالأصل: أن.
(٢) يفهم من عبارة الطبري أن كلام ابن الأشعث لابن زياد بشأن هانئ بن عروة كان قبل مقتل مسلم بن عقيل، وفيه أن عبيد الله بن زياد وعد محمد بن الأشعث أن يهبه له. ولكنه - بعد قتله مسلم بن عقيل - لم يف لابن الأشعث بوعده.
وفي الأخبار الطوال والإمامة والسياسة أن قتل هانئ بن عروة كان قبل مقتل مسلم بن عقيل.
(٣) في مروج الذهب ٣ / ٧٣ وهو يصيح: يا آل مراد، وهو شيخها وزعيمها. وفي الطبري: وأمذحجاه ولا مذحج لي اليوم. وأمذحجاه وأين مني مذحج.
(٤) في الطبري: أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يجاحش به رجل عن نفسه؟
(٥) عن الطبري، وبالأصل " وقتله ".

بمسلم بن عقيل وهانئ بن عروة رحمهما الله فصلبا جميعا منكسين، وعزم أن يوجه برأسيهما إلى يزيد بن معاوية، فأنشأ رجل من بني أسد يقول (١):

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري * إلى هانئ في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد فلق السيف رأسه * وآخر يهوى من جدار قتيل
أصابهما أمر الإله فأصبحا * أحاديث من يسعى بكل سبيل
ترى جسدا قد غير الموت لونه * ونضح دم قد سال كل مسيل
فتى كان أحيى من فتاه حيية * وأقطع من ذي شفرتين صقيل (٢)
فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم * فكونوا بغايا أرضيت بقليل

ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية

قال: ثم كتب ابن زياد إلى يزيد بن معاوية (٣): بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين، من عبيد الله بن زياد، الحمد الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤنة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أيده الله أن مسلم بن عقيل الشاق للعصا قدم إلى الكوفة ونزل في دار هانئ بن عروة المذحجي وإني جعلت عليهما العيون (٤) حتى استخرجتهما، فأمكني الله منهما بعد حرب ومناقشة، فقدمتهما

فضرب أعناقهما، وقد بعثت برأسيهما مع هانئ بن [أبي] (٥) حية الوادعي (٦) والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل الطاعة والسنة والجماعة فليسألهما (٧)

---

(١) بعضها في الطبري ٥ / ٣٨٠ وابن الأثير ٢ / ٥٤٤ ونسبت فيهما لعبد الله بن الزبير الأسدي، وقيل للفرزدق. والأخبار الطوال ص ٢٤٢ عبد الرحمن بن الزبير الأسدي، ومروج الذهب ٣ / ٧٣ والبداية والنهاية ٨ / ١٦٩ قال الشاعر.

وقد وردت الأبيات باختلاف بين المصادر والأصل، فليرجع القارئ إليها للملاحظة.

(٢) بعده في الطبري:

أبركت أسماء الهماليج آمنا * وقد طلبته مذحج بذحول
تطيف حواليه مراد وكلهم * على رقبه من سائل ومسؤول

(٣) نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٣٨٠.

(٤) زيد في الطبري: ودسست إليهما الرجال، وكدتهما حتى استخرجتهما.

(٥) زيادة عن الطبري والأخبار الطوال.

(٧) بالأصل " الوادعي " وما أثبت نسبة إلى وادعة بطن من همدان، وفي الطبري: الهمداني.

(٧) عن الطبري، وبالأصل " فسلهما ".

أمير المؤمنين عما تحب (١) فإنهما ذو عقل وفهم وصدق.
قال: فلما ورد الكتاب والرأسان جميعا (٢) إلى يزيد بن معاوية، قرأ الكتاب وأمر بالرأسين فنصبا على باب مدينة دمشق، ثم كتب إلى ابن زياد: أما بعد (٣)! فإنك لم تعد إذا كنت كما أحب عملت عمل (٤) الحازم وصلت صولة الشجاع الرابض (٥) فقد كفيت ووقيت ظني ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما عن الذي ذكرت فقد وجدتهما في رأيهما وعقلهما وفهمهما وفضلهما ومذهبهما كما ذكرت، وقد أمرت لكل واحد منهما بعشرة آلاف درهم وسرحت هما إليك، فاستوص بهما خيرا، وقد بلغني أن الحسين بن علي رضي الله عنهما فد عزم على المسير إلى العراق (٦)، فضع المراصد والمناظر (٧) واحترس واحبس على الظن، واكتب إلي في كل يوم بما يتجدد لك من خير أو شر - والسلام -.

---

(١) في الطبري: عما أحب.
(٢) في مروج الذهب أن مسلم أول قتيل صلبت جثته من بني هاشم، وأول رأس حمل من رؤوسهم إلى دمشق.
(٣) نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٣٨٠ والأخبار الطوال ص ٢٤٢.
(٤) في الأخبار الطوال: فعلت فعل.
(٥) الطبري: الرابط الجأش.
(٦) الأخبار الطوال: وقد بلغني أن الحسين بن علي قد فصل من مكة متوجها إلى ما قبلك.
(٧) المناظر جمع منظرة، وهو الموضع يرقب فيه العدو.

ابتداء أخبار الحسين بن علي عليهما السلام
قال: وبلغ الحسين بن علي بأن مسلم بن عقيل قد قتل - رحمه الله - وذلك أنه قدم عليه رجل من أهل الكوفة فقال له الحسين: من أين أقبلت؟ فقال: من الكوفة، وما خرجت منها حتى نظرت مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة المذحجي رحمهما الله قتيلين مصلوبين منكسين (١) في سوق القصابين. وقد وجه برأسيهما إلى يزيد بن معاوية قال: فاستعبر الحسين باكيا ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.
ثم إنه عزم على المسير إلى العراق، فدخل عليه عمر (٢) بن عبد الرحمن [بن الحارث] (٣) بن هشام المخزومي. فقال: يا بن بنت رسول الله! إني أتيت إليك بحاجة أريد أن أذكرها لك فأنا غير غاش لك فيها، فهل لك أن تسمعها؟ فقال الحسين (٤): هات، فو الله ما أنت عندي بمسئ الرأي، فقل ما أحببت! فقال: قد بلغني أنك تريد العراق وإني مشفق عليك (٥) من ذلك، إنك ترد إلى قوم فيهم الأمراء ومعهم بيوت الأموال، ولا آمن عليك أن (٦) يقاتلك من أنت أحب إليه من أبيه وأمه ميلا إلى الدنيا والدرهم، فاتق الله ولا تخرج من هذا الحرم. فقال له الحسين:

---

(١) بالأصل، قتيلان مصلوبان منكسان.
(٢) عن الطبري ٥ / ٣٨٢ وبالأصل عمرو.
(٣) زيادة عن الطبري.
(٤) في الطبري: قل، فو الله ما أظنك بسئ الرأي، ولا هو للقبيح: الأمر والفعل.
(٥) عليك من مسيرك.
(٦) بالأصل: أنك.

جزاك الله خيرا يا (١) بن عم! فقد علمت أنك أمرت بنصح، ومهما يقضي الله من أمر فهو كائن أخذت برأيك أم تركته. قال: فانصرف عنه عمر (٢) بن عبد الرحمن وهو يقول:

رب مستنصح سيعصي ويؤذى * ونصيح بالغيب يلفي نصيحا (٣)

قال: وقدم ابن عباس في تلك الأيام إلى مكة، وقد بلغه أن الحسين عليه السلام يريد أن يصير إلى العراق، فأقبل حتى دخل عليه مسلما، فقال: جعلت فداك يا بن بنت رسول الله! إنه قد شاع الخبر في الناس وأرجفوا بأنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع! فقال الحسين: نعم، إني أزمعت (٤) على ذلك في أيامي هذه إن شاء الله ولا قوة إلا بالله. فقال ابن عباس رحمه الله: أعيذك بالله من ذلك! فإن تصر إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا (٥) عدوهم، في مسيرك إليهم لعمري الرشاد والسداد، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم قاهر لهم وعمالهم يجبون بلادهم، وإنما دعوك إلى الحرب والقتال، وإنك تعلم أنه بلد قد قتل فيه أبوك واغتيل فيه أخوك وقتل فيه ابن عمك وبويع (٦) يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد في البلد يعطي ويفرض، والناس اليوم إنما هم عبيد الدينار والدرهم، ولا آمن عليك أن تقتل، فاتق (٧) الله والزم هذا الحرم (٨). فقال له الحسين: والله أن أقتل بالعراق أحب إلي من أن أقتل بمكة، وما قضى الله فهو كائن، وأنا مع ذلك أستخير الله وأنظر ما يكون (٩).

---

(١) عن الطبري، وبالأصل: " من ".

(٢) بالأصل: عمرو.

(٣) البيت في الطبري ٥ / ٣٨٢ ومروج الذهب ٢ / ٧٠ باختلاف في ألفاظه.

(٤) الطبري: أجمعت المسير في أحد يومي هذين.

(٥) عن الطبري، وبالأصل " تقوى ".

(٦) بالأصل " وبايعه ".

(٧) بالأصل " فاتقي ".

(٨) في مروج الذهب ٣ / ٦٨ وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام في مكة فاشخص إلى اليمن، فإنها في عزلة، ولك فيها أنصار واخوان، فأقم بها وبث دعاتك.. فإن عصيتني وأبيت إلا الخروج إلى الكوفة فلا تخرجن نساءك وولدك معك.

(٩) زيد في الطبري هنا أنه بعد خروج ابن عباس، أتاه ابن الزبير فحدثه ساعة. انظر ما جرى بينهما من حديث الطبري ٥ / ٣٨٣ ومروج الذهب ٣ / ٦٩.

ثم بعد ذلك أقبل عبد الله بن عباس إليه فدخل (١) وقال: يا بن بنت رسول الله! إني قد رأيت رأيين (٢) إن قبلت من! فقال الحسين: وما ذاك؟ قال: تخرج إلى بلاد اليمن، فإن فيها حصونا وشعابا وهي أرض عريضة طويلة، وإن لك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة، فإذا استوطنت بها اكتب إلى الناس وأعلمهم مكانك. فقال الحسين: يا بن عمي! إني لأعلم أنك ناصح شفوق (٣)، ولكني أزمعت على المسير إلى العراق، ولا بد من ذلك (٤). فأطرق ابن عباس رحمه الله ساعة ثم قال: يا بن بنت رسول الله! إن كنت قد أزمعت ولا بد لك من ذلك فلا تسر بنسائك وأولادك فإني خائف عليك أن تقتل كما قتل عفان رضي الله عنه وأهله وولده ينظرون إليه ولا يقدرون له على حيلة، والله يا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لقد (٥) أقررت عين ابن الزبير بخروجك عن مكة وتخليتك إياه هذا البلد، وهو اليوم لا ينظر إليه فإذا خرجت نظر إليه الناس بعد ذلك. فقال الحسين رضي الله عنه: إني (٦) أستخير الله تعالى في هذا الأمر ما ذا يكون.

قال: فخرج ابن عباس من عنده وهو يقول: واحبيباه! ثم مر ابن عباس بابن الزبير وجعل يقول (٧):

يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري * قد رفع الفخ فماذا تحذري
لا بد من أخذك يوما فاصبري

---

(١) الأصل والطبري ٥ / ٣٨٣، أما في مروج الذهب فقد تحدث عن مقابلة طويلة بين الحسين بن علي وابن عباس (رض) ولم تقطع بلقاء بين الحسين وابن الزبير، إنما جرت مقابلتهما بعد خروج ابن عباس من لقائه الحسين بن علي (رض). وانظر الأخبار الطوال ص ٢٤٤ وفيه أن مقابلة ابن عباس الثانية للحسين كانت بعد ثلاثة أيام على المقابلة الأولى.

(٢) بالأصل: رأيان.

(٣) مروج الذهب: أنك لي ناصح وعلي شفيق.

(٤) يفهم من رواية المسعودي أن كلام ابن عباس كان قبل وصول خبر مقتل مسلم بن عقيل.

(٥) عن الطبري، وبالأصل " أو ".

(٦) في مروج الذهب ٣ / ٦٨ فكان الذي رد عليه: لأن أقتل والله بمكان كذا أحب إلي من أن استحل بمكة.

(٧) الأرجاز في الطبري ٥ / ٣٨٤ ومروج الذهب ٣ / ٦٩ وهي تنسب إلى طرفة ملحق ديوانه ص ١٩٣ باختلاف في الألفاظ بين المصادر.

قال: ثم أقبل ابن عباس إلى عبد الله (١) بن الزبير فقال: قرت عيناك يا بن الزبير! هذا الحسين بن علي رضي الله عنهما يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز.
و انتقل الخبر بأهل المدينة أن الحسين بن علي يريد الخروج إلى العراق،
فكتب إليه عبد الله بن جعفر (٢): بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي، من عبد الله بن جعفر، أما بعد! أنشدك الله أن لا تخرج عن مكة، فإني (٣) خائف عليك من هذا الأمر الذي قد أزمعت عليه أن يكون فيه هلاكك وأهل بيتك، فإنك إن قتلت أخاف أن يطفئ نور الأرض، وأنت (٤) روح الهدى وأمير المؤمنين، فلا تعجل بالمسير إلى العراق فإني آخذ لك الأمان من يزيد وجميع بني أمية على نفسك ومالك وولدك وأهل بيتك - والسلام -.
قال: فكتب إليه الحسين بن علي: أما بعد! فإن كتابك ورد علي فقرأته وفهمت ما ذكرت، وأعلمك أني رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي فخبرني بأمر
وأنا ماض له، لي كان أو علي، والله يا بن عمي لو كنت في جحر (٥) هامة من هوام الأرض لاستخرجوني [و] يقتلوني، والله يا بن عمي ليعدين علي كما عدت اليهود على السبت - والسلام -.
قال: وكتب إليه سعيد بن العاص (٦) من المدينة (٧): أما بعد! فقد بلغني أنك قد عزمت على الخروج إلى العراق وقد علمت ما نزل بابن عمك مسلم بن عقيل رحمه الله وشيعته، وأنا أعيذك بالله من الشيطان (٨) فإني خائف عليك منه الهلاك،

---

(١) بالأصل: عبيد الله خطأ.
(٢) الطبري ٥ / ٣٨٧ وبعث كتابه إلى الحسين (رض)، مع ابنيه عون ومحمد.
(٣) الطبري: فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجه له.
(٤) في الطبري: فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين.
(٥) بالأصل: حجر.
(٦) كذا بالأصل، والصواب " عمرو بن سعيد بن العاص " كما في الطبري وكان عامل يزيد على مكة انظر الأخبار الطوال ص ٢٤٤.
(٧) كذا. انظر الحاشية السابقة. وانظر نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٣٨٨.
(٨) الطبري: الشقاق.

وقد بعثت إليك يا بني (١) يحيى بن سعيد فأقبل إلي معه فلك عندنا الأمان والصلة والبر
والإحسان وحسن الجوار، والله لك بذلك علي شهيد ووكيل ومراع (٢) وكفيل - والسلام -.
فكتب إليه الحسين بن علي رضي الله عنهما: أما بعد! فإنه لن يشاق (٣) من دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى البر والإحسان، وخير الأمان أمان الله، ونحن نسأل الله لنا ولك في الدنيا والآخرة عملا زكيا، فإن كنت نويت في كتابك هذا إلي من بري وصلتي فجزيت بذلك خيرا في الدنيا والآخرة - والسلام -.
قال: وإذا كتاب يزيد بن معاوية قد أقبل من الشام إلى أهل المدينة على البريد من قريش وغيرهم من بني هاشم (٤)، وفيه هذه الأبيات:

يا أيها الراكب الغادي لطيته (٥) * على عذافرة (٦) في سيرة قحم
أبلغ قريشا على نأي المزار بها * بيني وبين الحسين الله والرحم
وموقف بفناء البيت ينشده * عهد الإله وما توفي به الذمم
غنيتم قومكم فخرا بأمكم (٧) * أم لعمري حصان برة (٨) كرم
هي التي لا يداني فضلها أحد * بنت الرسول وخير الناس قد علموا
وفضلها لكم فضل وغيركم * من يومكم (٩) لهم في فضلها قسم

---

(١) كذا، وفي الطبري عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد (وهو أخو عمرو بن سعيد صاحب الكتاب).
(٢) عن الطبري، وبالأصل " راع ".
(٣) في الطبري: فإنه لم يشاقق.
(٤) في البداية والنهاية ٨ / ١٧٧ أن يزيد بن معاوية كتب إلى ابن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكة، وأحسبه قد جاءه رجال من أهل المشرق فمنوه بالخلافة، وعندك منهم خبر وتجربة، فإن كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه فأكففه إليه فأكففه عن السعي في الفرقة.
(٥) في ابن كثير: مطيته.
(٦) عن ابن كثير، وبالأصل " عد نقره ".
(٧) عن البداية والنهاية، وبالأصل " فخر امامكم ".
(٨) عن البداية والنهاية، وبالأصل " خبره "
(٩) في البداية والنهاية: قومكم.

إني لأعلم حقا غير ما كذب * والطرف يصدق أحيانا ويقتصم
إن سوف يدرككم (١) ما تدعون بها * قتلى تهاداكم (٢) العقبان والرخم
يا قومنا لا تشبوا (٣) الحرب إذ سكنت * تمسكوا بحبال الخير واعتصموا
قد غرت (٤) الحرب من قد كان قبلكم * من القرون وقد بادت بها الأمم
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخا * فرب ذي بذخ زلت (٥) به القدم

قال (٦): فنظر أهل المدينة إلى هذه الأبيات ثم وجهوا بها وبالكتاب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، فلما نظر فيه علم أنه كتاب يزيد بن معاوية، فكتب الحسين الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم، فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون - والسلام -.

قال: ثم جمع الحسين أصحابه الذين قد عزموا عن الخروج معه إلى العراق، فأعطى كل واحد منهم عشرة دنانير وجملا يحمل عليه زاده ورحله، ثم إنه طاف بالبيت وبالصفا والمروة، وتهيأ للخروج، فحمل بناته وأخواته على المحامل

ذكر مسير الحسين رضي الله عنه إلى العراق

قال: وخرج الحسين من مكة يوم الثلاثاء (٧) يوم التروية لثمان مضين من ذي الحجة، ومعه اثنان وثمانون رجلا من شيعته وأهل بيته، فسار حتى إذا بلغ ذات عرق (٨) فلقيه رجل من بني أسد يقال له بشر بن غالب فقال له الحسين: ممن

---

(١) في البداية والنهاية: يترككم.
(٢) عن البداية والنهاية، وبالأصل " قبلي بها داكم ".
(٣) عن البداية والنهاية، وبالأصل " لا تسبوا ".
(٤) في البداية والنهاية: قد جرب.
(٥) في البداية والنهاية:
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا برحا * فرب ذي برح زلت به القدم
وبالأصل " زانت ".
(٦) في البداية والنهاية ٨ / ١٧٧ فكتب إليه ابن عباس: إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه، ولست ادع النصيحة له في كل ما تجتمع به الألفة وتطفئ به الثائرة.
(٧) وقيل يوم الأربعاء يوم عرفة (انظر مروج الذهب).
(٨) ذات عرق مهل أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة.

الرجل؟ قال: رجل من بني أسد، قال: فمن أين أقبلت يا أخا بني أسد؟ قال: من العراق، فقال: كيف خلفت أهل العراق؟ قال: يا بن بنت رسول خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية! فقال له الحسين: صدقت يا أخا العرب! إن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال له الأسدي: يا بن بنت رسول الله! أخبرني عن قول الله تعالى: (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) (١). فقال الحسين: نعم يا أخا بني أسد! هم إمامان: إمام هدى دعا إلى هدى، وإمام ضلالة دعا إلى ضلالة. فهدى من أجابه إلى الجنة، ومن أجابه إلى الضلالة دخل النار.

قال: واتصل الخبر بالوليد بن عتبة أمير المدينة بأن الحسين قد توجه إلى العراق، فكتب إلى عبيد الله بن زياد: بسم الله الرحمن الرحيم، من الوليد بن عتبة إلى عبيد الله بن زياد، أما بعد! فإن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، وهو ابن فاطمة، وفاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاحذر يا بن زياد أن تبعث إليه رسولا فتفتح على نفسك ما لا تختار من الخاص والعام - والسلام -. قال: فلم يلتفت عبيد الله بن زياد إلى الكتاب.

قال: وسار الحسين حتى نزل الخزيمية (٢) وأقام بها يوما وليلة، فلما أصبح أقبلت إليه أخته زينب بنت علي فقالت: يا أخي! ألا أخبرك بشيء سمعته البارحة؟ فقال الحسين: وما ذاك؟ فقالت: خرجت في بعض الليل لقضاء حاجة فسمعت هاتفا يهتف وهو يقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهد * ومن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا * بمقدار إلى إنجاز وعدي

فقال لها الحسين: يا أختاه! المقضي هو كائن.

قال: وسار الحسين حتى نزل الثعلبية (٣) وذلك في وقت الظهيرة، فنزل وترك أصحابه، ثم وضع الحسين رأسه ونام، ثم انتبه من نومه باكيا، فقال له ابنه: مالك

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧١.
(٢) عن معجم البلدان، وبالأصل " الحريمة " والخزيمية منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية من الكوفة.
(٣) الثعلبية من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق. (معجم البلدان) وبالأصل: التغلبية..

تبكي يا أبت لا أبكى الله لك عينا؟ فقال الحسين: يا بني إنها ساعة لا تكذب فيها الرؤيا، أعلمك أني رأيت فارسا على فرس حتى وقف علي فقال: يا حسين! إنكم تسرعون المسير والمنايا بكم تسرع إلى الجنة، فعلمت أن أنفسنا قد نعيت إلينا.
فقال له ابنه: يا أبت ألسنا على الحق؟ قال: بلى يا بني والذي ترجع العباد إليه!
فقال علي (١) رضي الله عنه: إذا لا نبالي بالموت. فقال الحسين: جزاك الله عني يا بني خيرا جزي به ولد عن والد.
قال: فلما أصبح الحسين وإذا برجل من الكوفة يكنى أبا هرة الأزدي أتاه فسلم عليه ثم قال: يا بن بنت رسول الله! ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال الحسين: يا أبا هرة! إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت، وشتموا
عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله يا أبا هرة لتقتلني الفئة الباغية!
وليلبسهم الله ذلا شاملا وسيفا قاطعا، وليسلطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة منهن فحكمت في أموالهم وفي دمائهم.
قال: وسار الحسين حتى نزل الشقوق (٢) فإذا هو بالفرزدق بن غالب الشاعر قد أقبل عليه فسلم ثم دنا منه فقبل يده، فقال الحسين: من أين أقبلت يا أبا فراس؟
فقال: من الكوفة يا بن بنت رسول الله! فقال: كيف خلفت أهل الكوفة؟ فقال: خلفت الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والله يفعل في خلقه ما يشاء! فقال: صدقت وبررت، إن الأمر لله يفعل ما يشاء وربنا تعالى كل يوم هو في شأن، فإن نزل القضاء بما نحب (٣) فالحمد لله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال
القضاء دون الرجاء فلم يعتد (٤) من كان الحق نيته (٥)، فقال الفرزدق: يا بن بنت رسول الله! كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم قد قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل و شيعته؟ قال: فاستعبر الحسين بالبكاء ثم قال: رحم الله مسلما! فلقد صار إلى

---

(١) هو علي الأكبر، ابن الحسين بن علي (رض).
(٢) الشقوق منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة. وفي الطبري ٥ / ٣٨٦ وابن الأثير ٢ / ٥٤٧ أن الحسين (رض) لقي الفرزدق بالصفاح، وهو موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مشاس. وانظر معجم البلدان.
(٣) عن الطبري، وبالأصل: يحب.
(٤) عن الطبري وابن الأثير: وبالأصل " يبعد ".
(٥) عن الطبري وابن الأثير، وبالأصل " بينه ".

روح الله وريحانه وجنته ورضوانه، أما إنه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا. قال: ثم أنشأ الحسين يقول:

وإن تكن الدنيا تعد نفيسة * فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت أنشئت * فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل
وإن تكن الأرزاق رزقا مقدرا * فقلة حرص المرء في الرزق أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها * فما بال متروك به الخير يبخل

قال: ثم دعه الفرزدق في نفر من أصحابه، ومضى يريد مكة. فأقبل عليه ابن عم له من بني مجاشع (١) فقال: أبا فراس! هذا الحسين بن علي، فقال الفرزدق: هذا الحسين ابن فاطمة الزهراء بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، هذا والله ابن خيرة الله وأفضل من مشى على وجه الأرض بعد محمد وقد كنت قلت فيه أبياتا قبل اليوم. فلا عليك أن تسمعها، فقال له ابن عمه. ما أكره ذلك يا أبا فراس! فإن رأيت أن تنشدني ما قلت فيه! فقال الفرزدق: نعم، أنا القائل فيه (٢) وفي أبيه وأخيه وجده صلوات الله عليهم هذه الأبيات:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا حسين رسول الله والده * أمست بنور هداه تهتدي الأمم
هذا ابن فاطمة الزهراء عترتها * في جنة الخلد مجريا بها القلم (٣)
إذا رأته قريش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
بكفه خيزران ريحه عبق * بكف أروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته * فلا يكلم إلا حين يبتسم

---

(١) عن جمهرة ابن حزم، وبالأصل " مجامع ".

(٢) المشهور أن هذه القصيدة قالها الفرزدق في علي بن الحسين - زين العابدين (رض) -. وقصته في ذلك مع هشام بن عبد الملك معروفة ومشهورة في كتب الدواوين. والقصيدة في ديوانه باختلاف في بعض الألفاظ والتعابير.

(٣) البيت في الديوان:

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا

ينشق نور الدجى عن نور غرته * كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
مشتقة من رسول الله نبعته * طابت أرومته والخيم والشيم
في معشر حبهم شكر وبغضهم (١) * كفر وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع الضر والبلوى بحبهم (٢) * ويستقيم به الإحسان والنعم
إن عد أهل الندى كانوا أئمتهم * أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع (٣) جواد بعد جودهم (٣) * ولا يدانيهم قوم وإن كرموا (٤)
بيوتهم من قريش يستضاء بها * في النائبات وعند الحكم إن حكموا (٥)
فجده من قريش في أرومتها * محمد وعلي بعده علم

قال: ثم أقبل الفرزدق على ابن عمه فقال: والله لقد قلت فيه هذه الأبيات غير متعرض إلى معروفة غير أني أردت الله والدار الآخرة.

[قصة عبيد الله بن الحر الجعفي] (٦)

قال وسار الحسين عليه السلام حتى نزل في قصر بني مقاتل، فإذا هو بفسطاط مضروب ورمح منصوب وسيف معلق وفرس واقف على مذوده، فقال الحسين: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لرجل يقال له عبيد الله بن الحر الجعفي قال: فأرسل الحسين برجل من أصحابه يقال له الحجاج بن مسروق الجعفي.

فأقبل حتى دخل عليه في فسطاطه فسلم عليه فرد عليه السلام، ثم قال: ما وراءك؟ فقال الحجاج: والله! ورائي يا بن الحر! والله قد أهدى الله إليك كرامة إن قبلتها! قال: وما ذاك؟ فقال: هذا الحسين بن علي رضي الله عنهما يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أجرت، وإن مت فإنك استشهدت! فقال له عبيد الله: والله ما خرجت من الكوفة إلى مخافة أن يدخلها الحسين بن علي وأنا فيها، فلا أنصره لأنه ليس له في الكوفة شيعة ولا أنصار إلا وقد مالوا إلى الدنيا إلا من عصم الله

---

(١) عن الديوان، وبالأصل " مبغضهم ".
(٢) عن الديوان، وبالأصل " بحسبهم ".
(٣ - ٣) عن الديوان. وبالأصل: جوارا بعد غائبهم.
(٤) عن الديوان، وبالأصل " كرم ".
(٥) البيت لم يرد في الديوان، والذي يليه أيضا.
(٦) عنوان استدركناه للإيضاح.

منهم، فارجع إليه وخبره بذاك.
فأقبل الحجاج إلى الحسين فخبره بذلك، فقام الحسين ثم صار إليه في جماعة من إخوانه، فلما دخل وسلم وثب عبيد الله (١) بن الحر من صدر المجلس، و جلس الحسين فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، يا بن الحر! فإن مصركم هذه كتبوا إلي وخبروني أنهم مجتمعون على نصرتي وأن يقوموا دوني ويقاتلوا عدوي، وأنهم سألوني القدوم عليهم، فقدمت ولست أدري القوم على ما زعموا لأنهم قد أعانوا على قتل ابن عمي مسلم بن عقيل رحمه الله وشيعته، وأجمعوا على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد يبايعني ليزيد بن معاوية، وأنت يا بن الحر فاعلم أن الله عز وجل مؤاخذك بما كسبت وأسلفت من الذنوب في الأيام الخالية، وأنا أدعوك في وقتي هذا إلى توبة تغسل بهاما عليك من الذنوب، وأدعوك إلى نصرتنا أهل البيت، فإن أعطينا حقنا حمدنا الله على ذلك وقبلناه، وإن منعنا حقنا وركبنا بالظلم كنت من أعواني على طلب الحق (٢). فقال عبيد الله بن الحر: والله يا بن بنت رسول الله! لو كان لك بالكوفة أعوان يقاتلون معك لكنت أنا أشدهم على عدوك، ولكني رأيت شيعتك بالكوفة وقد لزموا منازلهم خوفا من بني أمية ومن سيوفهم، فأنشدك بالله أن تطلب مني هذه المنزلة (٣)، وأنا أواسيك بكل ما أقدر عليه وهذه فرسي ملجمة، والله ما طلبت عليها شيئا إلا أذقته حياض الموت، ولا طلبت وأنا عليها فلحقت، وخذ سيفي هذا فو الله ما ضربت به إلا قطعت. فقال له الحسين رضي الله عنه: يا بن الحر! ما جئناك لفرسك وسيفك، إنما أتيناك لنسألك النصرة، فإن كنت قد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في شيء من مالك (٤) ولم أكن بالذي اتخذ المضلين عضدا، لأني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: " من سمع داعية أهل بيتي ولم
ينصرهم على حقهم إلا أكبه الله على وجهه في النار ". ثم سار الحسين رضي الله عنه من عنده ورجع إلى رحله.
فلما كان من الغد رحل الحسين، وندم ابن الحر على ما فاته من نصرته،

---

(١) بالأصل " عبد الله ".
(٢) وكان عبيد الله بن الحر قد قال للرسول الذي أرسله إليه الحسين بن علي: والله ما خرجت من الكوفة إلا لكثرة من رأيته خرج لمحاربته وخذلان شيعته فعلمت أنه مقتول ولا أقدر على نصره فلست أحب أن يراني ولا أراه. قاله في الأخبار الطوال ص ٢٥١.
(٣) في الأخبار الطوال: فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطة، فإن نفسي لم تسمح بعد بالموت.
(٤) في الأخبار الطوال: أما إذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا إلى فرسك.

فأنشأ يقول (١):
أراها حسرة ما دمت حيا * تردد بين صدري والتراقي
حسين حين يطلب بذل نصري * على أهل العداوة والشقاق (٢)
فلو واسيته يوما بنفسي * لنلت كرامة يوم التلاقي
مع ابن محمد تفديه نفسي * فودع ثم ولى بانطلاق
غداة يقول لي بالقصر قولا * أتتركنا وتعزم بالفراق (٣)
فلو فلق التلهب قلب حي * لهم القلب مني بانفلاق (٤)
فقد فاز الذي نصر الحسين * وخاب الأخسرون ذوو النفاق
قال: وسار الحسين على مرحلتين من الكوفة.

---

(١) الأبيات في الأخبار الطوال ص ٢٦٢ باختلاف بعض الألفاظ.
(٢) عن الأخبار الطوال وبالأصل " والشقاقي ".
(٣) البيت في الأخبار الطوال:
فلا أنسى غداة يقول حزنا * أتتركني وتزمع لانطلاق؟
(٤) عن الأخبار الطوال، وبالأصل " بإنقلاقي ".

ذكر الحر بن يزيد (١) الرياحي لما بعثه عبيد الله بن
زياد لحربه الحسين بن علي رضي الله عنهما

قال: وإذا الحر بن يزيد (١) في ألف فارس من أصحاب عبيد الله بن زياد شاكين في السلاح لا يرى منهم إلا حماليق الحدق، فلما نظر إليهم الحسين رضي الله عنه وقف في أصحابه (٢)، ووقف الحر بن يزيد في أصحابه، فقال الحسين: أيها القوم! من أنتم؟ قالوا: نحن أصحاب الأمير عبيد الله بن زياد، فقال الحسين: ومن قائدكم؟ قالوا: الحر بن يزيد الرياحي. قال: فناداه الحسين رضي الله عنه: ويحك يا بن يزيد (٣)! ألنا أم علينا؟ فقال الحر: بل عليك أبا عبد الله! فقال الحسين: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: ودنت صلاة الظهر، فقال الحسين رضي الله عنه للحجاج بن مسروق: أذن رحمك الله وأقم الصلاة حتى نصلي! قال: فأذن الحجاج، فلما فرغ من أذانه صاح الحسين بالحر بن يزيد فقال له: يا بن يزيد! أتريد (٤) أن تصلي بأصحابك وأصلي بأصحابي؟

فقال له الحر: بل أنت تصلي بأصحابك ونصلي بصلاتك. فقال الحسين رضي الله عنه للحجاج بن مسروق: أقم الصلاة! فأقام، وتقدم الحسين فصلى بالعسكرين جميعا.

فلما فرغ من صلاته وثب قائما فاتكأ على قائمة سيفه، فحمد الله وأثنى عليه

---

(١) بالأصل: " زيد " وما أثبت عن الطبري والأخبار الطوال.

(٢) وذلك في موضع بينه وبين القادسية ثلاثة أميال وذلك في ذي جشم كما في الأخبار الطوال ص ٢٤٨ وذي حسم كما في البداية والنهاية ٨ / ١٨٦.

(٣) بالأصل: يا بن الحر.

(٤) عن الطبري، وبالأصل " أريد " وفي الأخبار الطوال ص ٢٤٩: أتصلي معنا أم تصلي بأصحابك

ثم قال: أيها الناس! إنها معذرة إلى الله وإلى من حضر من المسلمين، إني لم أقدم على هذا البلد حتى أتتني كتبكم (١) وقدمت علي رسلكم أن اقدم إلينا إنه ليس علينا (٢) إمام فلعل الله أن يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما يثق به قلبي من عهودكم ومن مواثيقكم دخلت معكم إلى مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم كارهين لقدومي عليكم انصرفت إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم (٣). قال: فسكت القوم عنه ولم يجيبوا بشيء.

و أمر الحر بن يزيد بخيمة له فضربت، فدخلها وجلس فيها. فلم يزل الحسين رضي الله عنه واقفا مقابلهم وكل واحد منهم آخذ بعنان فرسه (٤). وإذا كتاب قد ورد من الكوفة: من عبيد الله بن زياد إلى الحر بن يزيد أما بعد، يا أخي! إذا أتاك كتابي فجعجع (٥) بالحسين ولا تفارقه حتى تأتيني به، فإني أمرت رسولي أن لا يفارقك حتى

يأتيني بإنفاذ أمري إليك - والسلام - (٦). قال: فلما قرأ الحر الكتاب بعث إلى ثقات أصحابه فدعاهم ثم قال: ويحكم ورد علي كتاب عبيد الله بن زياد يأمرني أن أقدم إلى الحسين بما يسوؤه، ووالله ما تطاوعني نفسي ولا تجيبني إلى ذلك. فالتفت رجل من أصحاب الحر بن يزيد يكنى أبا الشعثاء (٧) الكندي إلى رسول عبيد الله بن زياد، فقال له: فيما ذا جئت ثكلتك أمك؟ فقال له: أطعت إمامي ووفيت ببيعتي وجئت برسالة أميري. فقال له أبو الشعثاء (٧): لقد عصيت ربك وأطعت إمامك وأهلكت نفسك واكتسبت عارا (٩). فبئس الإمام إمامك! قال الله عز وجل:

وأصلي بأصحابي؟.

(١) عن الطبري والأخبار الطوال، وبالأصل " كتبهم ".

(٢) الطبري: لنا.

(٣) في الأخبار الطوال: وإن تكن الأخرى انصرفت من حيث جئت.

(٤) في الطبري: أخذ كل رجل منهم عنان دابته وجلس في ظلها.

(٥) جعجع به أي أزعجه وأخرجه، وقال الأصمعي: يعني احبسه (اللسان).

(٦) في الطبري ٥ / ٤٠٨ أما بعد! فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام.

(٧) عن الطبري، وبالأصل " أبا الببغاء " وهو يزيد بن زياد بن المهاجر أبو الشعثاء الكندي ثم البهدلي.

(٨) في الطبري: وأطعت إمامك في هلاك نفسك، كسبت العار والنار.

(وجعلنهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون) (١).
قال: ودنت صلاة العصر فأمر الحسين مؤذنه فأذن وأقام الصلاة. وتقدم الحسين فصلى بالعسكرين. فلما انصرف من صلاته وثب قائما على قدميه.
فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! أنا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن أولى
بولاية هذه الأمور عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم (٢) والسائرين فيكم بالظلم (٣)
والعدوان، فإن تثقوا بالله وتعرفوا الحق لأهله فيكون ذلك لله رضى، وإن كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم على خلاف ما جاءت به كتبكم وقدمت به رسلكم انصرفت
عنكم.
قال: فتكلم الحرب بن يزيد بينه وبين أصحابه فقال: أبا عبد الله! ما نعرف هذه الكتب ولا من هؤلاء الرسل. قال: فالتفت الحسين إلى غلام له يقال له عقبة بن سمعان فقال: يا عقبة! هات الخرجين اللذين (٤) فيهما الكتب: فجاء عقبة بكتب أهل الشام والكوفة فنثرها بين أيديهم ثم تنحى، فتقدموا ونظروا إلى عنوانها ثم تنحوا، فقال الحر بن يزيد: أبا عبد الله! لسنا من القوم الذين كتبوا إليك هذه الكتب، وقد أمرنا إن لقيناك لا نفارقك (٥) حتى نأتي بك على الأمير، فتبسم الحسين ثم قال: يا بن الحر! أو تعلم أن الموت أدنى [إليك] (٦) من ذلك. ثم التفت الحسين فقال: احملوا النساء ليركبوا حتى تنظر ما الذي يصنع هذا وأصحابه! قال: فركب أصحاب الحسين وساقوا النساء بين أيديهم، فقدمت خيل الكوفة حتى حالت بينهم وبين المسير، فضرب الحسين بيده إلى سيفه ثم صاح بالحر: ثكلتك أمك! ما الذي تريد أن تصنع؟ فقال الحر: أما والله لو قالها غيرك من العرب لرددتها عليه كائنا من كان، ولكن لا والله ما [لي] (٧) إلى ذلك سبيل من ذكر أمك، غير أنه لا بد

---

(١) سورة القصص الآية ٤١.
(٢) عن الطبري، بالأصل " فيهم ".
(٣) في الطبري: بالجور والعدوان.
(٤) عن الطبري، وبالأصل " الذين ".
(٥) في الطبري ٥ / ٤٠٢ " وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد " وفي الأخبار الطوال ص ٢٤٩ وقد أمرنا ألا نفارقك إذا لقيناك أو نقدم بك الكوفة ".
(٦) عن الطبري.
(٧) عن الطبري.

أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد، فقال له الحسين: إذا والله لا أتبعك (١) أو تذهب نفسي. قال الحر: إذا والله لا أفارقك (٢) أو تذهب نفسي وأنفس أصحابي. قال الحسين: برز أصحابي وأصحابك وأبرز إلي، فإن قتلتني خذ برأسي إلى ابن زياد، وإن قتلتك أرحت الخلق منك، فقال الحر: أبا عبد الله! إني لم أومر بقتلك (٣)، وإنما أمرت أن لا أفارقك أو أقدم بك على ابن زياد، وأنا والله كاره إن سلبني الله بشيء من أمرك غير أني قد أخذت ببيعة القوم وخرجت إليك، وأنا أعلم أنه لا يوافي (٤) القيامة أحد من هذه الأمة إلا وهو يرجو شفاعة جدك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا
خائف إن أنا قاتلتك أن أخسر الدنيا والآخرة، ولكن أنا أبا عبد الله! لست أقدر الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا، ولكن خذ عني هذا الطريق وامض حيث شئت (٥) حتى أكتب إلى ابن زياد أن هذا خالفني في الطريق فلم أقدر عليه، وأنا أنشدك الله في نفسك (٦)، فقال الحسين: يا حر! كأنك تخبرني أني مقتول! فقال الحر: أبا عبد الله! نعم ما أشك في ذلك إلا أن ترجع من حيث جئت. فقال الحسين: ما أدري ما أقول لك ولكني أقول كما قال أخو الأوس حيث يقول (٧):

سأمضي وما بالموت عار على الفتى * إذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه * وفارق مذموما وخالف مجرما
أقدم نفسي لا أريد بقاءها * لتلقى خميسا في الوغاء عرمرما
فإن عشت لم ألم وإن مت لم أذم * كفى بك ذلا أن تعيش مرغما

ثم أقبل الحسين إلى أصحابه وقال: هل فيكم أخد يخبر الطريق على غير الجادة؟ فقال الطرماح بن عدي الطائي: يا بن بنت رسول الله! أنا أخبر الطريق.

---

(١) عن الطبري وبالأصل " أتابعك ".
(٢) الطبري: لا أدعك.
(٣) الطبري: بقتالك.
(٤) في الأصل: إنما يوافي.
(٥) في الطبري ٥ / ٤٠٢ فإذا أبيت فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة، تكون بيني وبينك نصفا.
(٦) زيد في الطبري: وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه، أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت.
(٧) الأبيات في ابن الأثير ٢ / ٥٥٣ والأول والثاني في الطبري ٥ / ٤٠٤ باختلاف بعض الألفاظ. وسقط البيت الثالث من المصدرين.

فقال الحسين: إذا سر بين أيدينا! قال: فسار الطرماح وأتبعه الحسين هو وأصحابه، وجعل الطرماح يقول:

يا ناقتي لا تجزعي (١) من زجري * وأمضي بنا (١) قبل طلوع الفجر
بخير فتيان وخير سفري * إلى رسول الله أهل الفخر (٢)
السادة البيض الوجوه الزهري * الطاعنين بالرماح السمري
الضاربين بالسيوف البتري * حتى تحلى بكريم النجر
بما جد الجد (٣) رحيب الصدر * أتى به الله لخير أمر
عمره الله (٤) بقاء الدهر * يا مالك النفع معا والضر
أمدد حسينا سيدي بالنصر * على الطغاة من بقايا الكفر
على اللعينين سليلي صخر * يزيد لا زال حليف الخمر
والعود والصنج معا والزمرد * وابن زياد العهر وابن العهر

قال: وأصبح الحسين من وراء عذيب الهجانات (٥). قال: وإذا بالحر بن يزيد قد ظهر له أيضا في جيشه، فقال الحسين: ما وراءك يا بن يزيد! أليس قد أمرتنا أن نأخذ على الطريق فأخذنا وقبلنا مشورتك؟ فقال: صدقت، ولكن هذا كتاب عبيد الله بن زياد قد ورد علي يؤنبني ويعنفني في أمرك. فقال الحسين: فذرنا حتى ننزل بقرية نينوى (٦) أو الغاضرية (٧)، فقال الحر: لا والله ما أستطيع ذلك، هذا رسول عبيد الله بن زياد معي، وربما بعثه عينا علي. قال: فأقبل الحسين بن علي على رجل من أصحابه يقال له زهير بن القين (٨) البجلي، فقال له: يا بن بنت رسول

---

(١) في الطبري ٥ / ٤٠٥: " لا تذعري... وشمري ".
(٢) البيت في الطبري:
بخير ركبان وخير سفر * حتى تحلي بكريم النجر
(٣) في الطبري: الماجد الحر.
(٤) في الطبري: ثمت أبقاه.
(٥) عذيب الهجانات هو من منازل حاج الكوفة، وقيل هو حد السواد
(٦) نينوى: ناحية بسواد الكوفة.
(٧) الغاضرية: قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء.
(٨) عن الطبري، وبالأصل " الفير ".

الله (١)! ذرنا حتى نقاتل هؤلاء القوم، فإن قتالنا الساعة نحن وإياهم أيسر علينا وأهون من قتال من يأتينا من بعدهم، فقال لحسين: صدقت يا زهير! ولكن ما كنت بالذي أنذرهم بقتال حتى يبتدروني (٢). فقال له زهير. فسر بنا حتى نصير بكربلاء فإنها على شاطئ الفرات فنكون هنالك، فإن قاتلونا (٣) قاتلناهم واستعنا بالله عليهم.
قال: فدمعت عينا الحسين، ثم قال: اللهم! ثم اللهم! إني أعوذ بك من الكرب والبلاء! قال: ونزل الحسين في موضعه ذلك ونزل الحر بن يزيد حذاءه في ألف فارس، ودعا الحسين بداوة وبياض وكتب إلى أشراف الكوفة ممن كان يظن أنه على رأيه.

ذكر كتاب الحسين رضي الله عنه إلى أهل الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى سليمان بن صرد والمسيب من نجبة ورفاعة بن شداد وعبد الله بن وال، وجماعة المؤمنين، أما بعد (٤)! فقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال في حياته: من رأى سلطانا جائرا
مستحلا لحرام أو تاركا (٥) لعهد الله ومخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعمل في عباد الله
بالإثم والعدوان ثم لم يغير عليه (٦) بقول ولا فعل كان حقا (٧) على الله أن يدخله مدخله، وقد علمتم أن هؤلاء لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن،
وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا (٨) بالفيء، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله. وأنا أحق من غيري بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أتتني كتبكم
وقدمت علي رسلكم ببيعتكم أنكم لا تخذلوني، فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد استوفيتم حقكم وحظكم ورشدكم، ونفسي مع أنفسكم، وأهلي وولدي مع أهاليكم

---

(١) في الطبري والأخبار الطوال: يا بن رسول الله.
(٢) في الطبري ٥ / ٤٠٩ ما كنت لأبدأهم بالقتال.
(٣) في الطبري: فإن منعونا.
(٤) ورد كلام الحسين بن علي (رض) في الطبري ٥ / ٤٠٣ من خطبة له خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة. وذلك بعد تياسره عن طريق العذيب والقادسية.
(٥) الطبري: ناكثا.
(٦) عن الطبري، وبالأصل " لم يعتبر ".
(٧) عن الطبري، وبالأصل " حقيقا ".
(٨) عن الطبري، وبالأصل " استثاروا ".

وأولادكم، فلكم في (١) أسوة وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم ومواثيقكم وخلعتم بيعتكم فلعمري ما هي منكر بنكر (٢)، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي، هل المغرور إلا من اغتر بكم، فإنما حقكم (٣) أخطأتم ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم - والسلام -. قال: ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى قيس بن مسهر الصيداوي وأمره أن يسير إلى الكوفة (٤).

قال: فمضى قيس إلى الكوفة وعبيد الله بن زياد قد وضع المراصد والمصابيح على الطرق، فليس أحد يقدر أن يجوز إلا فتش، فلما تقارب من الكوفة قيس بن مسهر لقيه عدو الله يقال له الحصين بن نمير السكوني (٥)، فلما نظر إليه قيس كأنه اتقى

على نفسه، فأخرج الكتاب سريعا فمزقه عن آخره. قال: وأمر الحصين أصحابه فأخذوا قيسا وأخذوا الكتاب ممزقا حتى أتوا به إلى عبيد الله بن زياد. فقال له عبيد الله بن زياد: من أنت؟ قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين الحسين بن علي رضي الله عنهما، قال: فلم خرقت الكتاب الذي كان معك؟ قال: خوفا، حتى لا تعلم ما فيه! قال: وممن كان هذا الكتاب وإلى من كان؟ فقال: كان من الحسين إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم. قال: فغضب ابن زياد غضبا عظيما ثم قال: والله لا تفارقني أبدا أو تدلني على هؤلاء القوم الذي كتب إليهم هذا الكتاب، أو تصعد المنبر فتسب الحسين وأباه وأخاه، فتنجو من يدي أو لأقطعنك. فقال قيس: أما هؤلاء القوم فلا أعرفهم، وأما لعنة الحسين وأبيه وأخيه (٦) فإني أفعل.

قال: فأمر به فأدخل المسجد الأعظم، ثم صعد المنبر وجمع له الناس

---

(١) عن الطبري، وبالأصل " بي ".

(٢) في ابن الأثير ٢ / ٥٥٣ " بنكير ".

(٣) الطبري وابن الأثير: فحظلم.

(٤) كذا، وقد أرسل فعلا قيس بكتاب من الحسين بن علي (رض) إلى أهل الكوفة وذلك بعد بلوغ الحسين (رض) الحاجز من بطن الرمة وقبل مقتل مسلم بن عقيل انظر نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٣٩٤ - ٣٩٥. وكان كتابه هذا ردا على كتاب مسلم بن عقيل له قبل أن يقتل لسبع وعشرين ليلة وفيه: أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، إن جمع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي، والسلام عليك.

(٥) في الطبري: الحصين بن تميم.

(٦) في الأصل: أباه وأخاه.

ليجتمعوا ويسمعوا اللعنة، فلما علم قيس أن الناس قد اجتمعوا وثب قائما، فحمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على محمد وآله، وأكثر الترحم على علي وولده، ثم لعن عبيد الله بن زياد ولعن أباه ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم، ثم دعا الناس إلى نصرة الحسين بن علي (١). فأخبر بذلك عبيد الله بن زياد فأصعد على أعلى القصر ثم رمي به على رأسه فمات (٢) - رحمه الله -. وبلغ ذلك الحسين فاستعبر باكيا ثم قال: اللهم اجعل لنا ولشيعتك منزلا كريما عندك واجمع بيننا وإياهم في مستقر رحمتك إنك على كل شيء قدير.

قال: فوثب إلى الحسين رجل من شيعته يقال له هلال (٣) فقال: يا بن بنت رسول الله! تعلم أن جدك رسول الله [لا] يقدر أن يشرب الله [الخلائق] محبته ولا أن يرجعوا من أمرهم إلى ما يحب، وقد كان منهم منافقون يبدونه (٤) النصر ويضمرون

له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل ويلحقونه بأمر من الحنظل، حتى توفاه الله عز وجل، وأن أباك عليا قد كان في مثل ذلك، فقوم أجمعوا على نصره وقاتلوا معه المنافقين والفاسقين والمارقين والقاسطين حتى أتاه أجله، وأنتم اليوم عندنا في مثل ذلك الحال، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه والله يغني عنه، فسر بنا راشدا مشرقا إن شئت أو مغربا، فو الله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، وإنا على نياتنا و نصرتنا، نوالي من والاك ونعادي من عاداك.

قال: فخرج الحسين وولده وإخوته وأهل بيته رحمة الله عليهم بين يديه، فنظر إليهم ساعة وبكى وقال: اللهم! إنا عترة نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخرجنا وطردنا عن

حرم جدنا، وتعدت بنو (٥) أمية علينا، فخذ بحقنا وانصرنا على القوم الكافرين.

قال: ثم صاح الحسين في عشيرته ورحل من موضعه ذلك حتى نزل كربلاء في يوم الأربعاء أو يوم الخميس وذلك في الثاني (٦) من المحرم سنة إحدى وستين، ثم أقبل

---

(١) انظر مقالته في الطبري باختلاف ٥ / ٣٩٥.

(٢) في الطبري: فتقطع فمات.

(٣) في الترجمة الفارسية: هلال بن نافع.

(٥) الأصل: يعدونه.

(٦) الأصل والطبري، وفي الأخبار الطوال ص ٢٥٣ يوم الأربعاء غرة المحرم. (وذلك في أكتوبر سنة ٦٨٥ م).

إلى أصحابه فقال لهم: أهذه كربلاء؟ فقالوا: نعم.
ذكر نزول الحسين رضي الله عنه بكربلاء
فقال الحسين لأصحابه: انزلوا هذا موضع كرب وبلاء، ههنا مناخ ركابنا ومحط رحالنا وسفك دمائنا. قال: فنزل القوم وحطوا الأثقال ناحية من الفرات، وضربت خيمة الحسين لأهله وبنيه، وضرب عشيرته خيامهم من حول خيمته، وجلس الحسين وأنشأ يقول (١):

يا دهر أف لك من خليل * كم لك بالإشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل * وكل حيي عابر سبيل
ما أقرب الوعد من الرحيل * وإنما الأمر إلى الجليل

قال: وسمعت ذلك أخت الحسين زينب وأم كلثوم فقالتا (٢): يا أخي! هذا كلام من أيقن بالقتل، فقال: نعم يا أختاه! فقال زينب (٣): وا ثكلاه! ليت الموت أعد مني الحياة! مات جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومات أبي علي، وماتت أمي فاطمة،
ومات أخي الحسن عليهم السلام، والآن ينعي إلي الحسين نفسه (٤)، قال: وبكت النسوة ولطمن الخدود، قال: وجعلت أم كلثوم تنادي: وا جداه! وا أبي علياه! وا أماه! وا حسناه! وا حسيناه! وا ضيعتنا بعدك! وا أبا عبد الله! فعذلها الحسين وصبرها وقال لها (٥): يا أختاه! تعزي بعزاء الله وارضي بقضاء الله، فإن سكان السماوات يفنون وأهل الأرض يموتون وجميع البرية لا يبقون، وكل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وإن لي ولك ولكل مؤمن ومؤمنة أسوة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم. ثم قال لهن: انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن علي جيبا ولا تخمشن وجها.

قال: فأقبل الحر بن يزيد حتى نزل حذاء الحسين في ألف فارس، ثم كتب إلى عبيد الله بن زياد يخبره أن الحسين نزل بأرض كربلاء. قال: فكتب عبيد الله بن

---

(١) الأبيات في الطبري ٥ / ٤٢٠ وابن الأثير ٢ / ٥٦٠ باختلاف في بعض الألفاظ.
(٢) بالأصل: فقالوا.
(٣) انظر مقالة زينب (رض) في الطبري ٥ / ٤٢٠.
(٤) زيد في الطبري: يا خليفة الماضي، وثمال الباقي.
(٥) في الطبري ورد قول للحسين بن علي هذا لأخته زينب (رض). باختلاف وزيادة.

زياد إلى الحسين: أما بعد يا حسين! فقد بلغني نزولك بكربلاء، وقد كتب إلي أمير المؤمنين يزيد بن معاوية أن لا أتوسد الوثير ولا أشبع من الخبز، أو ألحقك باللطيف الخبير أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد بن معاوية - والسلام -.
فلما ورد الكتاب قرأه الحسين ثم رمى به ثم قال: لا أفلح قوم آثروا مرضاة أنفسهم على مرضاة الخالق. فقال له الرسول: أبا عبد الله! جواب الكتاب؟ قال: ما له عندي جواب، لأنه قد حقت عليه كلمة العذاب.
فقال الرسول لابن زياد ذلك، فغضب من ذلك أشد الغضب، ثم جمع أصحابه وقال: أيها الناس! من منكم تولى قتال الحسين بن علي ولي ولاية أي بلد شاء! فلم يجبه أحد بشيء. قال: فالتفت إلى عمر (١) بن سعد بن أبي وقاص، وقد كان عمر (٢) بن سعد قبل ذلك بأيام قد عقد له عبيد الله بن زياد عقدا وولاه الري ودستبي (٢) وأمره بحرب الديلم، فأراد أن يخرج إليها، فلما كان ذلك اليوم أقبل عليه ابن زياد فقال: أريد أن تخرج إلى قتال الحسين بن علي، فإذا نحن فرغنا من شغله سرت إلى عملك إن شاء الله. فقال له عمر (١): أيها الأمير! إن أردت أن تعفيني من قتال الحسين بن علي فافعل! فقال: قد عفيتك فاردد إلينا عهدنا الذي كتبناه لك (٢) واجلس في منزلك نبعث غيرك، فقال له عمر (١): أمهلني اليوم حتى أنظر في أمري! قال: قد أمهلتك.
فانصرف عمر (١) إلى منزله وجعل يستشير بعض إخوانه ومن يثق به، فلم يشر عليه أحد بشيء غير أنه يقول له: اتق (٤) الله ولا تفعل. قال: وأقبل عليه حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخته فقال: أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين بن علي فإنك تأثم بربك وتقطع رحمك، وما لك ولسلطان الأرض، اتق (٥) الله أن تتقدم يوم القيامة بدم الحسين ابن فاطمة. قال: فسكت عمر (١) وفي قلبه من الري (٦).

---

(١) بالأصل: " عمرو " وما أثبت عن الطبري.
(٢) الدستبي: كورة كبيرة كانت مشتركة بين الري وهمدان فقسمت كورتين، وتشتمل على قريب تسعين قرية.
وما أثبت عن الأخبار الطوال ص ٢٥٣ وبالأصل: الدسس.
(٣) بالأصل: عمرو.
(٤) يريد عهده بتوليته الري ودستبي.
(٥) بالأصل: اتقي.
(٦) في الطبري ٥ / ٤٠٩: فقال له عمر: فإني أفعل إن شاء الله.

فلما أصبح أقبل حتى دخل على عبيد الله بن زياد فقال: ما عندك يا عمر (١)؟
فقال: أيها الأمير؟ إنك قد وليتني هذا الأمر وكتبت لي هذا العهد وقد سمع به الناس (٢) وفي الكوفة أشراف - وعدهم (٢) -. فقال له عبيد الله بن زياد: أنا أعلم منك بأشرافها، وما أريد منك إلا أن تكشف هذه الغمة وأنت الحبيب القريب. وإلا أردد علينا عهدنا والزم منزلك فإنا لا نكرهك. قال: فسكت عمر (١)، فقال له ابن زياد: يا بن سعد! والله لئن لم تسر إلى الحسين وتطول حربه وتقدم علينا بما يسوءه لأضربن عنقك ولأنهبن أموالك. قال: فإني سائر إليه غدا إن شاء الله، فجزاه ابن زياد خيرا ووصله وأعطاه وحياه ودفع إليه أربعة آلاف فارس وقال له: سر حتى تنزل بالحسين بن علي وانظر أن لا تهنه ولا تقتله وخل بينه وبين الفرات أن يشرب. قال: فسار عمر في أربعة آلاف فارس، وسار الحر في ألف فارس، فصار خمسة آلاف فارس.

قال: ثم دعا عمر بن سعد رجلا من أصحابه يقال له عروة بن قيس (٣)، فقال له! امض يا هذا إلى الحسين فقل له: ما تصنع في هذا الموضع؟ وما الذي أخرجه عن مكة وقد كان مستوطنا بها؟ فقال عروة بن قيس: أيها الأمير! إني كنت اليوم أكاتب الحسين ويكاتبني وأنا أستحيي أن أسير إليه، فإن رأيت أن تبعث غيري فابعث. قال فبعث إليه رجلا يقال له فلان بن عبد الله السبيعي (٤)، وكان فارسا بطلا شجاعا لا يرد وجهه عن شيء، فقال له عمر بن سعد: امض إلى الحسين فسله ما الذي أخرجه عن مكة وما يريد.

قال: فأقبل السبيعي نحو الحسين، ثم قال له الحسين (٥) لما رآه: ضع سيفك حتى نكلمك! فقال: لا ولا كرامة لك، إنما أنا رسول عمر (٦) بن سعد، فإن

---

(١) بالأصل: عمرو: وقد تكررت كثيرا، وصححت.
(٢) العبارة في الطبري: فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشراف الكوفة من لست بأغنى ولا أجزأ عنك في الحرب منه.
(٣) في الطبري: " عزرة بن قيس الأحمسي " وفي الأخبار الطوال ص ٢٥٣: قرة بن سفيان الحنظلي.
(٤) في الطبري: كثير بن عبد الله الشعبي.
(٥) كذا بالأصل، وعبارة الطبري ٥ / ٤١٠ فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين: أصلحك الله أبا الحسين، قد جاءك شر أهل الأرض وأجرؤه على دم وأفتكه، فقام إليه فقال: ضع سيفك...
(٧) بالأصول: " عبيد الله " خطأ.

سمعت (١) مني بلغتك ما أرسلت به، وإن أبيت انصرفت عنك. فقال له أبو ثمامة الصائدي (٢): فإني آخذ سيفك، فقال: لا والله لا يمس سيفي أحد، فقال أبو ثمامة: فتكلم بما تريد (٣) ولا تدن من الحسين، فإنك رجل فاسق. قال: فغضب السبيعي ورجع إلى عمر بن سعد وقال: إنهم لم يتركوني أصل إلى الحسين فأبلغه الرسالة.

قال: فأرسل إليه قرة بن قيس الحنظلي (٤) فأقبل، فلما رأى معسكر الحسين قال الحسين لأصحابه: هل تعرفون هذا؟ فقال حبيب بن مظاهر الأسدي: نعم هذا من بني تميم وقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما ظننت أنه يشهد هذا المشهد. قال: وتقدم الحنظلي حتى وقف بين يدي الحسين فسلم عليه وأبلغه رسالة عمر بن سعد. فقال: يا هذا، أعلم صاحبك عني أني لم أرد إلى ههنا حتى كتب إلي أهل مصركم أن يبايعوني ولا يخذلوني وينصروني، فإن كرهوني أنصرف (٥) عنهم من حيث جئت. قال: ثم وثب إليه حبيب بن مظاهر (٦) الأسدي، فقال: ويحك يا قرة! عهدي بك وأنت حسن الرأي في أهل البيت فما الذي غيرك حتى أتيتنا في هذه الرسالة؟ فأقم عندنا وانصر هذا الرجل! فقال الحنظلي: لقد قلت الحق، ولكني أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته (٧) وأنظر في ذلك.

قال: فانصرف الحنظلي إلى عمر بن سعد وخبره بمقالة الحسين رضي الله عنه (٨)، وكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد بذلك (٩)، فكتب إليه يحرضه على

---

(١) الطبري: سمعتم مني أبلغتكم... وإن أبيتم.

(٢) في الأصل: " الصيداوي " وما أثبت عن الطبري.

(٣) زيد في الطبري: وأنا أبلغه عنك.

(٤) ذكر في الأخبار الطوال إيفاده إلى الحسين، ولم يأت على ذكر السبيعي (الشعبي).

(٥) بالأصل: " انصرفت " وانظر رد الحسين بن علي (رض) على قرة في الأخبار الطوال ص ٢٥٣ وفيها زيادة واختلاف.

(٦) بالأصل " مطهر ".

(٧) عن الطبري، وبالأصل " الرسالة ".

(٨) زيد في الطبري ٥ / ٤١١ " فقال له عمر بن سعد: إني لأرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله " وانظر الأخبار الطوال ص ٢٥٤.

(٩) نسخة كتابه في الطبري ٥ / ٤١١ وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإني نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي، فسألته عما أقدمه، وما ذا يطلب ويسأل، فقال: كتب إلي أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم، فسألوني القدوم ففعلت، فأما إذ كرهوني فبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم فأنا منصرف عنهم.

قتله (١). فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا بن زياد كأنك لا تعرف العواقب! والله المستعان.

---

(١) نسخة كتاب عبيد الله بن زياد في الطبري ٥ / ٤١١ وفيه: " بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا والسلام " انظر الأخبار الطوال ص ٢٥٤.

ذكر اجتماع العسكر إلى حرب الحسين
ابن علي رضي الله عنه
قال: ثم جمع عبيد الله بن زياد الناس إلى مسجد الكوفة، ثم خرج فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنكم قد بلوتم آل سفيان فوجدتموهم على ما تحبون، وهذا يزيد قد عرفتموه أن حسن السيرة، محمود الطريقة، محسن إلى الرعية، متعاهد الثغور، يعطي العطاء في حقه، حتى إنه كان أبوه كذلك، وقد زاد أمير المؤمنين في إكرامكم، وكتب إلي يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ومائتي ألف درهم أفرقها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين بن علي، فاسمعوا له وأطيعوا - والسلام -.
قال: ثم نزل عن المنبر ووضع لأهل الشام العطاء فأعطاهم ونادى فيهم بالخروج إلى عمر بن سعد ليكونوا أعوانا له على قتال الحسين. قال: فأول من خرج إلى عمر بن سعد الشمر بن ذي الجوشن السلولي - لعنه الله - في أربعة آلاف فارس، فصار عمر بن سعد في تسعة آلاف، ثم أتبعه زيد بن ركاب الكلبي في ألفين، والحصين بن نمير السكوني في أربعة آلاف، والمصاب الماري في ثلاثة آلاف ونصر بن حربة في ألفين فتم له عشرون ألفا. ثم بعث ابن زياد إلى شبث (١) بن ربعي الرياحي [رجلا وسأل أن يوجه إلى عمر بن سعد، فاعتل بمرض، فقال له ابن زياد: أتتمارض؟ إن كنت في طاعتنا فأخرج إلى قتال عدونا] (٢)، فخرج إلى

---

(١) بالأصل: شبيب، وما أثبت عن الطبري والأخبار الطوال.
(٢) العبارة في الأخبار الطوال ص ٢٥٤: ثم وجه الحصين بن نمير وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن ليعاونوا عمر بن سعد على أمره.
فأما شمر فنفد لما وجهه له، وأما شبث فاعتل بمرض. فقال له ابن زياد: أتتمارض؟ إن كنت في طاعتنا فأخرج إلى قتال عدونا... ووجه أيضا الحارث بن يزيد بن رويم.

عمر (١) بن سعد في ألف فارس بعد أن أكرمه ابن زياد وأعطاه وحباه، وأتبعه بحجار بن أبجر (٢) في ألف فارس، فصار عمر بن سعد في اثنين وعشرين ألفا ما بين فارس وراجل.
ثم كتب ابن زياد إلى عمر بن سعد أني لم أجعل لك علة في قتال الحسين من كثرة الخيل والرجال، فانظر أن لا تبدأ أمرا حتى تشاورني غدوا وعشيا مع كل غاد ورائح - والسلام -.
قال: وكان عبيد الله بن زياد في كل وقت يبعث إلى عمر بن سعد ويستعجله في قتال الحسين، قال: والتأمت العساكر إلى عمر بن سعد لست مضين من المحرم.
وأقبل حبيب بن مظاهر (٣) الأسدي إلى الحسين بن علي فقال: ههنا حي من بني أسد بالقرب مني أو تأذن لي أن أسير إليهم أدعوهم إلى نصرتك فعسى الله أن يدفع بهم عنك بعض ما تكره! فقال له الحسين: قد أذنت لك يا حبيب! قال: فخرج حبيب بن مظاهر في جوف الليل منكرا حتى صار إلى أولئك القوم، فحياهم وحيوه وعرفوا أنه من بني أسد، فقالوا: ما حاجتك؟ يا بن عم! فقال: حاجتي إليكم قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم، أتيتكم أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه في عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من ألف رجل، لن
يخذلوه ولن يسلموه، وفيهم عين نظرت، وهذا عمر (١) بن سعد قد أحاط به في اثنين وعشرين ألف وأنتم قومي وعشيرتي، وقد جئتكم بهذه النصيحة فأطيعوني اليوم في نصرته تنالون غدا شرفا في الآخرة، فإني أقسم بالله أنه لا يقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صابرا محتسبا إلا كان رفيق محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى عليين. قال:
فوثب رجل من بني أسد يقال له بشر بن عبيد الله، فقال: والله أنا أول من أجاب إلى هذه الدعوة، ثم أنشأ يقول:
قد علم القوم إذا تواكلوا * وأحجم الفرسان أو تناصلوا

---

(١) بالأصل: عمرو
(٢) عن الأخبار الطوال، وبالأصل " حجاب بن الحر ". (٣) بالأصل " مطهر " وفي الأخبار الطوال: مظهر.

إني شجاع بطل مقاتل * كأنني ليث عرين باسل
قال: ثم تبادر رجال الحي مع حبيب بن مظاهر (١) الأسدي.
قال: وخرج رجل من الحي في ذلك الوقت حتى صار إلى عمر (٢) بن سعد في جوف الليل فخبره بذلك. فدعا رجلا من أصحابه يقال له الأزرق بن حرب الصيداوي فضم إليه أربعة آلاف فارس، ووجه به في جوف الليل إلى حي بني أسد مع الرجل الذي جاء بالخبر. قال: فبينما القوم في جوف الليل قد أقبلوا يريدون معسكر الحسين إذ استقبلهم جند عمر بن سعد على شاطئ الفرات. قال: فتناوش القوم بعضهم بعضا واقتتلوا قتالا شديدا، وصاح به حبيب بن مظاهر (١): ويلك يا أزرق! مالك ولنا دعنا! قال: واقتتلوا قتالا شديدا. فلما رأى (٣) القوم بذلك انهزموا راجعين إلى منازلهم. فرجع حبيب بن مظاهر (١) إلى الحسين رضي الله عنه فأعلمه بذلك الخبر. فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
قال: ثم إن ابن زياد كتب إلى عمر بن سعد: أما بعد (٤)، فقد بلغني أن الحسين يشرب الماء هو وأولاده وقد حفروا الآبار ونصبوا الأعلام، فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فامنعهم من حفر الآبر ما استطعت وضيق عليهم ولا تدعهم يشربوا من ماء الفرات قطرة (٥) واحدة، وافعل بهم كما فعلوا بالتقي النقي عثمان بن عفان رضي الله عنه - والسلام -.
قال: فعندها ضيق عليهم عمر بن سعد غاية التضييق ثم دعا رجلا يقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي (٦) فضم إليه خيلا عظيمة (٧) وأمره أن ينزل على الشريعة [التي هي حذاء عسكر الحسين رضي الله عنه فنزلت الشريعة] ونادى رجل من

---

(١) بالأصل: مطهر.
(٢) بالأصل: عمرو.
(٣) بالأصل: رأوا.
(٤) نسخة كتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد في الطبري ٥ / ٤١٢ والأخبار الطوال ص ٢٥٤ وابن كثير ٨ / ١٨٩ ببعض اختلاف.
(٥) في الأخبار الطوال: حسوة واحدة.
(٦) عن الطبري وبالأصل: " الزيدي ".
(٧) في الطبري وابن الأثير والأخبار الطوال: في خمسمئة فارس.

أصحاب عمر بن سعد (١) بالحسين فقال: إنك لن تذوق من هذا الماء قطرة واحدة حتى تذوق الموت [غصة بعد غصة] أو تنزل على حكم أمير المؤمنين [يزيد] وحكم عبيد الله بن زياد.

قال: فاشتد العطش (٢) من الحسين وأصحابه وكادوا أن يموتوا عطشا، فدعا بأخيه العباس رحمه الله وصير إليه ثلاثين (٣) فارسا وعشرين (٤) راجلا وبعث معهم عشرين قربة، فأقبلوا في جوف الليل حتى دنوا من الفرات، فقال عمرو بن الحجاج: من هذا؟ فقالوا: رجال من أصحاب الحسين يريدون الماء! فاقتتلوا على الماء قتالا عظيما فكان قوم يقتتلون وقوم يملأون القرب حتى ملأوها. فقتل من أصحاب عمرو جماعة ولم يقتل من أصحاب الحسين أحد. ثم رجع القوم إلى معسكرهم وشرب الحسين من القرب ومن كان معه.

قال: ثم أرسل الحسين رحمه الله إلى عمر بن سعد (٥) إني أريد أن أكلمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك. قال: فخرج إلى عمر بن سعد في عشرين فارسا وأقبل الحسين في مثل ذلك، فلما التقيا أمر الحسين أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر رضي الله عنهم، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه حفص وابنه وغلام له يقال له لاحق. (٦) فقال له الحسين رضي الله عنه: ويحك يا بن سعد! أما تتقي الله الذي إليه معادك أن تقاتلني؟ وأنا ابن من! علمت يا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاترك هؤلاء وكن معي فإني أقربك إلى الله
عز وجل! فقال له عمر بن سعد: أبا عبد الله! أخاف أن تهدم داري، فقال له

---

(١) هو عبد الله بن أبي حصين الأزدي - عداده في بجيلة كما في الطبري، نادى الحسين وقال له: يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا. الطبري ٥ / ٤١٢ وفي الإمامة والسياسة ٢ / ١١ فقال له شهر بن حوشب: لا تشربوا منه حتى تشربوا من الحميم.

(٢) بالأصل: الغضب.

(٣) بالأصل: ثلاثون.

(٤) بالأصل: عشرون.

(٥) في الطبري ٥ / ٤١٢ بعث عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري.

(٦) لم يرد في الطبري، أن أحدا بقي مع الحسين (رض) أو مع عمر بن سعد بل ورد فيه أن أصحابهما تنحوا عنهما وانكشفوا عنهما بحيث لا يسمع كلامهما ولا أصواتهما.
قال ابن كثير في البداية والنهاية ٨ / ١٨٩ فتكلما طويلا حتى ذهب هزيع من الليل، ولم يدر أحد ما قالا.

الحسين رضي الله عنه: أنا أبنيها لك (١). فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي (٢)، فقال الحسين: أنا أخلف (٣) عليك خيرا منها من مالي بالحجاز. قال: فلم يجب عمر إلى شيء من ذلك، فانصرف عنه الحسين رضي الله عنه وهو يقول: ما لك ذبحك الله من على فراشك سريعا عاجلا ولا غفر الله لك يوم حشرك ونشرك، فو الله إني لأرجو أن لا يأكل من بر العراق إلا يسيرا (٤).

قال: ورجع عمر بن سعد إلى معسكره، وإذا كتاب عبيد الله بن زياد قد أقبل على عمر بن سعد يؤنبه فيه ويقول له: يا بن سعد! ما هذه الفترة والمطاولة؟ انظر إن بايع الحسين وأصحابه ونزلوا على حكمي فابعث بهم سلما، وإن أبوا ذلك فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإذا قتلت الحسين فأوطئ الخيل على ظهره وبطنه (٥). فإذا فعلت ذلك جزيناك جزاء الطائع (٦) المطيع، وإن أبيت ذلك فاقطع حبلنا وجندنا وسلم ذلك إلى شمر بن ذي الجوشن، فإنه أحزم منك أمرا وأمضى منك عزيمة - والسلام -. وطوى الكتاب وأراد أن يسلمه إلى رجل يقال له عبد الله بن [أبي المحل بن] (٧) حزام العامري، فقال: أصلح الله الأمير! إن علي بن أبي طالب قد كان عندنا ههنا بالكوفة فخطب إلينا فزوجناه بنتا (٨) يقال لها أم

البنين بنت حزام فولدت له عبد الله وجعفرا والعباس (٩) فهم بنو أختنا وهم مع الحسين

---

(١) زيد في الطبري: أحسن مما كانت.

(٢) في الطبري: ضياعي.

(٣) الطبري: فأنا أعطيك.

(٤) وقيل على ما ذكره جماعة من المحدثين - كما ورد في الطبري ٥ / ٤١٣ - أنه قال له: اختاروا مني ثلاث خصال: إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه، وإما أن تسيروني إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم. وانظر الإمامة والسياسة ٢ / ١١ وابن كثير ٨ / ١٨٩.

وقيل إن عمر بن سعد كتب بذلك إلى عبيد الله بن زياد (نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ٤١٤) فهم عبيد الله بالقبول إلا أن شمر بن ذي الجوشن حضه على عدم القبول وحرضه على الحسين ودفعه إلى الطلب من الحسين أن ينزل على حكمه ففي ذلك قوة له ومنعة. فنزل على طلبه وكتب إلى الحسين وعمر بن سعد بذلك، كما سيأتي.

(٥) الطبري: صدره وظهره.

(٦) الطبري: السامع المطيع.

(٧) عن الطبري.

(٨) وهي عمة ابن أبي المحل كما في الطبري.

(٩) زيد في الطبري: وعثمان.

أخيهم، فإن رسمت لنا أن نكتب (١) إليهم كتابا بأمان منك عليهم متفضلا! فقال عبيد الله بن زياد: نعم وكرامة لكم، اكتبوا إليهم بما أحببتم، ولهم عندي الأمان.
قال: فكتب عبد الله بن [أبي] المحل بن حزام إلى عبد الله والعباس وجعفر بني علي رضي الله عنهم بالأمان من عبيد الله بن زياد، ودفع الكتاب إلى غلام له يقال له عرفان (٢)، فقال: سر بهذا الكتاب إلى بني أختي بني علي بن أبي طالب رحمة الله عليهم فإنهم في عسكر الحسين رضي الله عنه، فادفع إليهم هذا الكتاب وانظر ماذا يردون عليك.
قال: فلما ورد كتاب عبد الله بن أبي المحل على بني علي ونظروا فيه أقبلوا به إلى الحسين فقرأه وقال له: لا حاجة لنا في أمانك فإن أمان الله خير من أمان ابن مرجانة (٣). قال: فرجع الغلام إلى الكوفة فخبر عبد الله بن [أبي] المحل بما كان من جواب القوم. قال: فعلم عبد الله بن [أبي] المحل أن القوم مقتولون.
قال: وأقبل شمر بن ذي الجوشن حتى وقف على معسكر (٤) الحسين رضي الله عنه فنادى بأعلى صوته: أين بنو أختنا (٥) عبد الله وجعفر والعباس بنو علي بن أبي طالب! فقال الحسين لإخوته: أجيبوه وإن كان فاسقا فإنه من أخوالكم! فنادوه فقالوا: ما شأنك وما تريد؟ فقال: يا بني أختي! أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية! فقال له العباس بن علي رضي الله عنه: تبا لك يا شمر ولعنك الله ولعن ما جئت به من أمانك هذا يا عدو الله! أتأمرنا أن ندخل في طاعة العناد ونترك نصرة أخينا الحسين رضي الله عنه (٦).
قال: فرجع الشمر إلى معسكره مغتاظا (٧).
و جمع الحسين أصحابه بين يديه، وحمد الله وأثنى عليه، وقال: اللهم! لك

---

(١) الطبري: نكتب.
(٢) الطبري: كزمان.
(٣) الطبري: ابن سمية. وهي جدة عبيد الله بن زياد.
(٤) في الطبري: أصحاب.
(٥) عن الطبري، وبالأصل: بني أختي.
(٦) زيد في الطبري ٥ / ٤١٦ لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له. وفي البداية والنهاية ٨ / ١٩٠: إن أمنتنا وابن رسول الله (ص)، وإلا فلا حاجة لنا بأمانك.
(٧) بالأصل " مغتاضا ".

الحمد على ما به فضلتنا (١) وعلمتنا من القرآن، وفهمتنا (٢) في الدين، وأكرمتنا به من كرامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعلت لنا أسماعا وأبصارا وأفئدة وجعلتنا من الشاكرين. ثم
أقبل عليهم وقال: إني لا أعلم أصحابا أصح منكم (٣) ولا أعدل ولا أفضل أهل بيت، فجزاكم الله عني خيرا! فهذا الليل قد أقبل فقوموا واتخذوه جملا، وليأخذ كل [رجل] (٤) منكم بيد صاحبه أو رجل من إخوتي (٥) وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم.
قال: فعندها تكلم إخوته وجميع أهل بيته فقالوا: يا بن بنت رسول الله! وماذا يقول الناس وماذا نقول لهم إذا تركنا شيخنا وسيدنا وابن بنت نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم! لم نرم
معه بسهم، ولا نطعن عنه برمح، ولا نضرب معه بسيف، لا والله يا بن بنت رسول الله! لا نفارقك أبدا ولكننا نفديك بأنفسنا (٦) ونقتل بين يديك، ونرد موردك فقبح الله العيش بعدك (٧).
قال: ثم قام مسلم بن عوسجة الأسدي وقال: يا بن بنت رسول الله! نحن عليك هكذا، وننصرف وقد أحاط بك الأعداء! لا والله لا يراني الله أفعل ذلك أبدا حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضاربهم (٨) بسيفي ما ثبت قائمه بيدي! ووالله لو لم
يكن معي سلاح (٩) أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة أبدا، ولم أفارقهم أو أموت بين يديك!. قال: ثم قام إليه جماعة كلهم (١٠) على نصرته وقالوا: نفديك أنفسنا.

---

(١) الطبري ٥ / ٤١٨ على أن أكرمتنا بالنبوة.
(٢) الطبري: وفقهتنا.
(٣) الطبري: لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي.
(٤) زيادة عن الطبري ٥ / ٤١٩.
(٥) الطبري: ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي.
(٦) الطبري: تفديك أنفسنا.
(٧) عن الطبري، والعبارة في الأصل: " فقبح والله العيش من بعدك ".
(٨) الطبري ٥ / ٤١٩ وأضربهم.
(٩) الأصل " سلاحا " والتصويب عن الطبري.
(١٠) في الطبري ٥ / ٤١٩ قام سعيد بن عبد الله الحنفي ومما قاله: وإنما هي قتله واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا.
ثم قام زهير بن القين ومما قاله: والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك.
وتكلم جماعة أصحابه بكلام قالوا: والله لا نفارقك ولكن أنفسنا لك الفداء.

قال: وأرسل إليه الحسين رضي الله عنه بريرا (١). فقال برير: يا عمر بن سعد! أتترك أهل بيت النبوة يموتون عطشا وحلت بينهم وبين الفرات أن يشربوه وتزعم أنك تعرف الله ورسوله؟ قال: فأطرق عمر بن سعد ساعة إلى الأرض ثم رفع رأسه وقال: إني والله أعلمه يا برير علما يقينا أن كل من قاتلهم وغصبهم على حقوقهم في النار لا محالة، ولكن ويحك يا برير (٢)! أتشير علي أن أترك ولاية الري فتصير لغيري؟ ما أجد نفسي تجيبني إلى ذلك أبدا، ثم أنشأ يقول:

دعاني عبيد الله من دون قومه * إلى خطة فيها خرجت لحيني
فو الله لا أدري وإني لواقف * على خطر بعظم على وسيني
أأترك ملك الري والري رغبة (٣) * أم أرجع مذموما (٤) بثأر حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها * حجاب وملك الري قرة عين

قال: فرجع برير بن حضير إلى الحسين فقال: يا بن بنت رسول الله! إن عمر بن سعد قد رضي أن يقتلك بملك الري.

قال: فلما أيس الحسين من القوم وعلم أنهم قاتلوه أقبل على أصحابه فقال: قوموا فاحفروا لنا حفيرة حول عسكرنا هذا شبه الخندق وأججوا فيه نارا، حتى يكون قتال القوم من وجه واحد لا نقاتلهم ولا يقاتلون فنشتغل بحربهم ولا نضيع الحرم

قال: فوثب القوم من كل ناحية وتعاونوا وحفروا خندقا، ثم جمعوا الشوك والحطب وألقوه في الخندق وأججوا فيه النار. وأقبل رجل من معسكر عمر بن سعد يقال له مالك (٥) بن حوزة على فرس له حتى وقف عند الخندق وجعل ينادي: أبشر يا حسين! فقد تلفحك النار في الدنيا قبل الآخرة (٦)! فقال له الحسين: كذبت يا عدو الله! إني قادم (٧) على رب رحيم وشفيع مطاع، وذلك جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم قال

---

(١) لعله برير بن حضير، وورد اسمه في الطبري ٥ / ٤٢١ ممن كان مع الحسين بن علي (رض).
(٢) بالأصل " يزيد ".
(٣) عن معجم البلدان (ري)، وبالأصل " رقبة ".
(٤) عن معجم البلدان، وبالأصل " مطلوبا ".
(٥) في الطبري ٥ / ٤٣٠ عبد الله.
(٦) في الطبري: " أبشر بالنار " وفي رواية أخرى فيه ٥ / ٤٢٣ أن شمر بن ذي الجوشن أقبل إلى معسكر الحسين (رض) ونادى بأعلى صوته: يا حسين، استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة.
(٧) الطبري: أقدم.

الحسين: من هذا الرجل؟ فقالوا: هذا مالك بن حوزة (١)! فقال الحسين: اللهم! حزه إلى النار، وأذقه حرها في الدنيا قبل مصيره إلى الآخرة! قال: فلم يكن بأسرع أن شبث به الفرس فألقته في النار، فاحترق (٢). قال: فخر الحسين لله ساجدا مطيعا، ثم رفع رأسه وقال: يا لها من دعوة ما كان أسرع إجابتها! قال: ثم رفع الحسين صوته ونادى: اللهم! إنا أهل نبيك وذريته وقرابته، فاقصم من ظلمنا وغصبنا حقنا، إنك سميع مجيب.

قال: وإذا المنادي ينادي من عسكر عمر: يا جند الله اركبوا (٣)! قال: فركب الناس وساروا نحو معسكر الحسين، والحسين في وقته ذلك جالس قد خفق رأسه (٤) على ركبتيه، وسمعت أخته زينب رضي الله عنها الصيحة والضجة، فدنت من أخيها وحركته فقالت: يا أخي! ألا تسمع الأصوات قد اقتربت منا؟ قال: فرفع الحسين رأسه وقال: يا أختاه! إني رأيت جدي في المنام وأبي عليا وفاطمة أمي وأخي الحسن عليهم السلام فقالوا: يا حسين! إنك رائح (٥) إلينا عن قريب، وقد والله يا أختاه دنا الأمر في ذلك، لا شك قال: فلطمت زينب وجهها وصاحت [وأخيبتاه]، فقال الحسين: مهلا! اسكتي ولا تصيحي فتشمت بنا الأعداء.

ثم أقبل الحسين على أخيه العباس فقال: يا أخي اركب وتقدم إلى هؤلاء القوم وسلهم عن حالهم (٦) وارجع إلي بالخبر. قال: فركب العباس في إخوته رضي الله عنهم ومعه أيضا عشرة فوارس (٧) حتى دنا من القوم ثم قال: ما شأنكم وما تريدون؟ فقالوا: نريد أنه قد جاء الأمر من عند عبيد الله بن زياد يأمرنا أن نعرض عليكم أن تنزلوا على أمر عبيد الله بن زياد أو نلحقكم بمن سلف (٨). فقال لهم العباس: لا تعجلوا حتى رجع إلى الحسين فأخبره بذلك (٩). قال: فوقف القوم في

---

(١) في الطبري: هذا ابن حوزة.

(٢) وفي الطبري ٥ / ٤٣٠ " فاضطرب به فرسه في جدول فوقع فيه وتعلقت رجله بالركاب، ووقع رأسه في الأرض، ونفر الفرس، فأخذ يمر به فيضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتى مات ".

(٣) بالأصل: " اركبي ".

(٤) الطبري: برأسه.

(٥) في الطبري ٥ / ٤١٦ إنك تروح.

(٦) في الطبري: تلقاهم فتقول لهم: ما لكم؟ وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم؟

(٧) في الطبري: في نحو من عشرين فارسا.

(٨) الطبري: أو ننازلكم.

(٩) الطبري: فأعرض عليه ما ذكرتم.

مواضعهم، ورجع العباس إلى الحسين فأخبره بذلك، فأطرق الحسين ساعة، والعباس واقف بين يديه، وأصحاب الحسين يخاطبون أصحاب عمر (١) بن سعد، فقال لهم حبيب بن مظاهر (٢): أما والله لبئس القوم يقدمون غدا على الله عز وجل وعلى رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد قتلوا ذريته وأهل بيته المجتهدين (٣) بالأسحار الذاكرين
الله كثيرا بالليل والنهار وشيعته الأتقياء الأبرار. قال: فقال رجل من أصحاب عمر يقال له عروة (٤) بن قيس: يا بن مظاهر! إنك لتزكي نفسك ما استطعت، فقال له زهير: اتق (٥) الله يا بن قيس! ولا تكن من الذين يعينون على الضلال ويقتلون النفوس الزكية الطاهرة عترة خير الأنبياء. فقال له عزرة (٦) بن قيس: إنك لم تكن عندنا من شيعة أهل البيت إنما كنت عثمانيا نعرفك (٧). هؤلاء في المخاطبة والحسين مفكر في أمر نفسه وأمر الحرب والعباس واقف في حضرته.
قال: وأقبل العباس على القوم وهم وقوف فقال: يا هؤلاء! إن أبا عبد الله يسألكم الانصراف عنه (٨) في هذا اليوم حتى ينظر في هذا الأمر، ثم يلقاكم غدا إن شاء الله تعالى. قال: فخبر القوم بهذا أميرهم عمر (٩) بن سعد: فقال للشمر بن ذي الجوشن: ما ترى من الرأي؟ فقال: أرى رأيك أيها الأمير! فقال عمر: إنني أحببت أن لا أكون أميرا، قال: ثم إني أكرهت (١٠). قال: وأقبل عمر على أصحابه (١١) فقال: ما الذي عندكم في هذا الرأي؟ فقال رجل من أصحابه يقال له عمرو بن الحجاج: سبحان الله العظيم! لو كانوا من الترك والديلم وسألوا (١٢) هذه المنزلة لقد كان حقا علينا [أن] نجيبهم إلى ذلك وكيف وهم آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) بالأصل: عمرو.
(٢) بالأصل: مطهر.
(٣) بالأصل " المتهجدون " وما أثبت عن الطبري.
(٤) الطبري: عزرة.
(٥) الأصل: اتقي.
(٦) عن الطبري، وبالأصل " عمرو ".
(٧) زيد في الطبري ٥ / ٤١٧ قال: أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم. في كلام كثير.
(٨) الطبري: أن تنصرفوا هذه العشية.
(٩) بالأصل " عبد الله " خطأ.
(١٠) الطبري: قد أردت ألا أكون.
(١١) الطبري: على الناس.
(١٢) الطبري: " ثم سألوك " وفي ابن الأثير: ثم سألوكم.

وأهله! فقال عمر بن سعد: إنا قد أجلنا هم (١) في يومنا هذا. قال: فنادى رجل من أصحاب عمر: يا شيعة الحسين بن علي! قد أجلناكم (٢) يومكم هذا إلى غد فإن استسلمتم ونزلتم على حكم الأمير وجهنا بكم إليه، وإن أبيتم ناجزناكم (٣). قال: فانصرف الفريقان بعضهم من بعض.

قال: وجاء الليل فبات الحسين في الليل ساجدا راكعا مستغفرا يدعو الله تعالى، له دوي كدوي النحل، قال: وأقبل الشمر بن ذي الجوشن - لعنه الله - في نصف الليل ومعه جماعة من أصحابه حتى تقارب من عسكر الحسين، والحسين قد رفع صوته وهو يتلو هذه الآية (ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم...) (٤) - إلى آخرها. قال: فصاح لعين (٥) من أصحاب شمر بن ذي الجوشن: نحن ورب الكعبة

الطيبون، وأنتم الخبيثون وقد ميزنا منكم. قال: فقطع برير الصلاة فناداه: يا فاسق! يا فاجر! يا عدو الله! أمثلك يكون من الطيبين! ما أنت إلا بهيمة ولا تعقل، فأبشر بالنار يوم القيامة والعذاب الأليم. قال: فصاح بن شمر بن ذي الجوشن - لعنه الله - وقال: أيها المتكلم! إن الله تبارك وتعالى قاتلك وقاتل صاحبك عن قريب!

فقال له برير: يا عدو الله! أبالموت تخوفني، والله إن الموت أحب إلينا من الحياة معكم! والله لا ينال شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوم أراقوا دماء ذريته وأهل بيته. قال: وأقبل

رجل من أصحاب الحسين إلى برير بن حضير فقال له: رحمك الله يا برير! إن أبا عبد الله يقول لك: ارجع إلى موضعك ولا تخاطب القوم، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء فلقد نصحت وأبلغت في النصح.

فلما كان وقت السحر خفق الحسين رأسه خفقة ثم استيقظ فقال: أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟ قالوا: وما الذي رأيت يا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال:

رأيت كأن كلابا قد شدت علي تناشبني، وفيها كلب أبقع رأيته أشدها علي، وأظن الذي يتولى قتلي رجل أبقع وأبرص من هؤلاء القوم، ثم إني رأيت بعد ذلك جدي

---

(١) الأصل: أحللنا هم.

(٢) عن الطبري، وبالأصل: أحللنا كم.

(٣) الطبري: فلسنا تاركيكم.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٧٨.

(٥) هو أبو حرب السبيعي عبد الله بن شهر، وكان مضحاكا بطالا، وكان شريفا شجاعا فاتكا كما في الطبري ٥ / ٤٢١.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول لي: يا بني! أنت شهيد آل
محمد! وقد استبشرت بك أهل السماوات وأهل الصفح الأعلى، فليكن إفطارك عندي الليلة، عجل ولا تؤخر! فهذا أثرك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء، وهذا ما رأيت وقد أزف الأمر واقترب الرحيل من هذه الدنيا، لا شك في ذلك.
قال: وأصبح الحسين وصلى بأصحابه، ثم قرب إليه فرسه، فاستوى عليه وتقدم نحو القوم في نفر من أصحابه، وبين يديه برير بن حضير (١) الهمداني، فقال له الحسين: كلم القوم يا برير واحتج عليهم! قال: فتقدم برير حتى وقف قريبا من القوم والقوم على بكرة قد زحفوا إليهم فقال لهم برير: يا هؤلاء! [اتقوا الله، فإن نسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد أصبح بين أظهركم، وهؤلاء] ذريته وعترته وبناته وحريمه، فهاتوا
ما الذي عندكم وما تريدون أن تصنعوا بهم! فقالوا: نريد أن نمكن منهم الأمير عبيد الله بن زياد فيرى رأيه فيهم. فقال برير بن حضير: ولا تقبلون منهم إن رجعوا إلى المكان الذي أقبلوا منه يا أهل الكوفة؟ أنسيتم كتبكم إليه وعهودكم الذي أعطيتموها من أنفسكم؟ وأشهدتم الله عليها وكفى بالله شهيدا، يا ويلكم! دعوتم (٢) أهل بيت نبيكم وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم، حتى إذا أتوا عليكم
أسلمتموهم إلى عبيد الله بن زياد وحلتم (٣) بينهم وبين الماء الجاري! وهو مبذول يشرب منه اليهود والنصارى والمجوس، وترده (٤) الكلاب والخنازير، فبئس ما خلفتم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في ذريته، ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة (٥)! ويلكم هذا
الحسن والحسين سيدا أهل الجنة من الأولين والآخرين (٦).
قال: وتقدم عمر بن سعد حتى وقف قبالة الحسين على فرس له، فاستخرج سهما فوضعه في كبد القوس ثم قال: أيها الناس! اشهدوا لي عند الأمير عبيد الله بن زياد أني أول من رمى بسهم إلى عسكر الحسين بن علي! قال: فوقع السهم بين

---

(١) بالأصل " الحصين " وقد مر.
(٢) بالأصل: ادعيتم.
(٣) في الطبري: ٥ / ٤٢٨: وحلأتموه ونساءه وأصيبيته وأصحابه عن ماء الفرات.
(٤) الطبري: وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه.
(٥) في الطبري: يوم الظمأ، إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه.
(٦) وردت القصة في الطبري ٥ / ٤٢٨ ونسبها للحر بن يزيد، أحد أصحاب الحسين بن علي (رض).

يدي الحسين، فتنحى عنه راجعا إلى ورائه وأقبلت السهام كأنها المطر، فقال الحسين لأصحابه: أيها الناس! هذه رسل القوم إليكم، فقوموا إلى الموت الذي لا بد منه.

ذكر ابتداء الحرب بين الحسين وبين القوم

قال: فوثب أصحاب الحسين فخرجوا من باب خندقهم، وهم يومئذ اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا، والقوم اثنان وعشرون ألفا لا يزيدون ولا ينقصون، فحمل بعضهم على بعض فاقتتلوا ساعة من النهار حملة واحدة، حتى قتل من أصحاب الحسين نيف وخمسون رجلا - رحمة الله عليهم -. قال: فعندها ضرب الحسين بيده إلى لحيته وجعل يقول: اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا لله ولدا، واشتد غضب الله على النصارى (١)، واشتد غضب الله على المجوس إذ عبدت الشمس والقمر والنار من دون الله، واشتد غضب الله على قوم اجتمعت آراؤهم على قتل ابن بنت نبيهم، والله ما أجبتهم إلى شيء مما يريدونه أبدا حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي، قال: ثم صاح الحسين: أما من مغيث يغيثنا لوجه الله؟ أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟

قال: فإذا الحر بن يزيد (٢) الرياحي قد أقبل يركض فرسه حتى وقف بين يدي الحسين رضي الله عنه، فقال: يا بن بنت رسول الله! كنت أول من خرج عليك، أفتأذن لي أن أكون أول مقتول بين يديك، لعلي أبلغ بذلك درجة الشهداء فألحق بجدك صلى الله عليه وآله وسلم! فقال الحسين: يا أخي! إن تبت كنت ممن تاب الله عليهم، إن الله هو

التواب الرحيم (٣).

ذكر الذين قتلوا بين يدي الحسين بن علي

قال فأول: من تقدم إلى قتال القوم الحر بن يزيد الرياحي وهو يقول:

إني أنا الحر ومأوى الضيف * أضرب في أعراضكم بالسيف

---

(١) كذا، والظاهر أن في الكلام نقصا.

(٢) بالأصل: زيد.

(٣) زيد في الأخبار الطوال ص ٢٥٦ فأبشر، فأنت الحر في الدنيا، وأنت الحر في الآخرة إن شاء الله وانظر الطبري ٥ / ٤٢٨.

عن خير من حل بلاد الخيف * أضربكم ولا أرى من حيف (١)
قال: وحمل، ولم يزل يقاتل حتى عرق (٢) فرسه فبقي راجلا، فجعل يقاتل وهو يقول:
إن تنكروني فأنا ابن الحر * أشجع من ذي لبد هزبر (٣)
ولست بالجياد عند الكر * لكني الوقاف عند الفر
ثم لم يزل يقاتل حتى قتل - رحمه الله -! فاحتمله أصحاب الحسين رضي الله عنه حتى وضعوه بين يديه وفيه رمق، فجعل يمسح وجهه الحسين ويقول: أنت الحر! كما سمتك أمك حرا، وأنت الحر في الدنيا والآخرة. قال: ثم جعل رجل من أصحاب الحسين يقول:
لنعم الحر حر بني رياح * ونعم عند مختلف الرماح
ونعم الحر إذ نادى حسين * فجاد بنفسه عند الصباح
قال: ثم برز من بعده برير بن حضير (٤) الهمداني ووهو يقول:
أنا برير وأبي حضير * ليس يروع الأسد عند الزئر
يعرف فينا الخير أهل الخير * أضربكم ولا أرى من ضر
وذاك فعل الحر من برير
قال: ثم حمل فقاتل قتالا شديدا وهو يقول: اقتربوا مني يا قتلة (٥) المؤمنين! اقتربوا مني يا قتلة أولاد النبيين! اقتربوا مني يا قتلة ابن بنت نبي رب العالمين وذريته الباقين! قال: فحمل رجل من أصحاب عبيد الله بن زياد يقال له بجير بن أوس

---

(١) في الطبري ٥ / ٤٤١.
أضرب في أعراضهم بالسيف * عن خير من حل منى والخيف
(٢) كذا، ولعله حتى عقر، انظر الطبري ٥ / ٤٣٧.
(٣) في الطبري ٥ / ٤٣٧.
إن تعقروا بي فأنا ابن الحر * أشجع من ذي لبد هزبر
(٤) بالأصل: " الحصين ".
(٥) بالأصل " قبيلة " وما أثبت عن المقتل لأبي مخنف وقد صححت أينما وقعت في كلامه.

الضبي (١) فقتله - رحمه الله -! ثم جال في الصفين وجعل يقول (٢):

سلي تخبري عني وأنت ذميمة * غداة حسين والرماح شوارع
ألم آت أقصى ما كرهت ولم يخل * علي غداة الروع ما أنا صانع
فجردته في عصبة ليس دينهم * كديني وإني بعد ذاك لقانع (٣)
وقد صبروا للطعن والضرب حسرا * وقد جالدوا لو أن ذلك واقع
وأبلغ عبيد الله إما لقيته * بأني مطيع للخليفة سامع
قتلت بريرا ثم حملت نعمة * غداة الوغى لما دعا من يقارع

قال: ثم ذكر له بعد ذلك أن بريرا كان من عباد الله الصالحين، وجاءه ابن عم له يقال له عبيد الله بن جابر فقال له: ويلك يا بجير! قتلت برير بن حضير (٤) فبأي وجه
تلقى الله تعالى غدا (٥)! قال: فندم حين لم ينفعه الندم، ثم أنشأ يقول (٦):

فلو شاء ربي ما شهدت قتالهم * ولا جعل النعماء عند ابن جابر
لقد كان ذاك اليوم عارا وسبة * يعيره الأبناء عند المعاشر
فيا ليت أني كنت في الحرب حفنة * ويوم حسين كنت في رمس (٧) قابر
فيا سوءتا ماذا أقول لخالقي * وما حجتي يوم الحساب القماطر (٨)

---

(١) هو كعب بن جابر بن عمرو الأزدي.
(٢) نسبت الأبيات في الطبري إلى كعب بن جابر ٥ / ٤٣٣.
(٣) قبله في الطبري:
معي يزني لم تخنه كعوبه * وأبيض مخشوب الغرارين قاطع
وبعده في الطبري:
ولم ترعيني مثلهم في زمانهم * ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع
أشد قراعا بالسيوف لدى الوغى * الأكل من يحمي الذمار مقارع
(٤) بالأصل: حصين.
(٥) في الطبري ٥ / ٤٣٢ وبعد أن رجع كعب بن جابر بعد ما قتل بريرا: " قالت له امرأته أو أخته النوار بنت جابر
أعنت على ابن فاطمة، وقتلت سيد القراء، لقد أتيت عظيما من الأمر... ".
(٦) في الطبري ٥ / ٤٣٣: " أن رضي بن منقذ العبدي رد بعد على كعب بن جابر جواب قوله " والأبيات في
الطبري، وبالأصل " الرمس ".
(٨) سقط من الطبري.

قال: ثم خرج وهب بن عبد الله بن عمير (١) الكلبي، وقد كانت معه أمه (٢) يومئذ، فقالت له أمه: قم يا بني فانصر ابن بنت نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم! فقال: أفعل ذلك
يا أماه ولا أقصر إن شاء الله تعالى. قال: ثم خرج إلى القوم وهو يقول:
إن تنكروني فأنا ابن الكلب * سوف تروني وترون ضربي
وحملتي وصولتي في الحرب * أدرك ثأري بعد ثأر صحبي
فأدفع الكرب إما إلى الكرب * ليس جهادي في الوغى باللعب (٣)
ثم حمل ولم يزل يقتل حتى قتل منهم جماعة، ورجع إلى أمه وامرأته، ورجع إلى أمه وقال: أرضيت أم لا؟ فقالت أمه: لا ما رضيت حتى تقتل بين يدي مولاك الحسين. قال: فقالت له المرأة: أسألك بالله أن لا تفجعني في نفسك، فقالت له أمه: لا تقبل قولها وارجع إلى مكانك وقاتل بين يدي مولاك وابن بنت نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليكون غدا في القيامة ممن يشفع لك عند ربك (٤)! فقام وهب بن
عبد الله (٥) وهو يقول:
إني زعيم لك أم وهب * بالطعن فيهم تارة والضرب
ضرب غلام مؤمن بالرب * حتى يذوق القوم مس الحرب
إني امرؤ ذو نجدة وعصب * حسبي قتيلي من عليم حسبي (٦)
ثم حمل ولم يزل يقاتل حتى قطعت يمينه، ثم قاتل حتى قطعت شماله، ثم

---

(١) عن الطبري ٥ / ٤٢٩ وفي الأصل " حباب " وفي البداية والنهاية ٨ / ١٩٦ " نمير " وفي المصدرين: عبد الله
وليس " وهب ".
(٢) في الطبري والبداية والنهاية: امرأته، وهي من النمر بن قاسط يقال لها أم وهب بنت عبد... انظر قصته مطولا
في الطبري ٥ / ٤٢٩.
(٣) الأرجاز في الطبري:
إن تنكروني فأنا ابن الكلب * حسبي بيتي في عليم حسبي
إني امرؤ ذو مرة وعصب * ولست بالخوار عند النكب
إني زعيم لك أم وهب * بالطعن فيهم مقدما والضرب
ضرب غلام مؤمن بالرب
(٤) لم يرد في الطبري ذكر لأمه، إنما ورد فيه أن امرأته أم وهب أخذت عمودا وأقبلت نحوه، وجعلت تحرضه على
القتال وتقاتل معه، إلى أن ناداه الحسين بن علي (رض) وأعادها إلى المعسكر وبقيت فيه مع النساء ٥ / ٤٣٠.
(٥) كذا. وانظر الأرجاز في الطبري.
(٦) الطبري: حسبي بيتي.

قتل – رحمه الله –.
ثم برز من بعده عمرو بن خالد الأزدي وهو يقول:
اليوم يا نفس إلى الرحمن * تمضين بالروح وبالريحان
اليوم تجزين على الإحسان
قد كان منك غابر الزمان * ما خط في اللوح لدى الديان
لا تجزعي فكن حي فان
والصبر أحظى لك بالأمان * يا معشر الأزد بني قحطان
كونوا لدى الحرب كأسد حفان
قال: ثم حمل فقاتل حتى قتل – رحمه الله –.
ثم تقدم من بعده ابنه خالد وهو يقول.
ثم تقدم من بعده ابنه خالد وهو يقول:
صبرا على الموت بني قحطان * كيما تكونوا في رضى الرحمن
ذي المجد والعزة والبرهان * وذي العلى والطول والإحسان
بأننا قد صرن في الجنان * وفي قصور حسن البنيان
قال: ثم حمل ولم يزل يقاتل حتى قتل – رحمه الله –.
ثم تقدم من بعده شعبة بن حنظلة التميمي وهو يقول:
صبرا على الأسياف والأسنة * صبرا عليها لدخول الجنة
وحور عين ناعمات حسنه * لمن يريد الفوز لا بالظنه
يا نفس للراحة فأحمدنه * وفي طلاب الخير فأرغبنه
قال: ثم حمل وقاتل قتالا شديدا حتى قتل – رحمه الله –.
وخرج من بعده آخر يقال له عمرو بن عبد الله المذحجي وهو يرتجز ويقول:
قد علمت سعد وحي مذحج * أني لدى الهيجاء غير مخرج
علوا بسيفي هامة المذحج * واترك القرن لدى التعرج
فريسة الضبع الأخيل الأعوج
قال: ثم حمل فقاتل حتى قتل – رحمه الله –.
ثم تقدم مسلم بن عوسجة الأسدي وهو يقول:

إن تسألوا عني فإني ذو لبد * من فرع قوم من ذرى بني أسد
فمن تعامى حائد عن الرشد * وكافر بدين جبار صمد
قال: ثم حمل فقاتل قتالا شديدا حتى قتل - رحمه الله (١) -.
وخرج من بعده عبد الرحمن بن عبد الله اليزني وهو يقول:
أنا ابن عبد الله من آل يزن * ديني على دين حسين وحسن
أضربكم ضرب فتى من اليمن * أرجو بذاك الفوز عند المؤتمن
ثم حمل فقاتل حتى قتل - رحمه الله -.
وخرج من بعده يحيى بن سليم المازني وهو يقول:
لأضربن القوم ضربا فيصلا * ضربا شديدا في الغداة معجلا
لا عاجزا فيها ولا مولولا * ولا أخاف اليوم موتا مقبلا
لكنني كالليث أحمي أشبلا
ثم حمل فقاتل حتى قتل - رحمه الله -.
ثم خرج من بعده قرة بن أبي قرة الغفاري وهو يقول:
قد علمت حقا بنو (٢) غفار * وخندف بعد بني نزار
بأنني الليث لدى الغبار * لأضربن (٣) معشر الفجار
بكل عضب ذكر (٤) بتار * ضربا وحتفا عن بني الأخيار
رهط النبي السادة الأبرار (٥)

---

(١) قتله مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي كما في الطبري ٥ / ٤٣٦ وفيه أنه
لما صرع مشى إليه الحسين فإذا به رمق، فقال: رحمك ربك يا مسلم.
وقال له حبيب بن مظاهر: عز علي مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة، فقال له مسلم قولا ضعيفا: بشرك الله بخير
وفيه أيضا أنه لما تنادى أصحاب عمرو بن الحجاج: قتلنا مسلم بن عوسجة. قال شبث بن ربعي: أما والذي أسلمت له لرب موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم سلق آذربيجان قتل ستة من المشركين...
أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟.
(٢) عن الطبري، وبالأصل " بني ".
(٣) في الطبري: لنضربن.
(٤) الطبري: صارم.
(٥) الأرجاز في الطبري ٥ / ٤٤٢ والبداية والنهاية ٨ / ٢٠١ ونسبا فيهما لفتى غفاري، قال الطبري في قصته: ٥ /
٤٤٢ فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا... تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه، فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزرة (في ابن الأثير: عروة) الغفاريان... أحببنا أن نقتل بين يديك، نمنعك وندفع عنك، قال: مرحبا بكما، ادنوا مني فدنيا منه فجعلا يقاتلان قريبا منه وأحدهما يقول " وذكر الأرجاز باختلاف

في بعض الأشطار.

ثم حمل فقاتل حتى قتل - رحمه الله -.
ثم خرج من بعده مالك بن أنس الباهلي وهو يرتجز ويقول:
قد علمت مالك وذودان * والخندفيون ومن قيس غيلان
بأن قومي آفة الأقران * لدى الوغى وسادة الفرسان (١)
فباشروا الموت بطعن آن * لسنا نرى العجز عن الطعان
آل علي شيعة الرحمن * آل زياد شيعة الشيطان
ثم حمل فقاتل حتى قتل - رحمه الله -.
وخرج من بعده عمرو بن مطاع الجعفي وهو يقول:
أنا ابن جعف وأبي مطاع * وفي يميني مرهف قطاع
وأسمر في رأسه لماع * ترى له من ضوئه شعاع (٢)
اليوم قد طاب لنا القراع * دون حسين الضرب والنطاع
نرجئ بذاك الفوز والرفاع * عن حر نار حين لا امتناع
ثم حمل فقاتل حتى قتل - رحمه الله -. وخرج من بعده حبيب بن مظاهر الأسدي وهو يرتجز ويقول:
أنا حبيب (و) (٣) أبي مظاهر (٤) * فارس هيجاء وحرب تسعر
أنتم أعد عدة وأكثر * ونحن أعلى حجة وأقهر (٥)
(و) أنتم عند الوفاء أغدر (٦) * ونحن أوفى منكم وأصبر

---

(١) في المقتل: يا قوم كونوا كأسود الجان.
(٢) مكانها في المقتل:
كأنه من لمعه شعاع * ادنوا فقد طاب لنا القراع
دون الحسين الضرب والقراع * صلى عليه الملك المطاع
(٣) زيادة عن الطبري ٥ / ٤٣٩.
(٤) عن الطبري وبالأصل " مطهر ".
(٥) في الطبري: وأظهر.
(٦) الرجز في الطبري: حقا وأتقى منكم وأعذر.

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمه الله - (١).
وخرج من بعده حوي مولى أبي (٢) ذر الغفاري وكان أسود فجعل يرتجز ويقول:
كيف ترى الفجار ضرب الأسود * بالمشرفي القاطع المهند
بالسيف صلنا عن نبي محمد * أذب عنه باللسان واليد
أرجو بذاك الفوز يوم المورد * من الإله الواحد الموحد (٣)
إذ لا شفيع عنده كأحمد
ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمه الله -.
وخرج من بعده أنيس بن معقل الأصبحي وهو يرتجز ويقول:
أنا أنيس وأنا ابن معقل * وفي يميني نصل سيف مصقل
أضرب به في الحرب حتى ينجلي * أعل به الهامات وسط القسطلي
من الحسين الماجد المفضل * ابن رسول الله خير مرسل
ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمه الله -.
وخرج من بعده يزيد بن [زياد بن -] (٤) المهاصر الجعفي (٥) وهو يقول:
أنا يزيد وأبي مهاصر * ليث عبوس في العرين جاذر (٦)
يا رب إني للحسين ناصر * ولابن سعد تارك وهاجر
وابن زياد خاذل وغادر * وللأعادي مبغض ونافر
وكلهم إلى الجحيم صائر

---

(١) طعنه رجل من بني تميم، ثم ضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف. ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه. ولما
كان زمن مصعب بن الزبير، وفي غزوة باجميرا قتله ابن حبيب القاسم. (عن الطبري ٥ / ٤٤٠).
(٢) بالأصل: أبو.
(٣) الرجز في المقتل:
عند الوصي والشفيع الأمجد
(٤) عن الطبري، وهو أبو الشعثاء الكندي ٥ / ٤٤٥.
(٥) في الطبري ٥ / ٤٤٥ الكندي، من بني بهدلة. وفي البداية والنهاية ٨ / ٢٠١ الكناني.
(٦) في الطبري: أشجع من ليث بغيل خادر.

قال: ثم حمل فقاتل حتى قتل - رحمه الله - (١).
وخرج من بعده الحجاج بن مسروق وهو يقول:
[أقدم هديت هاديا مهديا * فاليوم تلقى جدك النبيا
ثم أباك ذا الندى عليا * ذاك الذي نعرفه وصيا
والحسن الخير التقي الوفيا (٢) * وذا الجناحين الفتى الكميا
وأسد الله الشهيد الحيا] (٣)
ثم حمل فقاتل حتى قتل - رحمه الله -.
وخرج من بعده سعيد بن عبد الله الحنفي وهو يقول:
أقدم حسين اليوم تلقى أحمدا * وشيخك الخير عليا ذا الندى
وحسنا كالبدر وافى الأسعدا * وعمك القرن الهجان الأصيدا
وذو الجناحين هنوا وسعدا * وحمزة الليث الهربز الأسدا
في جنة الفردوس يعلو أصعدا
ثم حمل فقاتل حتى قتل - رحمه الله -.
وخرج من بعده زهير بن القين البجلي وهو يرتجز ويقول:
[أنا زهير وأنا ابن القين * أذودكم (٤) بالسيف عن حسين
إن حسينا أحد السبطين * من عترة البر التقي الزين
ذاك رسول الله غير المين * أضربكم ولا أرى من شين]
ثم حمل ولم يزل يقاتل حتى قتل - رحمه الله - (٥).
وخرج من بعده هلال بن رافع البجلي (٦) وجعل يرميهم بالسهام وهو يقول:

---

(١) قال في الطبري أن أبا الشعثاء كان ممن خرج مع عمر بن سعد إلى الحسين، فلما ردوا الشروط على الحسين مال
إليه فقاتل معه حتى قتل.
(٢) في الطبري ٥ / ٤٤١: وحسنا والمرتضى عليا.
(٣) نسبت الأرجاز في الطبري والبداية والنهاية إلى زهير بن القين.
(٤) في الطبري ٥ / ٤٤١ " أذودهم " وفي البداية والنهاية ٨ / ١٩٩ فكالأصل.
(٥) في الطبري: شد عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه.
(٦) في الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية: نافع بن هلال الجملي.

[أرمي بها معلمة (١) أفواقها * والنفس لا ينفعها أسواقها
مسمومة تجري لها أحقابها * لتملأن أرضها رشاقها]
قال: ثم لم يزل يرميهم حتى فنيت سهامه، ثم ضرب بيده إلى سيفه وجعل يقول:
[أنا الغلام التميمي البجلي * ديني على دين حسين بن علي (٢)
إن أقتل اليوم وهذا عملي * وذاك رأيي أو ألاقي أملي]
ثم حمل فقاتل حتى قتل - رحمه الله - (٣).
ثم خرج من بعده جنادة بن الحارث الأنصاري وهو يقول:
[أنا جناد وأنا ابن الحارث * لست بخوار ولا بناكث
عن بيعتي حتى ترى موارث * اليوم سلوى في الصعيد ماكث]
ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمه الله -.
وخرج من بعده ابنه عمرو بن جنادة وهو يقول:
[أصف الخناق من ابن هند وأرمد * من عاهة لفوارس الأنصار
ومهاجرين مخضبين رماحهم * تحت العجاجة من دم الكفار
حسنت على عهد النبي محمد * فاليوم تخضب من دم الفجار
واليوم تخضب من دماء أراذل * رفض القرآن لنصرة الأقدار
طلبوا بثأرهم ببدر إذ أتوا * بالمرهفات وبالقنا القتار
والله ربي لا أزال مضاربا * في الفاسقين بمرهف بتار
هذا على الأزدي حق واجب * في كل يوم تعانق وكرار]
وهذه تسمية من قتل بين يدي الحسين من ولده
وإخوانه وبني عمه رضي الله عنهم
كان أول من خرج منهم عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب وهو يقول:

---

(١) في البداية والنهاية ٨ / ١٩٩ معلما.
(٢) في الطبري والبداية والنهاية: أنا الجملي، أنا على دين علي.
(٣) أخذ أسيرا، بعدما قتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد، وقتله شمر بن ذي الجوشن كما في الطبري ٥ / ٤٤٢.

[اليوم ألقى مسلما وهو أبي * وفتية ماتوا على دين النبي
ليس كقوم عرفوا بالكذب * لكن خيار وكرام النسب
من هاشم السادات أهل الحسب]
ثم حمل فقاتل حتى قتل منهم جماعة وقتل (١) - رحمه الله -.
وخرج من بعده جعفر بن عقيل بن أبي طالب وهو يقول:
[أنا الغلام الأبطحي الطالب * من معشر في هاشم وغالب
و نحن حقا سادة الذوائب * هذا حسين سيد الأطائب]
ثم حمل فقاتل حتى قتل (٢) - رحمه الله -.
وخرج من بعده أخوه عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وهو يرتجز ويقول:
[أبي عقيل فاعرفوا مكاني * من هاشم وهاشم إخواني
كهول صدق سادة القرآن * هذا حسين شامخ البنيان]
فقاتل حتى قتل (٣) - رحمه الله -.
وخرج من بعده أخوه محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو يقول:
[نشكو إلى الله من العدوان * فقال قوم في الردى عميان
قد بدلوا معالم الفرقان * ومحكم التنزيل والتبيان
وأظهروا الكفر مع الطغيان]
فقاتل حتى قتل (٤) - رحمه الله -.
وخرج من بعده أخوه عون (٥) بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو يقول:

---

(١) قتله عمرو بن صبيح الصدائي كما في الطبري ٥ / ٤٤٧ وفي الأخبار الطوال ص ٢٥٧ عمرو بن صبح الصيداوي. رماه عمرو بسهم فوضع كفه على جبهته فأخذ لا يستطيع أن يحرك كفيه ثم انتحى له بسهم آخر ففلق قلبه.
(٢) قتله عبد الله بن عزرة (ابن الأثير: عروة) الخثعمي كما في الطبري وابن الأثير. وقد ورد ذكر قتله فيهما بعد أخيه عبد الرحمن.
(٣) شد عليه عثمان بن أسير الجهني وبشر بن سوط الهمداني ثم القابضي فقتلاه (الطبري). وفي الأخبار الطوال أن الذي رماه عبد الله بن عروة الخثعمي.
(٤) قتله عامر بن نهشل التيمي كما في الطبري.
(٥) بالأصل " عور " وقد مر ذكره مع أخيه محمد وكان أبوهما عبد الله بن جعفر قد أرسل معهما كتابا إلى الحسين قبل خروجه من مكة فبقيا معه وانضما إليه عند خروجه.

[إن تنكروني فأنا ابن جعفر * شهيد صدق في الجنان الزهر
نطير فيها بجناح أخضر * كفى بهذا شرفا من معشر]
ثم حمل فقاتل حتى قتل (١) - رحمه الله -.
وخرج من بعده عبد الله بن الحسن (٢) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكأن على وجهه شقة قمر، وعليه يومئذ قميص وإزار، وفي يده سيف له حسام قاطع، وهو يرتجز ويقول:
إن تنكروني فأنا فرع الحسن * سبط النبي المصطفى والمؤتمن
هذا حسين كأسير مرتهن * بين أناس لأسقوا صوب المزن
فقاتل حتى قتل - رحمه الله -.
قال: فصاح الحسين: صبرا يا بني! وصبرا يا أهل بيتي! فو الله لا رأيتم هوانا بعد هذا اليوم أبدا. قال: ثم تقدم إخوة الحسين عازمين على أن يموتوا من دونه، فأول من تقدم أبو بكر بن علي - واسمه عبد الله، وأمه ليلى بنت مسعود بن خالد الربعي التميمية - فتقدم وهو يقول:
شيخي علي ذو الفخار الأطول * من هاشم الخير الكريم المفضل
هذا حسين ابن النبي المرسل * عنه نحامي بالحسام المصقل
تفديه نفسي من أخ مبجل * يا رب فامنحني ثواب المنزل
قال: فحمل عليه رجل من أصحاب عمر (٣) بن سعد يقال له زحر بن بدر النخعي فقتله (٤) - رحمه الله -.
فخرج من بعده أخوه عمر (٥) بن علي فجعل يقول:

---

(١) قتله عبد الله بن قطبة الطائي ثم النبهاني.
(٢) بالأصل: " الحسين " وما أثبت عن مروج الذهب ٣ / ٧٦.
(٣) الأصل: عمرو.
(٤) قال ابن الأثير: وقد شك في قتله، ولم يذكره المسعودي فيمن قتل مع الحسين من إخوته. وورد في الأخبار الطوال: أبو بكر بن الحسن بن علي ومثله في مروج الذهب، وأمه أم ولد، وقد قتله عبد الله بن عقبة الغنوي.
(٥) بالأصل: " عمرو " وما أثبت عن جمهرة أنساب العرب وفيه: أمه الصهباء بنت ربيعة بن بجير التغلبية.
ولم يرد اسمه في الطبري ولا مروج الذهب ولا الأخبار الطوال ولا ابن الأثير.

[أضربكم ولا أرى فيكم زحر * ذاك الشقي بالنبي من كفر
يا زحر يا زحر بل آن من عمر * لعلك اليوم تبوء من سقر
شر مكان من حريق وسعر * لأنك الجاحد يا شر البشر]
قال: ثم حمل على قاتل أخيه فقتله، واستقبل القوم فجعل يضرب فيهم بسيفه ضربا منكرا وهو يرتجز ويقول:
[خلوا عداة الله خلوا عن عمر * خلوا عن الليث العبوس المكفهر
يضربكم بسيفه ولا يفر * وليس فيها كالجبان المستجر]
ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمه الله -.
وخرج من بعده أخوه عثمان بن علي - وأمه أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كلاب العامرية - وهو يقول:
[إني أنا عثمان ذو المفاخر * شيخي علي ذو الفعال الطاهر
وابن عم النبي الطاهر * أخو حسين خيرة الأخائر
وسيد الكبار والأصاغر * بعد الرسول والوصي الناصر]
فقاتل حتى قتل (١) - رحمه الله -.
وخرج من بعده أخوه جعفر بن علي بن أبي طالب - وأمه أم البنين بنت حزام - فجعل يرتجز ويقول:
إني أنا جعفر ذو المعالي * ابن علي الخير ذو النوال
أخي حسين ذو (٢) الندى المفضال
ثم حمل فقاتل حتى قتل (٣) - رحمه الله -:
ثم خرج من بعده أخوه عبد الله بن علي وهو يرتجز ويقول:
أنا ابن ذي النجدة والأفضال * ذاك على الخير ذو الفعال

---

(١) رماه خولي بن يزيد بسهم فقتله قاله ابن الأثير ٢ / ٥٨١ وفي الأخبار الطوال ص ٢٥٧ رماه يزيد الأصبحي بسهم فقتله. ثم خرج إليه فاحتز رأسه.
(٢) بالأصل: ذي.
(٣) قتله هانئ بن ثويب الحضرمي كما في الأخبار الطوال.

سيف رسول الله ذي النكال * في كل يوم ظاهر الأهوال
ثم حمل فقاتل حتى قتل (١) - رحمه الله -.
وخرج من بعده أخوه العباس بن علي وهو يقول:
أقسمت بالله الأعز الأعظم * وبالحجور صادقا وزمزم
و ذو الحطيم والفنا المحرم * ليخضبن اليوم جسمي بالدم
أمام ذي الفضل وذي التكرم * ذاك حسين ذو (٢) الفخار الأقدم
ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل من القوم جماعة وقتل (٣) - رحمه الله -.
ثم تقدم من بعده علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه وهو يومئذ ابن ثماني عشرة (٤) سنة، فتقدم نحو القوم ورفع الحسين شيبته نحو السماء وقال: اللهم اشهد على هؤلاء القوم! فقد برز إليهم غلام أشبه القوم خلقا وخلقا ومنطقا برسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فامنعهم بركات الأرض، فإن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقا، وأقطعهم
قطعا، واجعلهم طرائق قددا، ولا ترض الولاة عنهم أبدا، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا. قال: ثم صاح الحسين بعمر (٥) بن سعد فقال: ما لك قطع الله رحمك، ولا بارك لك في أمرك (٦)، وسلط عليك بعدي من يقتلك على فراشك، كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ثم رفع الحسين صوته وقرأ
(إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) (٧). قال: ثم تقدم علي بن الحسين بن علي
عليهما السلام وهو يقول:
أنا علي بن الحسين بن علي * من عصبة جد أبيهم النبي (٨)

---

(١) قتله هانئ بن ثويب الحضرمي أيضا (الطبري - الأخبار الطوال).
(٢) بالأصل: ذي.
(٣) قتله زيد بن رقاد الجني وحكيم بن الطفيل السنبسي (الطبري).
(٤) بالأصل: ثمانية عشر.
(٥) الأصل: " بعمرو ".
(٦) عن المقتل، وبالأصل " أثرك ".
(٧) سورة آل عمران الآيتان ٣٣ / ٣٤.
(٨) في الطبري ٥ / ٤٤٦: نحن ورب البيت أولى بالنبي.
وفي مروج الذهب ٣ / ٧٦: نحن وبيت الله أولى بالنبي.

و الله لا يحكم فينا ابن الدعي * أطعنكم بالرمح حتى ينثني
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي * ضرب غلام علوي قرشي
ثم حمل رضي الله عنه، فلم يزل يقاتل حتى ضج أهل الشام من يده ومن كثرة من قتل منهم، فرجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال: يا أبة! العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة من الماء سبيل. قال: فبكى الحسين ثم قال: يا بني! قاتل قليلا فما أسرع ما تلقى جدك محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فيسقيك
بكأسه الأوفى! قال: فرجع علي بن الحسين إلى الحرب وهو يقول:
الحرب قد بانت لها حقائق * وظهرت من بعدها مصادق
والله رب العرش لا نفارق * جموعكم أو تغمدوا البوارق
ثم حمل، فلم يزل يقاتل حتى قتل (١) - رحمه الله -.
قال: فبقي الحسين فريدا وحيدا ليس معه ثان إلا ابنه علي رضي الله عنه وهو يومئذ ابن سبع سنين (٢)، وله ابن آخر يقال له علي في الرضاع، فتقدم إلى باب الخيمة
فقال: ناولوني ذلك الطفل حتى أودعه! فناولوه الصبي، فجعل يقبله وهو يقول: يا بني! ويل لهؤلاء القوم إذ كان غدا خصمهم جدك محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
قال: وإذا بسهم قد
أقبل حتى وقع في لبة الصبي قتله (٣)، فنزل الحسين رضي الله عنه عن فرسه وحفر له بطرف السيف ورماه بدمه وصلى عليه ودفنه، ثم وثب قائما وهو يقول (٤):
[كفر القوم وقدما رغبوا * عن ثواب الله رب الثقلين
قاتلوا قدما عليا وابنه * حسن الخير كريم الأبوين

---

(١) في الطبري وابن الأثير ومروج الذهب والبداية والنهاية والأخبار الطوال: أن علي بن الحسين (علي الأكبر) وأمه ليلى ابنة مرة بن عروة بن مسعود الثقفي كان أول من قاتل من بني هاشم، وهو أول قتيل منهم بين يدي أبيه الحسين، اعترضه مرة بن منقذ بن النعمان العبدي فطعنه فصرع وقطعه الناس بسيوفهم.
وفي الطبري: سمع الحسين يقول بعد مقتل علي: قتل الله قوما قتلوك يا بني! ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول! على الدنيا بعدك العفاء.
(٢) في نسب قريش: ابن ثلاث وعشرين سنة وكان مريضا.
(٣) واسمه عبد الله رماه رجل من بني أسد فذبحه كما في ابن الأثير، وفي البداية والنهاية: يقال له: ابن موقد النار.
(٤) الأبيات في كشف الغمة باختلاف بعض الألفاظ.

حسدا منهم وقالوا أجمعوا * نقتل الآن جميعا للحسين
يا لقوم من أناس رذل * جمعوا الجمع لأهل الحرمين
ثم ساروا وتواصوا كلهم * باحتياجي لرضاء الملحدين
لم يخافوا الله في سفك دمي * لعبيد الله نسل الكافرين
وابن سعد قد رماني عنوة * بجنود كوكود الهاطلين
لا لشيء كان مني قبل ذا * غير فخري بضياء الفرقدين
بعلي الخير من بعد النبي * والنبي القرشي الوالدين
خيرة الله من الخلق أبى * بعد جدي فأنا ابن الخيرتين
فضة قد خلصت من ذهب * فأنا الفضة وابن الذهبين
من له جد كجدي في الورى * أو كشيخي وأنا ابن القمرين
فاطم الزهراء أمي وأبي * قاصم الكفر ببدر وحنين
وله في يوم أحد وقعة * شفت الغل بفض العسكرين
ثم بالأحزاب والفتح معا * كان فيها حتف أهل الثقلين
في سبيل الله ماذا صنعت * أمة السوء معا بالفرقدين
عترة البر النبي المصطفى * وعلى الورد يوم الجحفلين]

قال: ثم استوى الحسين على فرسه، وتقدم حتى واجه القوم وقال: يا أهل الكوفة قبحا لكم وترحا، وبؤسا لكم وتعسا * استصرختمونا والهين فأتيناكم موجبين فشحذتم علينا سيفا كان في أيماننا، وجئتم علينا نارا نحن أضرمناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم وقد أثرتم العداوة على الصلح من غير ذنب كان منا إليكم، وقد أسرعتم إلينا بالعناد، وتركتم بيعتنا رغبة في الفساد، ثم نقضتموها سفها وضلة لطواغيت الأمة وبقية الأحزاب ونبذة الكتاب، ثم أنتم هؤلاء تتخاذلون عنا وتقتلونا، ألا! لعنة الله على الظالمين.

قال: ثم تقدم الحسين حتى وقف قبالة القوم وسيفه مصلت في يده وأنشأ من نفسه عازما على الموت وهو يقول:

أنا ابن علي الخير من آل هاشم * كفاني بهذا مفخر حين أفخر
وجدي رسول الله أكرم من مشى * ونحن سراج الله في الخلق يزهر
وفاطمة أمي سلالة أحمد * وعمي يدعى ذا (١) الجناحين جعفر

---

(١) بالأصل: ذو.

وفينا كتاب الله أنزل صادقا * وفينا الهدى والوحي والخير (١) يذكر
ونحن أمان الأرض للناس كلهم * نصول بهذا في الأنام ونفخر
ونحن ولاة الحوض نسقي ولا تنا * بكأس رسول الله ما ليس ينكر
وشيعتنا في الناس أكرم شيعة * ومبغضنا يوم القيامة يخسر

قال: ثم إنه دعا إلى البراز فلم يزل يقتل كل من خرج إليه من عيون الرجال حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، قال: وتقدم الشمر بن ذي الجوشن - لعنه الله - في قبيلة عظيمة - فقاتلهم الحسين بأجمعهم وقاتلوه حتى حالوا بينه وبين رحله، قال: فصاح بهم الحسين رضي الله عنه: ويحكم (٢) يا شيعة آل سفيان! إن لم يكن دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارا في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم (٣) إن كنتم أعوانا [كما] تزعمون. قال: فناداه الشمر بن ذي الجوشن - لعنه الله -: ما ذا تقول يا حسين؟ قال: أقول أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني، والنساء ليس لكم عليهن (٤) جناح فامنعوا (٥) عتاتكم وطغاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمي ما دمت حيا! فقال الشمر: لك ذلك يا بن فاطمة! قال: ثم صاح الشمر بأصحابه وقال: إليكم عن حريم الرجل واقصدوه في نفسه فلعمري إنه لكفوء كريم.

قال: فحمل عليه القوم بالحرب، فلم يزل يحمل عليهم ويحملون (٦) عليه وهو في ذلك يطلب الماء ليشرب منه شربة، فكلما حمل بنفسه على الفرات حملوا عليه حتى أحالوه عن الماء، ثم رمى رجل منهم بسهم يكنى أبا الجنوب (٧) الجعفي فوقع السهم في جبهته (٨) فنزع الحسين السهم فرمى به وسالت الدماء على وجهه ولحيته، فقال الحسين رضي الله عنه: اللهم! إنك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة الطغاة (٩)، اللهم! فأحصهم عددا، واقتلهم

---

(١) بالأصل: بالخير.
(٢) الطبري ٥ / ٤٥٠ ويلكم.
(٣) الطبري: فكونوا في أمر دنياكم أحرارا ذوي أحساب.
(٤) بالأصل: عليهم.
(٥) الطبري: امنعوا رحلي وأهلي من طعامكم وجهالكم.
(٦) بالأصل: ويحملوا.
(٧) عن الطبري ٥ / ٤٥٠ وبالأصل " أبا الحتوف " واسمه عبد الرحمن الجعفي.
(٨) في الطبري: في فمه. وفي ابن الأثير ٢ / ٥٧١ والبداية والنهاية ٨ / ٢٠٣ أن الذي رماه حصين بن نمير في حنكه، قال ابن الأثير: وقيل إن الذي رماه رجل من بني أبان بن دارم.
(٩) في الطبري وابن الأثير: اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك.

مددا (١)، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحدا، ولا تغفر لهم أبدا.
قال: ثم حمل عليهم كالليث المغضب، فجعل لا يلحق منهم أحد إلا لفحه بسيفه لفحة ألحقه بالأرض والسهام تقصده من كل ناحية وهو يتلقاها بصدره ونحره وهو يقول (٢): يا أمة السوء! فبئس ما أخلفتم محمدا في أمته وعترته، أما إنكم لن تقتلوا (٢) بعدي عبدا من عباد (٣) الله فتأهبوا قتله بل يهون عليكم عند قتلكم إياي، وأيم الله! إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون. قال: فصاح به الحصين بن نمير (٤) السكوني فقال: يا بن فاطمة! وبماذا ينتقم لك منا؟ قال: يلقي بأسكم بينكم ويفسك دماءكم ثم (٥) يصب عليكم العذاب صبا. قال: فصاح الشمر بن ذي الجوشن – لعنه الله – بأصحابه فقال: ما وقوفكم وماذا
تنتظرون بالرجل (٦) وقد أوثقته السهام؟ احملوا عليه، ثكلتكم أمهاتكم! قال: فحملوا عليه من كل جانب، قال: وأوثقته الجراح بالسيوف فضربه رجل يقال له زرعة بن شريك التميمي – لعنه الله – ضربة على يده اليسرى، وضربه عمرو بن طلحة الجعفي (٧) – لعنه الله – على حبل عاتقه من ورائه ضربة منكرة، ورماه سنان بن أنس (٨) النخعي – لعنه الله – بسهم، فوقع السهم في نحره، وطعنه صالح بن وهب اليزني (٩) – لعنه الله – طعنة في خاصرته، فسقط الحسين رضي الله عنه عن فرسه إلى الأرض واستوى قاعدا ونزع السهم من نحره وأقرن كفيه فكلما امتلأنا (١٠) من دمه خضب به رأسه ولحيته وهو يقول: هكذا حتى ألقى ربي بدمي مغصوبا على حقي!
قال: وأقبل عمر (١١) بن سعد حتى وقف عليه وقال لأصحابه: انزلوا إليه فخذوا

---

(١) في الطبري وابن الأثير وابن كثير: بددا.
(٢) في الطبري ٥ / ٤٥٢: أعلى قتلي تحاثون، أما والله لا تقتلون.
(٣) بالأصل: عبيد.
(٤) بالأصل " مالك " وما أثبت عن الطبري.
(٥) الطبري: ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم.
(٦) وكان قد مكث طويلا من النهار، وكان الناس يتقون بعضهم ببعض بقتله، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء.
(٧) في الطبري ٥ / ٤٥٠ القشعم بن عمرو بن يزيد الجعفي.
(٨) في الطبري: سنان بن أنس بن عمرو النخعي.
(٩) في الأصل " المزني " وما أثبت عن الطبري.
(١٠) بالأصل: إمتلئا.
(١١) بالأصل: عمرو.

رأسه! قال: فنزل إليه نصر بن خرشبة الضبابي - لعنه الله - وكان أبرص فضربه برجله فألقاه على قفاه ثم أخذ بلحيته، فقال له الحسين: أنت الأبقع الذي رأيتك في منامي، قال: أو تشبهني بالكلاب يا بن فاطمة! قال: ثم جعل يضرب بسيفه - لعنه الله - على مذبح الحسين وهو يقول:

أقتلك اليوم ونفسي تعلم * علما يقينا ليس فيه مرغم
ولا محال لا ولا تأثم * إن أباك خير من تكلم

قال: فغضب عمر (١) بن سعد ثم قال لرجل: انزل أنت إلى الحسين فأرحه!

قال: فنزل إلى خولي بن يزيد الأصبحي - لعنه الله - فاحتز رأسه (٢).

وتقدم إليه رجل من بني تميم يقال له الأسود بن حنظلة - لعنه الله - وأخذ سيفه، وتقدم إليه جعفر بن الوبر الحضرمي - لعنه الله - فأخذ قميصه فلبسه فصار أبرص وأسقط شعره، وأخذ سراويله يحيى بن عمرو الحرمي فلبسه فصار زمنا مقعدا من رجليه، وأخذ عمامته جابر بن زيد الأزدي فاعتم بها فصار مجذوما، وأخذ درعه مالك بن بشر الكندي فلبسه فصار معتوها (٣).

قال: وارتفعت في ذلك الوقت غبرة شديدة سوداء مظلمة، فيها ريح أحمر لا يرى فيها أثر عين ولا قدم حتى ظن القوم أن قد نزل بهم العذاب، فبقوا كذلك ساعة ثم انجلت عنهم.

قال: وأقبل بعد ذلك فرس الحسين وان قبل ذلك غار من بين أيديهم أن لا يؤخذ، فوضع رأسه في دم الحسين رضي الله عنه وأقبل يركض إلى خيمة النساء وهو يصهل. قال: فلما نظر أخوات الحسين إليه وبناته وأهل بيته رضوان الله عليهم إلى

---

(١) بالأصل: عمرو.

(٢) العبارة في الطبري ٥ / ٤٥٣: " وبعد أن طعنه سنان بن أنس بالرمح: قال لخولي بن يزيد الأصبحي: احتز رأسه، فأراد أن يفعل فضعف وأرعد، فقال له سنان: فت الله عضديك، وأبان يديك، فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه ثم دفعه إلى خولي بن يزيد " انظر مروج الذهب وابن الأثير والبداية والنهاية. وفي الأخبار الطوال ص ٢٥٨ احتز رأسه شبل بن يزيد أخو خولي.

(٣) في الطبري ٥ / ٤٥٣ وابن الأثير ٢ / ٥٧٢: " وسلب الحسين ما كان عليه، فأخذ سراويله بحر بن كعب، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته وكانت من خز، وكان يسمى بعد قيس قطيفة. وأخذ نعليه رجل من بني أو يقال له الأسود وأخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم.. ومال الناس على الورس (ابن الأثير: الفرش) والحلل والإبل فانتهبوها " وانظر البداية والنهاية ٨ / ٢٠٥ والأخبار الطوال ص ٢٥٨.

الفرس وليس عليه أحد رفعوا أصواتهم بالصراخ والعويل، وأقبل القوم حتى أحدقوا بالخيمة، وأقبل الشمر بن ذي الجوشن – لعنه الله – حتى وقف قريبا من خيمة النساء فقال لقومه: ادخلوا فاسلبوا بزيهن! قال: فدخل القوم فأخذوا كل ما كان في الخيمة (١)، حتى أفضوا إلى قرط كان في أذن أم كلثوم رضي الله عنهم فأخذوه وخرموا أذنها، وخرج القوم من الخيمة وأضرموها بالنار.

وأرسل عمر (٢) بن سعد بالرأس إلى عبيد الله بن زياد فجاءه الرجل بالرأس واسمه بشر بن مالك (٣) حتى وضع الرأس بين يديه وجعل يقول:

أملأ (٤) ركابي فضة و (٥) ذهبا * أنا قتلت الملك المحجبا

ومن يصلي القبلتين في الصبا * وخيرهم إذ يذكرون النسبا (٦)

قتلت خير الناس أما وأبا

قال: فغضب عبيد الله بن زياد من قوله ثم قال: إذ علمت أنه كذلك فلم قتلته؟ والله لا نلت مني خيرا ولألحقنك به، ثم قدمه وضرب عنقه (٧).

قال: وساق القوم حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كربلاء كما تساق الأسارى (٨)، حتى

إذا بلغوا بهم إلى الكوفة خرج الناس إليهم فجعلوا يبكون وينوحون، قال: وعلي بن

---

(١) في الطبري: ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه فأن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها.

(٢) الأصل: عمرو.

(٣) كذا بالأصل. والأرجاز في الطبري ٥ / ٤٥٤ وابن الأثير ٢ / ٥٧٣ مروج الذهب ٣ / ٧٥ البداية والنهاية ٨ / ٢٠٥ ونسبت إلى سنان بن أنس، قالها أمام عمر بن سعد. وفي مروج الذهب انطلق بالرأس إلى ابن زياد وهو يرتجزها.

و في الأخبار الطوال ص ٢٥٩ أن عمر بن سعد بعث برأس الحسين مع خولي بن يزيد الأصبحي.

(٤) في المصادر: أوقر.

(٥) عن المصادر المذكورة سابقا، وبالأصل: أو ذهبا.

(٦) في المصادر: ينسبون نسبا.

(٧) في مروج الذهب: بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس.

(٨) أقام عمر بن سعد بعد قتله الحسين يومين ثم ارتحل إلى الكوفة وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان وعلي بن الحسين مريض، فاجتازوا بهم على الحسين وأصحابه صرعى، فصاح النساء ولطمن خدودهن وصاحت زينب أخته: يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة.

الحسين في وقته ذلك قد نهكته العلة فجعل يقول: ألا! إن هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا فمن قتلنا.

ذكر كلام زينب بنت علي رضي الله عنها

قال خزيمة الأسدي (١): ونظرت إلى زينب بنت علي رضي الله عنه يومئذ ولم أر حفرة قط أفصح منها كأنها تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأومأت (٢) إلى الناس أن اسكتوا! فارتدت الأنفاس، ثم قالت: الحمد لله وصلواته على أبي محمد رسول الله وعلى آله الطاهرين الأخيار، أما بعد! يا أهل الكوفة! يا أهل الختل والخذل! [أتبكون] (٣) فلا رقت لكم دمعة، إنما مثلكم كمثل التي! نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم " [ألا] (٣) بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون أتبكون وتنتحبون! أي والله فابكوا كثيرا (٤) واضحكوا قليلا، كل ذلك بانتهاك كم حرمة ابن خاتم الأنبياء وسيد شباب أهل الجنة غدا وملاذ حضرتكم ومفزع نازلتكم ومنار حجتكم ومدرة سنتكم، ألا ساء ما تزرون، وبعدا لكم وسحقا! فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وتوليتم بغضب الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة، [أتدرون] (٥) ويلكم يا أهل الكوفة! أي كبد (٦) لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فريتم وأي دم له سفكتم، وأي حريم له ورثتم! وأي حرمة له انتهكتم (لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا) (٧) لقد جئتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض أفعجبتم إن أمطرت (٨) السماء دما! ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون. فلا يستخفنكم المهل ولا يحقره البدار، ولا يخاف [عليه] فوت الثأر، كلا! إن ربك لبالمرصاد. قال خزيمة (٩): فو الله! لقد رأيت

---

(١) عن الدر المنثور في طبقات ربات الخدود، وبالأصل: بشر بن حريم.
(٢) بالأصل: " أو مت ".
(٣) زيادة عن المقتل.
(٤) بالأصل: طويلا.
(٥) زيادة عن المقتل.
(٦) في الأصل: " كيد " خطأ.
(٧) سورة مريم الآية ٨٩ و ٩٠.
(٨) بالأصل: " فطرت " وما أثبت عن الدر المنثور.
(٩) بالأصل: " بشر " وقد تقدمت الإشارة إليه في بداية كلام زينب بنت علي (رض).

الناس يومئذ حيارى قد ردوا أيديهم في أفواههم، قال: ونظرت إلى شيخ من قدماء أهل مكة وقد بكى حتى اخضلت (١) لحيته وهو يقول: قد صدقت المرأة! كهولهم خير كهول، وشبابهم خير شباب إذا نطقوا نطق سحبان.

ذكر دخول القوم على عبيد الله بن زياد

قال: ثم أتى القوم حتى أدخلوا على عبيد الله بن زياد ونظرت إليه زينب بنت علي رضي الله عنه فجلست ناحية (٢)، فقال ابن زياد: من الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال الثانية: من الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال رجل (٣) من أصحابه: هذه زينب بنت علي رضي الله عنه فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم (٤) وأكذب أحدوثتكم! فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وطهرنا في كتابه تطهيرا، وإنما

يفضح (٥) الفاسق ويكذب الفاجر. فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت زينب رضي الله عنها: ما رأيت إلا جميلا (٦)، هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم يا بن زياد، فتحاجون وتخاصمون، فانظر لمن الفلح يومئذ! ثكلتك أمك يا بن مرجانة! قال: فغضب ابن زياد من ذلك، فقال له عمرو بن حريث (٧) المخزومي: أصلح الله الأمير! إنها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها (٨)، فقال ابن زياد: لقد أشفى الله [نفسي] (٩) من طاغيتك والعصاة المردودة (١٠) من أهل بيتك. فقالت زينب: لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي (١١) واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت. فقال ابن زياد: هذه شجاعة لا حرج، لعمري لقد كان أبوك شاعرا شجاعا، فقالت

---

(١) بالأصل " أخضبت " وما أثبت عن الدر المنثور.
(٢) في الطبري أن زينب لبست أرذل ثيابها وتنكرت وحفت بها إماؤها.
(٣) الطبري ٥ / ٤٥٧ فقال بعض إمائها.
(٤) في الطبري وابن الأثير: فضحكم وقتلكم.
(٥) في الطبري: لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق.
(٦) بالأصل: " حملا " وما أثبت المناسب للسياق.
(٧) عن الطبري، وبالأصل: صالح.
(٨) زيد في الطبري: ولا تلام على خطل.
(٩) عن الطبري. وفي ابن الأثير: غيظي.
(١٠) الطبري وابن الأثير: المردة.
(١١) في الطبري زيد: وأبرت أهلي.

زينب رضي الله عنها: يا بن زياد! وما للمرأة والشجاعة.
قال: فالتفت ابن زياد إلى علي بن الحسين رضي الله عنه قال (١): أو لم يقتل علي بن الحسين؟ قال: ذاك أخي وكان أكبر مني فقتلتموه (٢) وإن له مطلا منكم يوم القيامة، فقال ابن زياد: ولكن الله قتله، فقال علي بن الحسين رضي الله عنه: (الله يتوفى الأنفس حين موتها) (٣) وقال تعالى: (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) (٤). فقال ابن زياد لبعض جلسائه: ويحك! خذه إليك فأظنه قد أدرك الحلم! قال: فأخذه مري (٥) بن معاذ الأحمري، فنحاه ناحية ثم كشف عنه فإذا هو أنبت، فرده إلى عبيد الله بن زياد وقال: نعم، أصلح الله الأمير! قد أدرك، فقال: خذه إليك الآن فاضرب عنقه! قال: فتعلقت به عمته زينب بنت علي وقالت له: يا بن زياد (٦)! إنك لم تبق منا أحدا، فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه. فقال علي بن الحسين لعمته: اسكتي حتى أكلمه! ثم أقبل علي رضي الله عنه على ابن زياد فقال: أبالقتل تهددني؟ أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة (٧)!
قال: فسكت ابن زياد ثم قال: أخرجوهم عني! وأنزلهم في دارك إلى جانب المسجد الأعظم. ثم نادى عبيد الله بن زياد في الناس فجمعهم في المسجد الأعظم ثم خرج وصعد المنبر.

ذكر عبد الله بن عفيف الأزدي ورده على
ابن زياد ومقتله رحمه الله

قال: فصعد ابن زياد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال في بعض كلامه:
الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه (٨) وقتل الكذاب ابن

---

(١) لما عرض علي بن الحسين على ابن زياد قال له: ما اسمك؟ قال: أنا علي بن الحسين قال: أو لم يقتل... (عن الطبري ٥ / ٤٥٨).
(٢) في الطبري: قتله الناس.
(٣) سورة الزمر الآية ٤٢.
(٤) سورة آل عمران الآية ١٤٥.
(٥) عن الطبري، وبالأصل " مروان ".
(٦) في الطبري ٥ / ٤٥٨: حسبك منا، أما رويت من دمائنا، وهل أبقيت منا أحدا.
(٧) في الطبري ٥ / ٤٥٨ قال: يا بن زياد، إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الإسلام. فقال له ابن زياد: تعال أنت، انطلق مع نسائك، فبعثه معهن.
(٨) في الطبري ٥ / ٤٥٨ يزيد بن معاوية وحزبه.

الكذاب (١).
قال: فما زاد على هذا الكلام شيئا ووقف، فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي رحمه الله، وكان من خيار الشيعة وكان أفضلهم وكان قد ذهبت عينه اليسرى في يوم الجمل والأخرى في يوم صفين، وكان لا يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف إلى منزله، فلما سمع مقالة ابن زياد وثب قائما ثم قال: يا بن مرجانة! الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك (٢) وأبوه، يا عدو الله أتقتلون (٣) أبناء النبيين وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين (٤)؟ قال: فغضب ابن زياد ثم قال: من المتكلم؟ فقال: أنا المتكلم يا عدو الله! أتقتل الذرية الطاهرة التي قد أذهب الله عنها الرجس في كتابه وتزعم أنك على دين الإسلام؟ وأعوناه! أين أولاد المهاجرين والأنصار لا ينتقمون من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد نبي رب العالمين. قال: فازداد غضبا عدو الله حتى انتفخت أوداجه ثم قال: علي بن! قال: فتبادرت إليه الجلاوزة من كل ناحية ليأخذوه، فقامت الأشراف من الأزد من بني عمه فخلصوه من أيدي الجلاوزة وأخرجوه من باب المسجد فانطلقوا به إلى منزله.
ونزل ابن زياد عن المنبر ودخل القصر، ودخل عليه أشراف الناس فقال: أرأيتم ما صنع هؤلاء القوم؟ فقالوا: قد رأينا أصلح الله الأمير إنما الأزد فعلت ذلك فشد يديك بساداتهم فهم الذين استنقذوه (٥) من يدك حتى صار إلى منزله. قال: فأرسل ابن زياد إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فأخذه وأخذ معه جماعة من الأزد فحبسهم وقال: والله لا خرجتم من يدي أو تأتوني بعبد الله بن عفيف.
قال: ثم دعا ابن زياد لعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد (٦) بن الأشعث وشبث (٧) بن الربعي وجماعة من أصحابه وقال لهم: اذهبوا إلى هذا الأعمى أعمى

---

(١) زيد في الطبري: الحسين بن علي وشيعته.
(٢) الطبري ٥ / ٤٥٩: ومن ولاك.
(٣) عن الطبري، وبالأصل: أن تقتلون.
(٤) الطبري: وتكلمون بكلام الصديقين.
(٥) الأصل: أستنقضوه.
(٦) بالأصل " عمر " وقد مر أن محمد بن الأشعث من أصحاب ابن زياد.
(٧) بالأصل " شبيب " خطأ.

الأزد الذي قد أعمى الله قلبه كما أعمى عينيه، ائتوني به! قال: فانطلقت رسل عبيد الله (١) بن زياد إلى عبد الله بن عفيف، وبلغ ذلك الأزد فاجتمعوا، واجتمع معهم أيضا قبائل اليمن ليمنعوا عن صاحبهم عبد الله بن عفيف. وبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث وأمره بقتال القوم.

قال: فأقبلت قبائل مضر نحو اليمن ودنت منهم اليمن، فاقتتلوا قتالا شديدا، فبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إلى أصحابه يؤنبهم، فأرسل إليه عمرو بن الحجاج يخبره باجتماع اليمن عليهم. قال: وبعث إليه شبث (٢) بن الربعي: أيها الأمير! إنك قد بعثتنا إلى أسود الآجام فلا تعجل قال: واشتد قتال القوم حتى قتل جماعة منهم من العرب، قال: ودخل أصحاب ابن زياد إلى دار ابن عفيف فكسروا الباب واقتحموا عليه، فصاحت به ابنته: يا أبت! أتاك القوم من حيث لا تحتسب! فقال: لا عليك يا ابنتي! ناوليني السيف، قال: فناولته فأخذه وجعل يذب عن نفسه وهو يقول:

أنا ابن ذي الفضل العفيف الطاهر * عفيف شيخي وابن أم عامر
كم دارع من جمعهم وحاسر * وبطل جندلته مغادر

قال: وجعلت ابنته تقول: يا ليتني كنت رجلا فأقاتل بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البرزة. قال: وجعل القوم يدورون عليه من خلفه وعن يمينه وعن شماله وهو يذب (٣) عن نفسه بسيفه، وليس يقدر أحد أن يتقدم إليه، قال: وتكاثروا عليه من كل ناحية حتى أخذوه. فقال جندب بن عبد الله الأزدي، إنا لله وإنا إليه راجعون! أخذوا والله عبد الله بن عفيف فقبح والله العيش من بعده.

قال: ثم أتي به حتى أدخل على عبيد الله بن زياد، فلما رآه قال: الحمد لله الذي أخزاك، فقال له عبد الله بن عفيف: يا عدو الله بهذا أخزاني، والله لو فرج الله عن بصري لضاق عليك موردي ومصدري. قال: فقال ابن زياد: يا عدو نفسه! ما تقول في عثمان بن عفان رضي الله عنه؟ فقال: يا بن عبد بني علاج! يا بن مرجانة وسمية! ما أنت وعثمان بن عفان؟ عثمان أساء أم أحسن وأصلح أم أفسد، الله تبارك وتعالى ولي خلقه يقضي بين خلقه وبين عثمان بن عفان بالعدل والحق، ولكن سلني

---

(١) بالأصل: عبيد.
(٢) بالأصل: شبيب.
(٣) بالأصل: " بدت " وما أثبت المناسب للسياق.

عن أبيك وعن يزيد وأبيه! فقال ابن زياد: والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت، فقال عبد الله بن عفيف: الحمد لله رب العالمين! أما إني كنت أسأل ربي عزو جل أن يرزقني الشهادة والآن فالحمد لله الذي رزقني إياها بعد الإياس منها وعرفني الإجابة منه لي في قديم دعائي! فقال ابن زياد: اضربوا عنقه! فضربت رقبته وصلب - رحمة الله عليه - (١).

قال: ثم دعا ابن زياد بجندب بن عبد الله الأزدي فقال: يا عدو الله! ألست صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم صفين؟ فقال: بلى والله يا بن زياد! أنا صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولا زلت له وليا ولا أبرأ إليك من ذلك. فقال ابن زياد: أظن أني أتقرب إلى الله تعالى بدمك، فقال جندب: والله ما يقربك دمي من الله ولكنه يباعدك منه، وبعد فإنه لم يبق من عمري إلا أقله وما أكره أن يكرمني الله بهوانك، فقال ابن زياد: أخرجوه عني فإنه شيخ قد خرف وذهب عقله! قال: فأخرج عنه وخلي سبيله.

قال: ثم قدم إليه سفيان بن يزيد، فقال له ابن زياد: ما الذي أخرجك علي يا بن المعقل؟ فقال له: بلغني أن أصحابك أسروا عمي فخرجت أدافع عنه، قال: فخلى سبيله وراقب فيه عشيرته. ثم دعا بعبد الرحمن (٢) بن مخنف الأزدي فقال له: ما هذه الجماعة على بابك؟ فقال: أصلح الله الأمير! ليس على بابي جماعة وقد قتلت صاحبك الذي أردت وأنا لك سامع مطيع (٣)، وإخوتي لك جميعا كذلك، قال: فسكت عنه ابن زياد ثم خلاه وخلى سبيل إخوته وبني عمه.

ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية وبعثته إليه
برأس الحسين بن علي رضي الله عنهما

قال: ثم دعا ابن زياد زجر (٤) بن قيس الجعفي فسلم إليه رأس الحسين بن علي

---

(١) في الطبري ٥ / ٤٥٩ فأرسل إليه من أتاه به (وكان فتية من الأزد انتزعوه فأتوا به بيته) فقتله وأمر بصلبه في السبخة (في ابن الأثير: في المسجد) فصلب هنالك.

(٢) عن الطبري ٥ / ٤٥٩ وبالأصل: عبد الله.

(٣) وكان عبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالسا في المسجد عندما قام عبد الله بن عفيف الأزدي يرد كلام ابن زياد ويشتمه، فقال له عبد الرحمن: ويح غيرك، أهلكت نفسك، وأهلكت قومك.

(٤) بالأصل: " زيد " وسيرد صحيحا، وما أثبت عن الطبري ٥ / ٤٥٩ زيد في الطبري: وكان معه أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي.

رضي الله عنهما ورؤوس إخوته ورأس علي بن الحسين ورؤوس أهل بيته وشيعته رضي الله عنهم أجمعين. ودعا علي بن الحسين أيضا فحمله وحمل أخواته عماته وجميع نسائهم إلى يزيد بن معاوية. قال: فسار القوم بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكوفة
إلى بلاد الشام على محامل بغير وطاء من بلد إلى بلد ومن منزل إلى منزل كما تساق أسارى الترك والديلم.
قال: وسبق زحر بن قيس الجعفي برأس الحسين إلى دمشق حتى دخل على يزيد فسلم عليه ودفع إليه كتاب عبيد الله بن زياد. قال: فأخذ يزيد كتاب عبيد الله بن زياد فوضعه بين يديه، ثم قال: هات ما عندك يا زحر! فقال زحر: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك وبنصره إياك، فإنه ورد علينا الحسين بن علي في اثنين وثلاثين رجلا من شيعته وإخوته وأهل بيته (١)، فسرنا إليهم وسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم عبيد الله بن زياد (٢)، فأبوا علينا فقاتلناهم من وقت شروق الشمس إلى أن أضحى النهار، فلما أخذت السيوف مأخذها من الرجال (٣) جعلوا ينقصون (٤) إلى غير وزر، ويلوذون منا بالآكام والحفر، كما يخاف الحمام من الصقور، فو الله يا أمير المؤمنين! ما (٥) كان إلا جزر جزور أو نومة قائل (٥) حتى أتينا
على آخرهم، فهاتيك أجسادهم بالعراء مجردة، وثيابهم بالدماء مرملة، وخدودهم بالتراب معفرة (٦). قال: فأطرق يزيد ساعة ثم رفع رأسه فقال: يا هذا! لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين بن علي، أما والله! لو صار إلي لعفوت عنه، ولكن قبح الله ابن مرجانة! قال: وكان عبد الله بن الحكم (٧) أخو مروان بن الحكم قاعدا عند يزيد بن معاوية فجعل يقول شعرا (٨). فقال يزيد: نعم، لعن الله ابن

---

(١) في الطبري ٥ / ٤٥٩ وابن الأثير ٢ / ٥٧٦ في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته.
(٢) زيد في الطبري: أو القتال.
(٣) الطبري: من هام الرجال، ابن الأثير: من هام القوم.
(٤) الطبري: يهربون.
(٥) عن الطبري وابن الأثير، وبالأصل: كانوا عندنا إلا كقهوة الحامل.
(٦) زيد في الطبري وابن الأثير، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح، زوارهم العقبان والرخم بقي سبسب.
(٧) في الطبري ٥ / ٤٦٠ وابن الأثير ٢ / ٥٨٠ " يحيى بن الحكم " وزيد في ابن الأثير والبداية والنهاية ٨ / ٢١٣ أن مروان بن الحكم أتاهم فقال: كيف صنعتم؟ ولما علم ما جرى: قام فانصرف عنهم.
(٨) في الطبري: فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم:
لهام بجنب الطف أدنى قرابة * من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سمية أمسى نسلها عدد الحصى * وبنت رسول الله ليس لها نسل
و في ابن الأثير: وليس لآل المصطفى اليوم في نسل.

وفي البداية والنهاية ٨ / ٢١٣ أن يحيى بن الحكم قال لهم: حجبتم عن محمد (ص) يوم القيامة، لن أجامعكم على أمر أبدا، ثم قام فانصرف. وزيد في الطبري بعدما قال يحيى شعره: قال: فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال: اسكت.

مرجانة إذ قدم على مثل الحسين ابن فاطمة، أما والله! لو كنت صاحبه لما سألني خصلة إلا أعطيته إياها ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ولو كان بهلاك بعض ولدي، ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا فلم يكن له منه مرد.
قال: ثم أتي بالرأس حتى وضع بين يدي يزيد بن معاوية في طشت من ذهب، قال: فجعل ينظر إليه وهو يقول:
نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما (١)
قال: ثم أقبل على أهل مجلسه وقال: هذا كان يفتخر علي ويقول: أبي خير من أب (٢) يزيد، وأمي خير من أمه (٣)، وجدي خير من جد يزيد، وأنا خير من يزيد (٤) فهذا الذي قتله، فأما قوله: إن أبي خير من أب يزيد، فقد حاج أبي أباه فقضى (٥) الله لأبي على أبيه، وأما قوله: إن أمي خير من (٦) أم يزيد، فلعمري أنه صدق أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير من أمي، وأما قوله بأن جدي خير من (٧) جد
يزيد، فليس أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يقول: إنه خير من محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأما قوله:

---

(١) البيت في الطبري ٥ / ٤٦٠ والمفضلية ص ١٢ وابن الأثير ٢ / ٥٧٧ ومروج الذهب ٣ / ٧٥ والأخبار الطوال ص ٢٦١ والبداية والنهاية ٨ / ٢٠٩ باختلاف في المصادر ببعض ألفاظه. والبيت تمثل به يزيد قال: إن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام وقبله في ابن الأثير:
أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت * قواضب في أيماننا تقطر الدما
(٢) بالأصل: " أبي ".
(٣) بالأصل: " وأمه خير من أمي " خطأ، فالقائل هو الحسين (رض).
(٤) في الطبري ٥ / ٤٦٤: وأنا خير منه وأحق بهذا الأمر.
(٥) في الطبري: وعلم الناس أيهما حكم له.
(٦) في الطبري: من أمه.
(٧) في الطبري وابن الأثير: من جده.

خير مني، فلعله لم يقرأ هذه الآية: (قل اللهم مالك الملك) إلى (قدير) (١).
قال: ثم دعا بقضيب خيزران فجعل ينكث به ثنايا الحسين رضي الله عنه وهو يقول:
لقد كان أبو عبد الله حسن المنطق! فأقبل إليه أبو برزة (٢) الأسلمي أو غيره، فقال له: يا يزيد! ويحك! أتنكت (٣) بقضيبك ثنايا الحسين وثغره! أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرشف ثناياه وثنايا أخيه ويقول: " أنتما سيدا شباب أهل الجنة، فقتل
الله قاتلكما ولعنه وأعد له نار جهنم وساءت مصيرا "، أما إنك يا يزيد لتجئ يوم القيامة وعبيد الله بن زياد شفيعك ويجيء هذا ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم شفيعه. قال: فغضب
يزيد وأمر بإخراجه، فأخرج سحبا. وجعل يزيد يتمثل بأبيات عبد الله (٤) بن الزبعرى وهو يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا * وقعة (٥) الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا (٦) واستهلوا فرحا * ثم قالوا يا يزيد لا تسل (٧)
حين ألقت بقناة (٨) بركها * واستحر القتل في عبد الأشل
فجزيناهم ببدر مثلها * وأقمنا مثل بدر فاعتدل (٩)

ثم زاد فيها هذا البيت من نفسه فقال:

لست من عتبة إن لم أنتقم * من بني أحمد ما كان فعل

قال: وأتي بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أدخلوا مدينة دمشق من باب يقال له باب

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٦.
(٢) في الأصل " أبو بردة " وما أثبت عن الطبري وابن الأثير، واسمه: نضلة بن عبيد.
(٣) عن الطبري، وبالأصل " أ تنكث ".
(٤) بالأصل: عبيد الله.
(٥) في البداية والنهاية ٨ / ٢٠٩ جزع.
(٦) البداية والنهاية ٨ / ٢٠٩ جزع.
(٧) البداية والنهاية: ثم قالوا لي هنيا لا تسل.
(٨) عن طبقات فحول الشعراء ص ١٨٥ وبالأصل " يقينا " وفي البداية والنهاية:
حين حكت بفناء بركها * واستحر...
وبالأصل: واستخبر.
(٩) البيت في البداية والنهاية:
قد قتلنا الضعف من أشرافكم * وعدلنا ميل بدر فاعتدل
قلت: أجمع المؤرخون على أن يزيد بن معاوية تمثل بهذه الأبيات بعد وقعة الحرة، وقتله الأنصار بالمدينة وذلك سنة ٦٣.

توماء (١)، ثم أتي بهم حتى وقفوا على درج باب المسجد حيث يقام السبي. وإذا الشيخ قد أقبل حتى دنا منهم وقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح الرجال من سطوت كم وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له علي بن الحسين: يا شيخ! هل قرأت القرآن؟ فقال: نعم قد قرأته، قال: فعرفت هذه الآية (قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) (٢)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي بن الحسين رضي الله عنه: فنحن القربى يا شيخ! قال: فهل قرأت في سورة بني إسرائيل: (وآت ذا القربى حقه) (٣)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال علي رضي الله عنه: نحن القربى يا شيخ! ولكن هل قرأت هذه الآية (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى) (٤). [قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي] (٥): فنحن ذو القربى يا شيخ! ولكن هل قرأت هذه الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (٦)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي: فنحن أهل البيت الذين خصصنا بآية الطهارة. قال: فبقي الشيخ ساعة ساكتا نادما على ما تكلمه، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم! إني تائب إليك مما تكلمه ومن بغض هؤلاء القوم، اللهم إني أبرأ إليك من عدو محمد وآل محمد من الجن والإنس.

قال: ثم أتي بهم حتى أدخلوا على يزيد وعنده يومئذ وجوه أهل الشام، فلما نظر إلى علي بن الحسين رضي الله عنه قال له: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا علي بن الحسين، فقال: يا علي! إن أباك الحسين قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت، فقال علي بن الحسين: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) (٧). فقال يزيد لابنه خالد (٨): أردد عليه يا بني! فلم يدر خالد ما ذا يقول (٩)،

---

(١) باب توماء (توما) أحد أبواب مدينة دمشق.
(٢) سورة الشورى الآية ٤٣.
(٣) سورة الإسراء الآية ٢٦.
(٤) سورة الأنفال الآية ٤١.
(٥) زيادة اقتضاها السياق.
(٦) سورة الأحزاب الآية ٣٣.
(٧) سورة الحديد الآية ٢٢.
(٨) في البداية والنهاية: أجبه.
(٩) في الطبري وابن الأثير وابن كثير: فما درى خالد ما يرد عليه.

فقال يزيد (١): (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) (٢).
قال: فقام رجل من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين! هب لي هذه
الجارية (٣)! فقال له يزيد: اسكت، ويلك! لا تقل ذلك، فهذه ابنة علي وفاطمة،
وهم أهل بيت لم يزالوا مبغضين لنا منذ كانوا.
قال: فتقدم علي بن الحسين حتى وقف بين يدي يزيد بن معاوية وجعل
يقول:

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
فالله يعلم أنا لا نحبكم، ولا نلومكم إن لم تحبونا

فقال يزيد: صدقت يا غلام ولكن أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين،
فالحمد لله الذي أذل هما وسفك دماءهما، فقال له علي بن الحسين: يا بن معاوية
وهند وصخر! لم يزالوا آبائي وأجدادي فيهم الإمرة من قبل أن نلد، ولقد كان جدي
علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفار، ثم جعل علي
بن الحسين
يقول (٤):

ما ذا تقولون (٥) إن قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد منقلبي (٦) * منهم أسارى ومنهم (٧) ضرجوا بدم

---

(١) في المصادر: فقال له يزيد: قل.
(٢) سورة الشورى الآية ٣٠.
(٣) يريد فاطمة بنت علي (رض) كما في الطبري.
(٤) الأبيات في الطبري ٥ / ٤٦٧ وابن الأثير ٢ / ٥٧٩ ومروج الذهب ٣ / ٨٣ والبداية والنهاية ٨ / ٢١٥.
ورد في الطبري وابن الأثير: " أنه لما ورد خبر مقتل الحسين أهل المدينة خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها وهي حاسرة تلوي بثوبها وهي تقول... ".
وفي مروج الذهب: خرجت بنت عقيل بن أبي طالب في نساء من قومها حواسر حائرات وهي تقول:
(٥) بالأصل: " يقولون "، وما أثبت عن المصادر.
(٦) في المصادر: بعد مفتقدي.
(٧) في مروج الذهب: نصف أسارى ونصف...

ما كان هذا جزائي إذ نصحتكم (١) * أن تخلفوني بسوء (٢) في ذوي رحمي
ثم قال علي بن الحسين - رحمه [الله] -: ويلك يا يزيد! إنك لو تدري ما صنعت وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذا لهربت في الجبال و فرشت الرماد! ودعوت بالويل والثبور أن يكون رأس الحسين ابن فاطمة وعلي رضي الله عنه منصوبا على باب المدينة! وهو وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكم، فأبشر بالخزي
والندامة غدا إذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه.
قال: فالتفت حبر من أحبار اليهود وكان حاضرا فقال: من هذا الغلام يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا صاحب الرأس هو أبوه. قال: ومن هو صاحب الرأس يا أمير المؤمنين؟ قال: الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: فمن أمه؟ قال: فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فقال الحبر: يا سبحان الله! هذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه
السرعة! بئس ما خلفتموه في ذريته، والله لو خلف فينا موسى بن عمران سبطا من صلبه لكنا نعبده من دون الله! وأنتم إنما فارقكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابن نبيكم فقتلتموه، سوءة لكم من أمة! قال: فأمر يزيد بكر في حلقه، فقام الحبر وهو يقول: إن شئتم فاضربوني أو فاقتلوني أو قرروني، فإني أجد في التوراة أنه من قتل ذرية نبي لا يزال مغلوبا أبدا ما بقي، فإذا مات يصليه الله نار جهنم.
قال: ثم دعا يزيد بالخاطب وأمر بالمنبر فأحضر، ثم أمر الخاطب فقال:
اصعد المنبر فخبر الناس بمساوئ الحسين وعلي وما فعلا! قال: فصعد الخاطب المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم أكثر الوقيعة في علي والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد فذكرهما بكل جميل. قال: فصاح علي بن الحسين: ويلك أيها الخاطب! اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فانظر مقعدك من النار. ثم قال علي بن الحسين: يا يزيد أتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلام فيه رضا الله ورضا هؤلاء الجلساء وأجر وثواب؟ قال: فأبى يزيد ذلك، فقال الناس: يا أمير المؤمنين! ائذن له ليصعد المنبر لعلنا نسمع منه شيئا! فقال: إنه إن صعد المنبر لم ينزل إلا بفضيحتي أو بفضيحة آل سفيان، قيل له: يا أمير المؤمنين! وما قدر ما يحسن هذا؟ قال: إنه من نسل قوم قد رزقوا العلم رزقا حسنا. قال: فلم يزالوا به

---

(١) مروج الذهب: نصحت لكم.
(٢) مروج الذهب: بشر.

حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب خطبة أبكى منها العيون وأوجل منها القلوب، ثم قال: أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيها الناس! أنا ابن مكة ومنى وزمزم والصفا، أنا ابن خير من حج وطاف وسعى ولبى، أنا ابن خير من حمل البراق، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبريل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء! قال: فلم يزل يعيد ذلك حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب.

قال: وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذن فقال: اقطع عنا هذا الكلام!

قال: فلما سمع المؤذن قال: الله أكبر! قال الغلام: لا شيء أكبر من الله، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله! قال الغلام: يشهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمدا رسول الله! التفت علي بن الحسين من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت عترته؟ قال: فلما فرغ المؤذن من الأذان والإقامة تقدم يزيد يصلي بالناس صلاة الظهر. فلما فرغ من صلاته أمر بعلي بن الحسين وأخواته وعماته رضوان الله عليهم، ففرغ لهم دارا فنزلوها وأقاموا أياما يبكون وينوحون على الحسين رضي الله عنه.

قال: وخرج علي بن الحسين ذات يوم: فجعل يمشي في أسواق دمشق، فاستقبله المنهال بن عمرو الصابئ فقال له: كيف أمسيت يا بن رسول الله؟ قال: أمسينا كبني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، يا منهال! أمست العرب تفتخر على العجم لأن محمدا منهم، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمدا منها، وأمسينا أهل بيت محمد ونحن مغصوبون مظلومون مقهورون مقتلون مثبورون مطرودون، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أمسينا فيه يا منهال.

قال: ثم أمر لهم يزيد بزاد كثير ونفقة، وأمر بحملانهم (١) إلى المدينة. فلما

---

(١) في ابن الأثير ٢ / ٥٧٨ لما أراد أن يسيرهم إلى المدينة أمر يزيد النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم ويسير معهم رجلا أمينا من أهل الشام ومعه خيل يسير بهم إلى المدينة. وانظر الطبري ٥ / ٤٦٢.

فصلوا من دمشق سمعوا مناديا ينادي في الهواء وهو يقول (١):
أيها القاتلون ظلما (٢) حسينا * أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل من في (٣) السماء يدعو عليكم * من نبي ومرسل وقتيل (٤)
قد لعنتم على لسان ابن داو * د وموسى وحامل (٥) الإنجيل
ثم مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما.

---

(١) في الطبري ٥ / ٤٦٧ وابن الأثير ٢ / ٥٨٠ أنه سمع بعض أهل المدينة ليلة قتل الحسين مناديا ينادي، وذكرا الأبيات.
(٢) في الطبري وابن الأثير: جهلا.
(٣) في الطبري وابن الأثير: كل أهل.
(٤) في الطبري " وملاك وقبيل " وفي ابن الأثير: " وملك وقبيل ".
(٥) ابن الأثير: وصاحب الإنجيل.

ذمر ما كان بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما
قال: فلما قتل الحسين رضي الله عنه استوسق العراقان جميعا لعبيد الله بن زياد وكانت الكوفة والبصرة لابن زياد من قبله، قال: وأوصله يزيد بألف ألف درهم جائزة، فدعا عبيد الله بن زياد بعمرو بن حريث (١) المخزومي فاستخلفه على الكوفة، ثم صار إلى البصرة فاشترى دار عبد الله بن عثمان الثقفي ودار سليمان بن علي الهاشمي التي صارت لسليمان بن علي بعد ذلك، فهدم هما جميعا، ثم بناهما وأنفق عليهما مالا جزيلا وسماهما الحمراء والبيضاء (٢)، فكان يشتي في الحمراء ويصيف في البيضاء. قال: ثم علا أمره وارتفع قدره وانتشر ذكره، وبذل الأموال واصطنع الرجال، ومدحته الشعراء حتى قال فيه المليح بن الزبير الأسدي [هذه الأبيات:

إليك عبيد الله تهوي ركابنا * تسعف إخوان الفلاة وندأب
وقد ضمرت حتى كأن عيونها * بقايا نطاق أو زكي منصب
فقلت لها: لا تشتكي الأين إنه * أمامك قوم من أمية أغلب
وكان زياد حل في رأس شامخ * أشم له ركن قوي ومنصب
وأشبهه حزما وعزما ونائلا * وبعثا إذا الحرب العوان تلهب
إذا ذكروا فضل امرئ ونواله * ففضل عبيد الله أنسى وأطيب]

---

(١) عن الطبري، وبالأصل " الحارث ".
(٢) كذا، وفي معجم البلدان وردت " البيضاء " أنها دار بناها عبيد الله ولم يرد فيه ذكر " للحمراء ".

قال: وكان عبيد الله بن زياد أميرا (١) على العراقين جميعا: البصرة والكوفة، لا ينازعه فيهما منازع.

ذكر قدوم سلم (٢) بن زياد أخي عبيد الله بن زياد على يزيد بن معاوية وتوليته بلاد خراسان

قال: وقدم سلم (٢) بن زياد على يزيد بن معاوية من البصرة، قال: فقربه وأدناه، ثم قال: ما الذي أقدمك يا سلم (٢) وكيف خلفت أخاك؟ فقال: خلفته على ما يحب أمير المؤمنين، غير أني أحببت النظر إلى أمير المؤمنين وأن أكون تحت كنفه فليس يرون غيري. قال: فعلم يزيد أنه يحب أن يوليه بعض الأعمال، فقال له يزيد: لعمري ما أنت بدون غيرك يا سلم (٢)! ولقد وجبت محبتكم يا بني زياد على آل سفيان. ثم قال: يا غلام! أطعمنا، فقدمت المائدة فطعما جميعا، فلما أكلا دعا يزيد بالشراب فلما دارت الكأس التفت يزيد إلى ساقيه وجعل يقول:

اسقني (٣) شربة تروي عظامي (٤) ثم مل (٥) فاسق مثلها ابن زياد
موضع البين والأمانة عندي * وعلى ثعر مغنم وجهاد (٦)

قال: فنادمه يزيد يومه ذلك، فلما كان من الغد دعا به فعقد له عقدا وضم إليه جيشا من أهل الشام وولاه بلاد خراسان (٧). قال: فدعا سلم بن زياد رجلا من أهل الشام يقال له حارث بن معاوية المازني فجعله إلى مقدمته، ثم ودع سلم بن زياد يزيد بن معاوية وخرج من الشام طالبا البصرة ليحمل معه أهله وولده، ويعلم أهل البصرة أنه قد ولي بلاد خراسان لكي يخرج معه من أهل البصرة من أحب الجهاد (٨).

---

(١) بالأصل: " أمير ".
(٢) بالأصل " مسلم " وما أثبت عن الطبري ٥ / ٤٧١. وقد صححت أين وقعت في الخبر.
(٣) عن مروج الذهب ٣ / ٨٢ وبالأصل " سقيني ".
(٤) مروج الذهب: مشاشي.
(٥) عن مروج الذهب وبالأصل " ما ".
(٦) البيت في مروج الذهب:
صاحب السر والإماتة عندي * ولتسديد مغنمي وجهادي
(٧) في الطبري ٥ / ٤٧٢ ولاه خراسان وسجستان.
(٨) في الطبري ٥ / ٤٧٢: " قدم سلم بن زياد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد بنخبة ألفي رجل ينتخبهم - وقيل أربعة آلاف - فكان سلم ينتخب الوجوه والفرسان ".

قال: فجاء سلم حتى نزل على جسر البصرة وبينه وبين أخيه عبيد الله السيف، وذاك أن عبيد الله قد كان متزوجا بامرأة يقال لها أم محمد بنت عبيد الله بن عثمان الثقفي (١) ثم طلقها وتزوجها أخوه سلم بن زياد، فكان ذلك مما ولد العداوة بينهما. قال: وجعل عبيد الله بن زياد ينظر فكل من خرج من أهل البصرة إلى أخيه سلم يعمد إلى داره فيهدمها، حتى هدمت دور كثيرة بالبصرة، وكتب سلم بن زياد بذلك إلى يزيد بن معاوية، فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد وعزم عليه أن يبني كل دار هدمها بالجص والآجر والساج، ففعل ذلك صاغرا. قال: وكان حنظلة بن عرابة (٢) الشاعر أيضا مما هدمت داره لما لحق بسلم بن زياد فأنشأ في ذلك يقول:

[تخيرت القلوب فحظ رحلي * إلى سلم ولم يحظ اختياري
يقولون اعتذر من حب سلم * إذا لا يقبل الله اعتذاري
إذا مرت يجركم نعالي * فقوموا فانظروا في شأن داري
وقوموا ظالمين فهدموها * وألقوا في صحيفتكم صغاري]

قال: وسار سلم بن زياد إلى بلاد خراسان ومعه المهلب بن أبي صفرة وسادات البصرة، حتى إذا صار إلى مدينة مرو نزلها ثم جعل يغزو أطراف خراسان، فكلما فتح فتحا أو أصاب نفلا (٣) أخرج من ذلك الخمس فوجه به إلى يزيد وقسم باقي ذلك
في أصحابه، فلم يزل سلم بن زياد إلى أن مات يزيد. وسنرجع إلى خبره إن شاء الله تعالى.

ذكر كتاب يزيد بن معاوية إلى محمد ابن الحنفية ومصيره إليه وأخذ جائزته

قال: ثم كتب يزيد بن معاوية إلى محمد بن علي وهو يومئذ بالمدينة، فكتب إليه: أما بعد فإني أسأل الله لي ولك عملا صالحا يرضى به عنا، فإني لا أرى اليوم في بني هاشم رجلا هو أرجح منك فهما وعلما، ولا أحضر فهما وحكما، ولا أبعد من كل سفه ودنس، وليس من يتخلق بالخير تخلقا ويتبجل بالفضل تبجلا كمن جبله الله على الخير جبلا، وقد عرفنا ذلك منك قديما وحديثا وشاهدا وغائبا، غير أني قد

---

(١) في الطبري: أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي.
(٢) كذا، ولعله حنظلة بن عرادة كما في الطبري، ولم يرد أنه كان شاعرا.
(٣) بالأصل " فعلا " كذا. وما أثبت مناسب للسياق.

أحببت زيارتك والأخذ بالحظ من رؤيتك ورأيك، فإذا نظرت في كتابي هذا فأقبل إلينا آمنا مطمئنا أرشدك الله أمرك وغفر لك ذنبك (١) - والسلام عليك ورحمة الله و بركاته -.

قال: فلما ورد الكتاب على محمد بن علي أقبل على ابنه جعفر وعبد الله فاستشارهما في ذلك، فقال له ابنه عبد الله: يا أبت! اتق الله في نفسك ولا تصر (٢) إليه فإني خائف عليك أن يلحقك بأخيك الحسين ولا يبالي، فقال محمد: يا بني! ولكني لا أخاف ذلك منه. فقال له ابنه جعفر: يا أبت! إنه قد ألطفك في كتابه إليك ولا أظن أنه كتب إلى أحد من قريش: أرشدك الله أمرك وغفر لك ذنبك، أرجو أن يكف الله شره عنك، فقال محمد بن علي: يا بني! إني توكلت على الله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وكفى بالله وكيلا.

قال: ثم تجهز محمد بن علي وخرج من المدينة وسار حتى قدم على يزيد بن معاوية بالشام، فلما استأذن أذن له وقربه وأدناه وأجلسه معه على سريره، ثم أقبل عليه بوجهه فقال: يا أبا القاسم! أجرنا الله وإياك في أبي (٣) عبد الله الحسين بن علي، فو الله لئن كان نفعك فقد نفعني ولئن كان أوجعك فقد أوجعني، ولو كنت أنا المتولي لقتله لما قتلته ولدفعت عنه القتل ولو كان بذهاب ناظري، ولفديته بجميع ما ملكت يدي وإن كان قد ظلمني وقطع رحمي ونازعني حقي، ولكن عبيد الله بن زياد لم يعمل برأيي (٤) في ذلك فعجل عليه القتل فقتله، ولن يستدرك ما فات، وبعد فإنه ليس يجب علينا أن نرضى بالدية في حقنا ولكن يجب على أخيك رحمه الله أن ينازعنا حقنا وما قد خصنا الله به دون غيرنا وعزيز علي ما ناله والسلام، فهات الآن ما عندك يا أبا القاسم!

قال: فتكلم محمد بن علي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني قد سمعت كلامك فوصل الله رحمك ورحم حسينا وبارك له فيما صار إليه من ثواب ربه والخلد الدائم الطويل عند الملك الجليل، وقد علمنا أن من نقصك فقد نقصنا، ومن عزاك

---

(١) بالأصل: دينك.
(٢) بالأصل: ولا تصير.
(٣) بالأصل: " أبا ".
(٣) بالأصل: رأي.

فقد عزانا من فرح وترح، وأظن أنك لو شهدت ذلك بنفسك لكنت ترى أجمل الرأي والعمل ولجانبت أسوأ الرأي والفعل والخطل، والآن فإن حاجتي إليك أن لا تسمعني فيه ما أكره فإنه أخي وشقيقي وابن أبي، وإن زعمت أنه ظلمك وقد كان عدوا لك كما تقول، قال: فقال له يزيد: إنك لا تسمع فيه إلا خيرا، ولكن (١) هلم فبايعني، واذكر ما عليك من الدين حتى أقضيه عنك! فقال محمد بن علي رضي الله عنه: أما البيعة فقد بايعت، وأما ما ذكرت من أمر الدين فما علي دين والحمد لله، وإني من الله تبارك وتعالى بكل نعمة سابغة لا أقوم بشكرها، قال: فالتفت يزيد إلى ابنه خالد فقال: يا بني! إن ابن عمك هذا بعيد من اللوم والدنس والكذب، ولو كان غيره كبعض من عرفت لقال: علي من الدين كذا وكذا، ليستغنم أخذ أموالنا.

قال: ثم أقبل عليه يزيد فقال: بايعني يا أبا القاسم! فقال: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال: إني قد أمرت لك بثلاثمائة ألف درهم فابعث من يقبضها، إذا أردت الانصراف عنا أوصلناك إن شاء الله، قال: فقال له محمد بن علي رحمه الله: أيها الأمير لا حاجة لي في هذا المال ولا فيما جئت به، فقال يزيد: فلا عليك أن تقبضه وتفرقه فيمن أحببت من أهل بيتك، قال: فإني قد قبلته.

قال: فأنزله يزيد في بعض منازله، وكان محمد بن علي يدخل إليه صباحا ومساء، وإذا وفد المدينة قد أقبلوا على يزيد (٢) وفيهم المنذر بن الزبير وعبد الله بن [أبي] (٣) عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي (٤) وعبد الله بن (٥) حنظلة بن أبي عامر الأنصاري، فأقاموا عند يزيد أياما فأجازهم يزيد لكل رجل بخمسين ألف درهم وأجاز المنذر بن الزبير بمائة ألف درهم (٦).

فلما أراد الانصراف إلى المدينة أقبل محمد بن علي رضي الله عنه حتى دخل على يزيد فاستأذنه في الانصراف معهم إلى المدينة فأذن له في ذلك ووصله بمائتي

---

(١) بالأصل: " ولكني ".

(٢) وكان ذلك سنة ٦٢، انظر سبب قدوم هذا الوفد في الطبري ٥ / ٤٧٩ ابن الأثير ٢ / ٥٨٧ البداية والنهاية ٨ / ٢٣٥.

(٣) زياد عن المصادر.

(٤) في البداية والنهاية: الحضرمي.

(٥) بالأصل: عبد الله بن قيس بن حنظلة... وما أثبت عن الطبري.

(٦) زيد في الطبري ٥ / ٤٨٠ أكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم ثم انصرفوا من عنده، وقدموا المدينة كلهم إلا المنذر بن الزبير فإنه قدم على عبيد الله بن زياد بالبصرة.

ألف درهم أخرى وأعطاه عروضا (١) بمائتي ألف درهم، ثم قال: يا أبا القاسم! إني لا أعلم على وجه الأرض في مثل اليوم رجلا هو أعلم منك بالحلال والحرام، وقد كنت أحببت أن لا تفارقني وأن تعظني وتأمرني بما فيه حظي ورشدي، فو الله لا أحب أن تنصرف عني وأنت ذام (٢) لشيء من أخلاقي، قال: فقال له محمد بن علي: أما ما كان منك إلى الحسين فذاك شيء لا تستدرك، وأما الآن فإني ما رأيت منك منذ قدمت عليك إلا خيرا، ولو رأيت منك خصلة أكرهها لما وسعني السكوت دون ما أنهاك عنها وأخبرك بحق الله فيها الذي أخذ الله تبارك وتعالى على العلماء في علمهم أن يبينوه للناس ولا يكتمونه ولست مؤديا عنك من إلى ورائي من الناس إلا خيرا غير أني أنهاك عن شرب هذا الخمر المسكر فإنه رجس من عمل الشيطان، وليس من ولي أمور الأمة ودعي له بالخلافة على رؤوس الأشهاد على المنبر كغيره من الناس، فاتق الله في نفسك وتدارك ما فات من أمرك - والسلام -.

قال: فسر يزيد بما سمع من محمد بن علي سرورا شديدا ثم قال: إني قابل منك ما أمرتني به، وإني أحب أن تكاتبني في كل حاجة تعرض لك من صلة أو تعاهد ولا تقصرن في ذلك، فقال محمد بن علي: أفعل ذلك إن شاء الله ولا أكون إلا عند ما تحب.

قال: ثم ودعه محمد بن علي ورجع إلى المدينة ففرق ذلك المال كله في أهل بيته وسائر بني هاشم وقريش، [وما] من سائر النساء والرجال والذرية والموالي إلا صار إليه شيء من ذلك المال. ثم خرج محمد بن علي من المدينة إلى مكة، فأقام بها مجاورا لا يعرف شيئا غير الصوم والصلاة.

ابتداء ذكر عبد الله بن الزبير وفتنته ودعوته الناس إلى بيعته

قال: وتحرك عبد الله بن الزبير ودعا إلى نفسه وجعل يبايع سرا، ويزيد لا يعلم بشيء من ذلك، قال: وأقبل نفر من أصحاب عبد الله بن الزبير منهم عبد الله بن مطيع العدوي والعباس بن سهل الأنصاري وجماعة من أولاد المهاجرين والأنصار حتى دخلوا على محمد بن علي رحمه الله فسلموا عليه. فرد عليهم السلام وأمرهم

---

(١) في الأصل: عروض.
(٢) بالأصل: " دام ".

بالجلوس. فقال: ما حاجتكم؟ فقالوا: يا أبا القاسم! إنا قد عزمنا على قتال هذا اللعين يزيد بن معاوية، وهذا عبد الله بن الزبير قد بايعناه ونريد منك أن تكون يدك مع أيدينا، فقال محمد بن علي: إذا لا نفعل، قالوا: ولم ذلك؟ قال: لأني قد بايعته وأخذت جائزته ولم أخلعه فأقاتله، فقالوا: ولم بايعته وأنت أنت؟ قال: خوفا منه على نفسي وولدي، وإبقاء على من بقي من أهل بيتي، لأني رأيت أخي الحسين رضي الله عنه قتل فلم آمن يزيد على نفسي، وقد رأيت أخي الحسن بايع معاوية من قبل وأخذ جائزته، والحسن كان أفضل مني، فإن بايعت يزيد كان لي أسوة بأخي، فقالوا: إن أخاك الحسن رأى رأيا، فقال: وأنا رأيت ذلك الرأي الذي رآه أخي، فقالوا: يا هذا إن يزيد رجل يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والقرود وقد فسق وكفر (١)، قال: فقال لهم محمد بن علي: إني قد كنت عنده بالشام مقيما إلى وقت الانصراف عنه فلم أطلع منه على كفر ولا فجور، وأكثر ما ينتهي إلي من خبره أنه كان يشرب الخمر وقد نهيته عن ذلك وقضيت ما علي ولم يؤاخذني ربي بذنبه، فقالوا له (٢): يا هذا! إنه ليأتي من المنكر والفواحش أشياء ولكنه ما يطلعك على ذلك، فقال لهم محمد بن علي رضي الله عنه: فلقد اطلعتم على ذلك منه (٣) فو الله لئن كان أطلعكم على ما ذكرتم فأنتم شركاؤه في فعله إذا رأيتم شيئا من المنكر فلم تغيروه، وإن كان لم يطلعكم على شيء من ذلك فقد شهدتم (٤) بغير الحق، فاتقوا الله يا هؤلاء في أنفسكم وكفوا عما عزمتم عليه، فإني خائف عليكم أن تسفكوا دمكم في غير حق. قال: فأطرق القوم ساعة (٥) ثم قالوا: يا أبا القاسم! لعلك إنما تكره البيعة لابن الزبير لأنك ترى أنك أحق بالبيعة منه، إن كنت إنما تكره ذلك لهذا الشأن فأخرج بنا حتى نبايعك! قال محمد بن علي: لا أستحل القتال تابعا ولا متبوعا. فقالوا: يا محمد! أنت قاتلت مع أبيك يوم الجمل ويوم سفين ويوم النهروان! قال: فتبسم محمد بن علي ثم قال: ويحكم! وأين تجدون مثل أبي في دهركم

---

(١) في البداية والنهاية ٨ / ٢٥٥ إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب.
(٢) في البداية والنهاية: قالوا: إن ذلك كان منه تصنعا لك. فقال: والذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إلي الخشوع.
(٣) في البداية والنهاية: أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟
(٤) في البداية والنهاية: شهدتم بما لم تعلموا.
(٥) زيد في البداية والنهاية: قالوا: إنه عندنا لحق وإن لم يكن رأيناه. فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة، فقال: (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون).

هذا، والله لا أقاتل أهل القبلة ولا أتبع موليا ولا أجهز على جريح ولا أدخل دارا إلا بإذن أهله. قال (١): فقالوا: والله لا نفارقك حتى تخرج معنا أو تبايع من بايعناه، فقال: والله لا خلعت من بايعت ولا تابعت من لم يجعل الله له في عنقي بيعة، فاتقوا الله ربكم واذكروا ما نزل بأخي الحسين بن علي رضي الله عنهما وولده وإخوته وبني عمه وشيعته رضوان الله عليهم فإني لكم منه نذير مبين، يا قوم! لا ترضوا أحدا بسخط الله عليكم، فقد أنذرت إليكم - والسلام -. قال: فانصرف القوم إلى عبد الله بن الزبير فخبروه بذلك، قال: فسكت عنه ابن الزبير ولم يقل شيئا.
وسنرجع إلى هذا الخبر إن شاء الله تعالى.

ذكر حبس المختار بن أبي عبيد بالكوفة وما كان
من عبيد الله بن زياد لعنه الله
قال: وتحدث أهل الكوفة بشيء من أمر عبد الله بن الزبير وشاع ذلك بالكوفة، وقدمها عبيد الله بن زياد من البصرة فدعا بخليفته عمرو بن حريث (٢) المخزومي فقال: ويحك يا عمرو! بلغني عن ابن الزبير أمر من الأمور فلا أدري ذلك حق أم باطل، ولست أخاف على أمير المؤمنين من ابن الزبير، وإنما أخاف عليه [من] هذه الترابية شيعة أبي تراب علي بن أبي طالب، ولكن هل تعلم اليوم بالكوفة أحدا لا يتولى عليا وولده؟ [فقال عمرو] (٣): ما أعلم ذلك أيها الأمير إلا علما يقينا إلا من كان لعلي عدوا. قال: فوثب عمارة (٤) بن عقبة بن أبي معيط فقال: أصلح الله الأمير! ههنا المختار بن أبي عبيد وهو الذي كان يؤلب عليك بالأمس الناس حتى خرج عليك مسلم بن عقيل، وقد كان فيما مضى عثمانيا واليوم فقد صار ترابيا.
قال: وإنما تكلم عمارة بن عقبة (٤) بهذا الكلام لشيء كان بينه وبين المختار قبل ذلك، وذلك أنهما قعدا ذات يوم بالمدينة بمسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فتذاكرا قريشا
وفضلها وشرفها وما قد خصها الله بها من الكرامة، فقال المختار: إن الله قد أعطى

---

(١) زيد في البداية والنهاية: قالوا: فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا. قال: لو أمرتهما لقاتلت.
(٢) بالأصل: " حرث " وقد مر.
(٣) زيادة اقتضاها السياق.
(٤) بالأصل " عمارة بن الوليد بن عقبة... " وما أثبت عن الطبري ٥ / ٥٧١.

قريشا فضلا غير مستنكر، وإنما أعطاها ذلك بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأما في الجاهلية فنحن
أولى بالفضل من قريش، ووالله لقد جاء الله تبارك وتعالى بالإسلام وهل دار من دورنا إلا وفيها امرأة من قريش وما في دور قريش من نساءنا إلا ثلاث أو أربع. قال:
فغضب عمارة بن عقبة، ثم وثب فصار إلى عم المختار سعد بن مسعود (١) الثقفي وعنده جماعة من جلسائه، فجلس إليه عمارة بن عقبة (٢) وشكى إليه المختار وذكر ما
كان من كلامه، فقال سعد بن مسعود: أما إني سأعرفه صاحب سفه وطيش أحيانا ولوددت أني أكلبه، وأيم الله لأسأته إن شاء الله تعالى. قال: وأقبل المختار إلى عمه [قال: فلما رآه عمارة بن عقبة نهض، فقال: فقد شكاني إليك؟ فقال عمه]: أجل لقد شكاك إلي وخبرني بما كان من إستطالتك عليه وإنك لظالم متعد (٣)، وبلى خبرني عنك أعلى قريش يستطيل ويفتخر، وإياها ينتقص ومنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال المختار: يا عم! والله لقد كان المستطيل علي في الكلام،
ويجب عليك أن تسمع مني كما سمعت منه! فقال له عمه: لست بسامع منك ولا قابل عنك عذرا حتى تنطلق إليه فتعتذر مما كان، قاتلك الله أنت الظالم! قال فقال المختار: والله يا عم! لقد كان هو الظالم وأنا مطيعك في لقائه والاعتذار إليه.
قال: فوثب المختار فنهض إلى عمارة بن عقبة (٤) فاعتذر إليه وذكر حقه وقرابته، قال: فقبل عمارة عذره في وقته ذلك وقلبه فيه ما فيه.
[ثم] رجعنا إلى الخبر الأول
قال: فلما كان ذلك اليوم وتكلم عبيد الله بن زياد – لعنه الله – بما تكلم أحب عمارة أن يغريه بالمختار فقال ما قال: فغضب عبيد الله بن زياد ثم قال: علي به! فأتي بالمختار، فلما دخل وقف بين يدي عبيد الله بن زياد فقال له يا بن (٥) أبي عبيد! أنت المقبل في الجيوش بالأمس لنصرة مسلم بن عقيل (٦) وأنت ممن يتولى

---

(١) بالأصل " سعيد " وما أثبت عن جمهرة ابن حزم.
(٢) بالأصل " الوليد ".
(٣) بالأصل: متعدي.
(٤) بالأصل: الوليد.
(٥) بالأصل: " يا بن بنت أبي عبيد ".
(٦) في الطبري ٥ / ٥٦٩ أن المختار بن أبي عبيد بايع مسلم بن عقيل فيمن بايعه من أهل الكوفة... حتى خرج ابن عقيل والمختار في قرية له تدعى لقفا... فأقبل المختار في موال له حتى انتهى إلى باب الفيل بعد الغروب.

عليا وولده؟ فقال: إني أحبهم بمحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم، وأما نصرتي لمسلم بن
عقيل فلم أفعل، وهذا عمرو بن حريث المخزومي يعلم ذلك، وهو شيخ أهل الكوفة يعلم أني كنت في ذلك الوقت لازما لمنزلي. قال: واستحيى عمرو بن حريث أن يشهد على رجل مسلم في ذلك الوقت بين يدي عبيد الله بن زياد فيقتل، غير أنه قال: صدق أيها الأمير لم يقاتل مع مسلم بن عقيل، ولقد كذب عليه في هذا (١)، فإن رأى الأمير أن لا يعجل عليه فإنه من أبناء المهاجرين. قال: فرفع عبيد الله بن زياد – لعنه الله – قضيبا كان بين يديه فاعترض به وجه المختار فشتر (٢) به
عينه فصار المختار أشتر في ذلك الوقت، ثم قال: يا عدو الله! لو لا شهادة عمرو بن حريث لضربت عنقك. ثم قال: انطلقوا به إلى السجن! قال: فمضوا به إلى السجن.
قال: وبلغ ذلك (٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو ختن المختار على أخته صفية بنت أبي عبيد فاغتم لذلك، قال: وجزعت أيضا أخت المختار لحبس أخيها بالكوفة وأيقنت عليه من عبيد الله بن زياد أن يقتله. قال: [فسألت أخت المختار زوجها عبد الله بن عمر أن يشفع في أخيها، فكتب عبد الله إلى يزيد كتابا يشفع في صهره (٤). فقال يزيد لما قرأ الكتاب: ويشفع أبو عبد الرحمن في صهره فإنه أهل ذلك، فأمر كاتبه فكتب إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد فخل سبيل المختار ساعة (٥) تنظر في كتابي هذا – والسلام –
قال: فلما قرأ عبيد الله بن زياد كتاب يزيد بعث إلى المختار وأخرجه من

---

(١) يذكر سببا آخر لحبس المختار غير الذي نقله المؤلف قال: ٥ / ٥٦٩ فلما كان المختار وقف على باب الفيل مر به هانئ بن أبي حية الوادعي فقال للمختار: " ما وقوفك هاهنا إلا أنت مع الناس ولا أنت في رحلك. قال: أصبح رأيي مرتجا لعظم خطيئتكم، فقال له: أظنك والله قاتلا نفسك ". وأخبر عمرو بن حريث بذلك... ثم أخرج المختار إلى عمرو بن حريث وسلم عليه وجلس تحت رايته حتى أصبح. فمشى عمارة بن عقبة بذلك إلى عبيد الله بن زياد.
(٢) الشتر: انقلاب جفن العين من أعلى إلى أسفل وتشنجه.
(٣) سأل المختار زائدة بن قدامة أن يسير إلى عبد الله بن عمر بالمدينة يسأله أن يكتب له إلى يزيد بن معاوية
ليخلي سبيله عبيد الله (عن الطبري).
(٤) نسخته عن الطبري ٥ / ٥٧١:
أما بعد، فإن عبيد الله بن زياد حبس المختار وهو صهري وأنا أحب أن يعافى ويصلح من حاله، فإن رأيت رحمنا الله وإياك أن تكتب إلى ابن زياد فتأمره بتخليته فعلت. والسلام عليك.
(٥) الطبري ٥ / ٥٧١: حين تنظر.

السجن، فقال [له]: إني قد أمهلتك ثلاثا فإن (١) أصبتك بالكوفة بعد ثلاثة أيام ضربت عنقك - والسلام -.

ذكر هرب المختار من ابن زياد وما كان
من بيعته لعبد الله بن الزبير

قال: فخرج المختار من الكوفة قاصدا نحو الحجاز، حتى إذا صار بواقصة (٢) إذا هو برجل من أهل الكوفة يقال له الصقعب بن زهير، فسلم عليه ثم قال: أبا إسحاق! ما لي أرى عينك على هذه الحالة! صرف الله عنك السوء! فقال (٣): غرضها هذا المدعي عبيد الله بن زياد عبد بني علاج ابن سمية ومرجانة (٤). فقال: ما له! شلت يمينه سريعا عاجلا! فقال: نعم يا صقعب! وقتلني الله إن (٥) لم أقتله وأقطع أعضاءه عضوا عضوا، ولكن خبرني عن عبد الله بن الزبير أين تركته؟ فقال: تركته وهو يظهر العداوة ليزيد بن معاوية، وهو أظن يبايع سرا، فقال: بشرك الله بالخير يا صقعب! فو الله إنه لرجل قومه (٦) وهو من أبناء المهاجرين الأولين، وما هو بدون غيره يا صقعب! والله إني أرى الفتنة قد أرعدت وأبرقت وكأنك يا صقعب بي وقد خرجت وسمعت وقيل لك إن المختار بن أبي عبيد في عصابة من المؤمنين (٧) يطلب بدم الوصيين أولاد بنت نبي رب العالمين، فو ربك يا صقعب لأقتلن عدد الذين قتلوا على دم يحيى بن زكرياء عليه السلام. فقال له الصقعب: ويحك يا أبا إسحاق! هذه والله أعجوبة وأحدوثة أن يكون هذا منك، فقال المختار: نعم والله يا صقعب! هو والله ما قلت لك فاحفظ عني حتى ترى مصاديقه (٨). فإنه كائن لا محالة. قال: وجعل المختار يقول: والذي أنزل القرآن وشرع الأديان، وكتب الإيمان وكره العصيان، لأقتلن العتاة من آل درغمان ومذحج وهمدان، ونهد

---

(١) الطبري: فإن أدركتك بالكوفة بعدها قد برئت منك الذمة. فخرج إلى رحله.
(٢) واقصة: منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة.
(٣) الطبري ٥ / ٥٧٢ خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت إلى ما ترى.
(٤) بالأصل " مرجان ".
(٥) الطبري: إن لم أقطع أنامله وأباجله وأعضاءه إربا إربا.
(٦) الطبري: إنه لرجل العرب اليوم.
(٧) الطبري: في عصائبه من المسلمين.
(٨) الطبري: مصداقه.

وخولان، وبكر وهران، وبعل ونبهان وعيص وذبيان، وقبائل قيس غيلان، تعصبا لابن بنت نبي الرحمن، نعم يا صقعب وحق السميع العليم، العلي العظيم، العدل الكريم، الرحمن الرحيم، لأعركن عرك الأديم بني محمد وسليم، والأشراف من بني تميم.

قال: ثم ضرب (١) المختار راحلته ومضى حتى صار إلى مكة فدخل على عبد الله بن الزبير فسلم عليه وحياه، فرحب به ابن الزبير وقربه، وقال: من أين أقبلت يا أبا إسحاق؟ قال: من الكوفة، قال: فما تخبرني عنهم؟ قال: أخبرك عنهم أنهم في السر أعداء وفي العلانية أتقياء (٢)، قال فقال له عبد الله بن الزبير: هذه والله صفة أهل السوء العبيد (٣) إذا حضر مواليهم خدموهم وإذا غابوا عنهم عابوهم (٤)، فقال المختار: ذرني من هذا وابسط يدك أبايعك وأعطنا (٥) ما يرضينا وثب بنا على الحجاز حتى نأخذها، فإن أهل الحجاز كلهم معك وأنت أقرب إلى جماعة الناس، وأدهى (٦) عند ذوي النهى من يزيد بن معاوية. قال: فسكت ابن الزبير ولم يقل شيئا. فقام المختار من عنده مغضبا فركب من ساعته ومضى إلى الطائف فأقام بها حولا كاملا عند بني عمه من بني ثقيف.

قال: وافتقده عبد الله بن الزبير فقال لبعض من يلوذ به من أصحابه (٧): لك علم بالمختار بن أبي عبيد؟ فقال: مالي به علم منذ رأيته عندك ههنا، ولكني سمعت نفرا من أهل الطائف يذكرون أنه مقيم عندهم هناك، وأنه ابن عماته صاحب العقرب، وأنه سيد الجبارين وقاتل الملحدين (٨): قال: فضحك ابن الزبير ثم قال: قاتله الله من متكهن كذاب! والله لئن أهلك الله الجبارين فإن المختار أولهم (٩)

---

(١) الطبري: حرك.
(٢) الطبري: أولياء.
(٣) الطبري: صفة عبيد السوء.
(٤) الطبري: شتموهم ولعنوهم.
(٥) عن الطبري: وبالأصل " وأعطينا ".
(٦) بالأصل: وأرمى.
(٧) هو عباس بن سهل بن سعد كما في الطبري ٥ / ٥٧٣.
(٨) في الطبري: وهو يزعم أنه صاحب الغضب، ومبير الجبارين.
(٩) الأصل وابن الأثير: وفي الطبري: أحدهم.

قال: فما كان بأسرع من أن قدم المختار من الطائف بعد ذلك بثلاثة أيام، فأقبل نحو البيت الحرام، وعبد الله بن الزبير ينظر إليه وعنده نفر من أصحابه حتى دنا المختار من البيت واستلم الحجر الأسود ثم طاف فصلى ركعتين وجلس، فجاءه قوم من أهل مكة فسلموا عليه وجلسوا عنده. فقال عبد الله بن الزبير لأصحابه: إني لا أراه يصير إلينا! فقال العباس بن سهل الأنصاري: إن شئت أتيتك به أو بخبره! فقال ابن الزبير: نعم فافعل.

فأقبل العباس بن سهل إلى المختار وسأله عن أحواله وأحوال بني عمه بالطائف، ثم قال: يا أبا إسحاق ليس مثلك من يغيب عما اجتمع عليه أهل الشرف وبيوتات العرب! فقال المختار: وما ذلك؟ فقال العباس: إنه لم يبق حي من أحياء العرب إلا وقد جاء عميدهم وبايع هذا الرجل عبد الله بن الزبير، فعجبا لك ولرأيك ألا ما أتيته فأخذت بحظك من هذا الأمر! فقال المختار: والله يا أخا الأنصار! إني أتيته في العام الماضي وأشرت عليه بالرأي ودعوته إلى حظه فطوى أمره دوني (١)، ورأيته مستغنيا عني فأحببت أيضا أن رآني عنه مستغنيا، فو الله إنه لأحوج إلي مني إليه. فقال له العباس بن سهل: صدقت يا أبا إسحاق! قد كان ذلك، غير أنك كلمته وهو ظاهر في المسجد وهذا كلام لا يجب إلا والستور دونك مسدولة والأبواب

دونك مغلقة، ولكن القه الليلة وأنا معك حتى تسمع كلامه ويسمع كلامك! فقال المختار: إني فاعل ذلك إن شاء الله إذا صلينا العشاء الآخرة. قال: فنهض الأنصاري من عنده إلى عبد الله بن الزبير فخبره بما كان منه.

فلما كان الليل وصليا العشاء الآخرة أقبل المختار ومعه العباس بن سهل الأنصاري حتى صار إلى ابن الزبير، قال: فمديده إلى المختار فصافحه ورحب به ثم سأله عن أقربائه وأهله بالطائف، فتحدثا ساعة، ثم أقبل عليه ابن الزبير وقال: إنك كلمتني بهذا الكلام والناس حضور والحيطان لها (٢) آذان وليس من أحد إلا وله عدو وصديق، وهذا وقت خلوة فهات الآن ما عندك! فقال المختار: إنه لا خير في الإكثار عن المنطق، ولا حظ في التقصير عن الحاجة، وأنت اليوم رجل قومك وقد جئتك أبايعك على أنه لا تقضي الأمور دوني وعلى أن أكون أول من تأذن له (٣) وآخر

---

(١) الأصل والطبري، وفي ابن الأثير: فكتم عني خبره.
(٢) بالأصل: والحيطان ليس لها آذان.
(٣) عن الطبري وبالأصل: يأذنك عليك.

من يخرج عنك، فإذا أظهرك الله على يزيد بن معاوية فاستخلفني على أجل أعمالك (١) فأنتفع وأرد على أهل بيتي شيئا. فقال له ابن الزبير: أنا أبايعك على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال المختار: لا والله لا أبايعك إلا على هذه
الخصال! قال: فسكت ابن الزبير، فقال له العباس: اشتر منه دينه حتى ترى من رأيك! قال ابن الزبير: أبا إسحاق! فإني أبايعك على ما ذكرت، قال: ثم بسط يده فبايعه المختار وأتى إلى منزله.
قال: فجعل الناس يبايعون عبد الله بن الزبير، حتى بايعه خلق كثير من أهل الحجاز وغيرهم من أهل الأمصار، ويزيد بن معاوية لا يعلم بشيء من ذلك. حتى إذا علم ابن الزبير أنه قد قوي ظهره بهؤلاء الخلق قد بايعوه أظهر عيب يزيد سرا وجهرا وجعل يلعنه ويقول فيه وفي بني أمية كل ما قدر عليه من الكلام القبيح، ثم إنه كان يصعد المنبر فيقول: أيها الناس! إنكم قد علمتم ما سارت به فيكم بنو أمية من نبذ الكتاب والسنة، وما سار به معاوية بن أبي سفيان إنه تأمر على هذه الأمة بغير رضا، وادعى زياد بن أبيه ردا منه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: " الولد
للفراش وللعاهر الحجر "، فادعى معاوية زيادا وزعم أنه أخوه، وقتل حجر بن عدي الكندي ومن معه من المسلمين، ثم إنه أخذ البيعة لابنه يزيد في حياته، ونقض ما كان في عنقه من بيعة الحسين بن علي رضي الله عنهما، ثم هذا يزيد بن معاوية قد علمتم ما فعل بالحسين وإخوته وأولاده وبني عمه، قتلهم كلهم وأسر من بقي منهم وحلمهم إلى الشام على محامل ليس لهم وطأ ولا راعى فيهم حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،
وهو مشغول بلعب الفهود والقرود، وشرب الخمر والمعاصي والفجور، فاتقوا الله عباد الله! فقد علمتم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما ولي أمر هذه الأمة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب وقال في خطبته: أيها الناس! أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم. مع كلام كثير كان له ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولست أذكر أحدا من الخلفاء الراشدين إلا أخبر عن أني أنهاكم عن طاعة من عصى الله وتعدى مرة. قال: فكان الناس يجتمعون إليه ويقولون بقوله حتى فشا ذلك في الناس. قال: وبلغ ذلك يزيد فلم تحمله الأرض غيظا.

---

(١) الطبري: وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك.

ابتداء حرب وأقم (١) وما قتل فيها من أولاد
المهاجرين والأنصار والعبيد والموالي
قال: ولما بلغ يزيد بن معاوية ما فيه عبد الله بن الزبير من بيعة الناس له واجتماعهم إليه، دعا بعشرة نفر من وجوه أصحابه (٢)، منهم النعمان بن بشير الأنصاري، وشريك بن عبد الله الكناني، وزمل بن عمرو العذري (٣)، ومالك بن هبيرة السكوني، وعبد الله بن عضأة الأشعري، وروح بن زنباع الجذامي، وأبو كبشة السكسكي، وسعيد بن عمرو الهمداني، وعبد الله بن مسعدة الفزاري، وعبد الرحمن بن مسعود الفزاري (٤)، فدعا بهؤلاء العشرة ثم قال لهم: إن عبد الله بن الزبير قد تحرك بالحجاز وأخرج يده من طاعتي ودعا الناس إلى سبي وسب أبي، وقد اجتمعت إليه قوم يعينونه على ذلك، ويزينون له أمره. وأنا أكره البغي عليه قبل الاعتذار إليه، ولكن صيروا إليه! فإذا دخلتم عليه فعظموا حقه وحق أبيه الزبير، وخبروه بالذي بلغني عنه وسلوه بعد ذلك أن يلزم الطاعة ولا يفارق الجماعة وأن يرجع إلى الأمر الذي خرج منه، وعليكم بالرفق والتأني (٥)، فإن أجاب إلى ذلك فخذوا بيعته وانصرفوا عنه، وإن أبى إلا العداوة وشق العصا فخوفوه وحذروه ما نزل بالحسين بن علي. وليس الزبير عندي بأفضل من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولا ابنه عبد الله بأفضل من الحسين بن علي، وانظروا أن لا تلبثوا عنده فإني متعلق القلب بورود خبركم علي ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
قال: فخرج القوم من الشام وساروا إلى مكة ودخلوا على عبد الله بن الزبير،

---

(١) وأقم: أطم من أطام المدينة، وحرة وأقم إلى جانبه. وفي هذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة سنة ٦٣.
(٢) في الأخبار الطوال ص ٢٦٣: من أشراف أهل الشام. وفيه ص ٢٦٢ أن يزيد كان قدم إلى ابن الزبير رجلا من عشرة نفر من حرسه وقال له: انطلق فانظر ما عنده، فإن في الطاعة فخذه بالبيعة، وإن أبى فضع في عنقه جامعة وائتني به. وأتاه الحرسي، فقال له ابن الزبير: انصرف إلى صاحبك فأعلمه أني لا أجيبه إلى شيء مما يسألني. قال الحرسي: ألست في الطاعة. قال: بلى غير أني لا أمكنك من نفسي. فانصرف الحرسي إلى يزيد وأخبره بذلك.
(٣) بالأصل: " رمل بن عمرو المعذري " والتصويب عن الإصابة.
(٤) فيمن ذكر في الأخبار الطوال: مسلم بن عقبة.
(٥) في الأخبار الطوال: فقال لهم (يعني يزيد): انطلقوا فأعيدوه إلى الطاعة والجماعة وأعلموه أن أحب الأمور إلي ما فيه السلامة.

وعنده يومئذ المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن مطيع العدوي والعباس بن سهل الأنصاري ووجوه أولاد المهاجرين والأنصار، قال: فسلموا عليه، فرد عليهم السلام ورحب بهم وقربهم وأدناهم ثم سألهم عن حالهم وأمرهم، فأدوا إليه رسالة يزيد، فقال عبد الله بن الزبير: وما الذي يريد مني يزيد بن معاوية؟ إنما أنا رجل مجاور لهذا البيت عائذ به من شر يزيد بن معاوية وغير يزيد، فإن تركني فيه وإلا انتقلت عنه إلى بلد غيره، وكنت فيه إلى أن يأتيني الموت. قال: ثم أمر لهم بمنزل، فصاروا إليه يومهم ذلك وأمر لهم بما يصلحهم.

فلما كان من الغد خرج فصلى بأصحابه الفجر، ثم أقبل فجلس في الحجر، واجتمع إليه أصحابه، وأقبل إليه هؤلاء الوفد الذين قدموا عليه من عند يزيد وتكلموا كلاما يرجون به اتباعه ليزيد وطاعته له. قال: فأقبل إليه النعمان بن بشير فقال: بلغ (١) يزيد عنك أنك تصعد المنبر فتذكره وتذكر أباه معاوية بكل قبيح، وأنت تعلم أنه إمام وقد بايعه الناس، ولا نحب لك أن تخرج يدك من الطاعة وتفارق الجماعة، وبعد فإن الغيبة لا خير فيها. قال: فقطع عليه الكلام عبد الله بن الزبير، ثم قال: يا بن بشير! إن الفاسق لا غيبة له، وما قلت فيه إلا ما قد علمه الناس منه، ولو كان على ما كان عليه الأئمة الأخيار سمعنا وأطعنا ولذكرناه بكل جميل، وبعد فإني أنا في هذا البيت بمنزلة حمامة من حمام مكة، أفتحل لكم أن تؤذوا حمام مكة؟ قال: فغضب عبد الله بن عضأة الأشعري فقال: نعم والله يا بن الزبير (٢)! نؤذي حمام مكة ونقتل حمام مكة، وما حرمة حمام مكة يا بن الزبير! أ تصعد المنبر وتتكلم في أمير المؤمنين بكل قبيح ثم تشبه نفسك بحمام مكة؟ ثم قال: يا غلام! ائتني بقوسي وسهم! قال: فأتي بقوسه وسهامه. فأخذ سهما فوضعه في كبد قوس (٣) ثم سدده نحو حمام مكة وقال: يا حمامة! أيشرب أمير المؤمنين ويفجر؟ قولي نعم! أما والله لو قلت: نعم، لما أخطأك سهمي هذا، يا حمامة! أيلعب أمير المؤمنين بالقرود والفهود ويفسق في الدين؟ قولي: نعم! أما والله لئن قلت: نعم، لا أخطأك سهمي هذا، يا حمامة! فتقتلين أم تخلعين الطاعة وتفارقين الجماعة وتقيمين في

---

(١) في الأصل: بلغه.

(٢) في الأخبار الطوال ص ٢٦٣ وكان ابن الزبير قال لابن عضأة: أتستحل قتالي في هذا الحرم؟ قال: نعم إن أنت لم تجب إلى طاعة أمير المؤمنين.

(٣) في الأخبار الطوال: وفوق فيها سهما، فبوأه نحو الحمامة.

الحرام عاصية؟ قولي نعم (١)! قال: ثم أقبل عبد الله بن عضأة على ابن الزبير فقال له: ما لي لا أرى الحمامة تنطق بشيء وأنت الناطق بجميع ما كلمتها فيه على المنبر، أما والله يا بن الزبير! إني خائف عليك وأقسم بالله قسما صادقا لتبايعن يزيد طائعا أو كارها أو لتعرفني في هذه البطحاء وفي يدي راية الأشعريين. قال: فقال له المختار بن أبي عبيد: أما والله يا بن عضأة! لئن أنت رمت ذلك وأردت بصاحب هذا البيت سوءا ليدمرن الله عليك وعلى صاحبك يزيد كما دمر على أصحاب الفيل إذ راموه فجعل كيدهم في تضليل (٢)، فإن شئت فرم ذلك! فقال له عبد الله بن عضأة: يا بن أبي عبيد! أما! إن عبيد الله بن زياد قد كان حازم الرأي في حبسك بالكوفة، ولو ضرب عنقك لأصاب الرأي، ولكن لا جزى الله صهرك عبد الله بن عمر خيرا (٣). قال ابن أبي عبيد: والله ما كان أبوه أمير المؤمنين، وقد قتل وسفك دماء المؤمنين، وقد قتل ابن بنت نبي رب العالمين. قال: وارتفعت الأصواب بين عبد الله بن عضأة وبين المختار، فأقسم عبد الله بن الزبير على المختار أن يسكت، فسكت، ثم أقبل على عبد الله بن عضأة فقال: يا هذا! أتستحل في البيت الحرام وقد أخبر الله تعالى في كتابه (ومن دخله كان آمنا) (٤)؟ فقال ابن العضأة: إنما يستحل الحرام من حل فيه وخلع الطاعة وفارق الجماعة. قال: وكثر الكلام بين القوم (٥) ولم يجبهم ابن الزبير إلى ما يريدون، فانصرفوا عنه، حتى إذا صاروا إلى يزيد فخبروه بذلك، فأمهله يزيد وجعل يتأنى في أمره ويقول لأصحابه: ويحكم! إني قتلت بالأمس الحسين بن علي وأقتل اليوم عبد الله بن الزبير! أخاف أن تشعث

---

(١) في الأخبار الطوال: ثم قال: يا حمامة، أ تعصين أمير المؤمنين؟ والتفت إلى ابن الزبير، وقال: أما أنها لو قالت نعم، لقتلتها.

(٢) الأصل: تظليل.

(٣) وكان عبد الله بن عمر، كتب إلى يزيد يطلب إليه التدخل لدى عبيد الله بن زياد لتخلية سبيله، وقد مر ذلك قريبا.

(٤) سورة آل عمران ٩٧.

(٥) زيد في الأخبار الطوال ص ٢٦٣ - ٢٦٤ أن ابن الزبير خلا بنعمان بن بشير فقال: أنشدك الله، أنا أفضل عندك أم يزيد؟ فقال: بل أنت. فقال: فو الذي خير أم والده؟ قال: بل والدك. قال: فأمي خير أم أمه؟ قال: بل أمك. قال: فخالتي خير أم خالته؟ قال: بل خالك. قال: فعمتي خير أم عمته؟ قال: بل عمتك، أبوك الزبير وأمك أسماء بنت أبي بكر وخالتك عائشة وخالتك خديجة بنت خويلد.

قال: أ فتشير علي بمبايعة يزيد. قال النعمان: أما إذا إستشرتني فلا أرى لك ذلك.

علي العامة ولا يحتمل ذلك لي ويتنغص علي أمري. قال: وجعل عبد الله بن الزبير يجمع الجموع وجعل يقوي أمره يوما بعد يوم، ومحمد ابن الحنفية رضي الله عنه معتزل عنه في منزله ولا يدخل في طاعته.

ذكر الوقعة الأولى بين مكة والمدينة بين عمرو بن الزبير وأخيه عبد الله ومقتل عمرو بن الزبير

قال: وكان يومئذ أمير المدينة عمرو بن سعيد بن العاص (١) من قبل يزيد بن معاوية، كتب إليه يزيد من الشام يخبره بخبر عبد الله بن الزبير وأخيه، فعزم عمرو بن سعيد على ذلك (٢)، وكانت بنو أمية يكرمون عمرو بن الزبير لأن أمه بنت خالد بن سعيد بن العاص، فكانوا يكرمون عمرو بن الزبير لأنه ابن أختهم. قال: وكان عمرو بن الزبير من أشد الناس عداوة لأخيه عبد الله بن الزبير، فدعاه عمرو بن سعيد بن العاص فعقد له عقدا وضم إليه جيشا كثيفا (٣) ووجه به إلى محاربة أخيه عبد الله بن الزبير.

قال: فخرج عمرو بن الزبير [يومئذ في جيشه من المدينة، يريد مكة، وبلغ ذلك عبد الله بن الزبير] فنادى في الناس وخرج من مكة في جيش، حتى التقى القوم بين مكة والمدينة (٤)، واختلطوا واقتتلوا ساعة من النهار، فقتل من الفريقين جماعة. ثم حمل عبد الله بن الزبير في جميع أصحابه وحمل المختار بن أبي عبيد من الميمنة والعباس بن سهل الأنصاري من الميسرة، فوقعت الهزيمة على جماعة بني أمية، فقتل من القوم مقتلة عظيمة وأسر منهم من أسر، وفيمن أسر يومئذ عمرو بن الزبير (٥). فلما وقف بين يديه قال: قبحك الله من أخ وذي رحم! فإنك لم

---

(١) كذا بالأصل والطبري وابن الأثير، وفي مروج الذهب ٣ / ٩٢ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

(٢) في الطبري ٥ / ٣٤٤ وابن الأثير ٢ / ٥٣٢ أن عمرو بن سعيد استشار عمرو بن الزبير فيمن يرسله إلى أخيه؟ قال: لا توجه إليه رجلا أبدا أنكأ له مني.
وكان عمرو بن الزبير على شرطه عمرو بن سعيد.

(٣) كانوا نحو ألفين (الطبري ٥ / ٣٤٦).

(٤) انظر تفاصيل أوردها الطبري بروايات متعددة ٥ / ٣٤٤ - ٣٤٦ وانظر ابن الأثير ٢ / ٥٣٢.

(٥) وبعد هزيمته أجاره أخوه عبيدة بن الزبير. ثم انطلق به إلى عبد الله. فدخل على ابن الزبير فقال: ما هذا الدم الذي في وجهك يا خبيث! فقال عمرو:
لسنا على الأعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

تذكر ما كان من البلاء عندك وقيامي بحقك وأخذي إياك من يد مروان بن الحكم، ولكن أنت قديم العداوة، وكنت تضرب وجهي بالسيف قال: ثم جاء بهم إلى مكة فحبسه.

فلما كان من الغد أقامه للناس ونادى: أيها الناس! أن أمير المؤمنين يقول لكم: من كانت له مظلمة عند عمرو بن الزبير فليحضر! قال: فكان يجيء الرجل من بعد الرجل فيقول: يا أمير المؤمنين! إن هذا شتمني، فيقول: اشتمه! ويقول آخر: إن هذا ضربني، فيقول: اضربه! حتى جاء مصعب (١) بن عبد الرحمن بن عوف فقال: يا أمير المؤمنين! إنه جلدني مائة سوط بلا ذنب كان من إلا لميلي إليك، قال: فأمر به عبد الله بن الزبير فجرد من ثيابه، وأمر مصعبا (٢) أن يجلده، فجلده مصعب بيده مائة سوط، ثم أمر به عبد الله بن الزبير، فحبس (٣) ولم يداو (٤) فمات.

ثم قال: أتدرون لم عملت بعمرو بن الزبير هذا؟ فقالوا: لا يا أمير المؤمنين! قال: إنه صار إلى معاوية زائرا، فكتب له بمائة ألف درهم، ففتح الكتاب وضاعفها مائة ألف أخرى، فدفع إليه ذلك المبلغ زياد - مائتي ألف درهم -، فلما دفع إليه زياد حسابه، قال معاوية: ما أمرت لعمرو بن الزبير إلا بمائة ألف درهم، وعلم معاوية أنه هو الذي عمل في الكتاب الزيادة، فكتب إلى مروان بن الحكم وهو عامله بالمدينة أن يأخذ من عمرو بن الزبير مائة ألف درهم، فصرت أنا إلى مروان وضمنت له المائة ألف، فأخذه مروان فحبسه فأخرجته، وهذا جزائي منه أن يخرج علي ليضرب وجهي بالسيف، قال: فلم يعذر عبد الله بن الزبير في هذا.

---

(١) بالأصل " مصعب بن سعيد بن عبد الرحمن " وما أثبت عن جمهرة ابن حزم.
وفي الطبري ٥ / ٣٤٤ أن عمرو بن الزبير لما ولى شرطه عمرو بن سعيد: نظر إلى كل من كان يهوى هوى ابن الزبير فضربه وكان ممن ضرب: المنذر بن الزبير وابنه محمد بن المنذر (وقد رفضا أن يستقيدا منه) وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام وخبيب بن عبد الله بن الزبير ومحمد بن عمار بن ياسر، فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين. ولم يرد فيهم مصعب.

(٢) بالأصل: مصعب.

(٣) حبس في حبس عارم. وفي مروج الذهب ٣ / ٩٢ فأقامه للناس بباب المسجد الحرام مجردا، ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات.

(٤) بالأصل: ولم يداوى.

قال: وشق على عامة أهل مكة ما فعل عبد الله بن الزبير بأخيه. قال: وقد كان عبد الله بن الزبير قبل ذلك يصعد المنبر فيقول: أيها الناس! إن بطني شبرا وما عسى يكفي شبرا (١)، إنما يكفيني في كل يوم قبضة من طعام. وإنما أريد [أن] أسير فيكم بسيرة الصالحين وسيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. قال: وكثيرا ما كان يقرأ سورة الأعراف على المنبر ويقرأها حرفا حرفا، وكان يدور في أسواق مكة يتشبه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه. فلما فعل بأخيه ما فعل وأقامه للناس وأمر بضربه حتى مات، فجعل بعض أهل مكة يقول في ذلك (٢):

[تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة * وبطنك شبر أقل (٣) من الشبر
وأنت إذا ما نلت شيئا قضمته * كما قضمت نار الغضا حطب السدر (٤)
لكم سيرة الفاروق لا شك غيره * وسنة صديق النبي أبي بكر
فلما كذبت الله ما قد وعدته * وما كنت قد وكدت في جانب الحجر
فأصبحت ما تجري لك اليوم طاعة * ببلدة أعراب ولاه ولا قفر
فإن كنت تخشى أن (٥) تبيت بنعمة * قريبا لردتك العطوف على عمرو]

قال: وذكر ذلك أبو حرة (٦) مولى بني مخزوم في تغزله حيث يقول:

ما زال في سورة الأعراف يقرأها * حتى فؤادي مثل (٧) الخز في اللبن
يقول للناس بطني غير ما كذب * شبرا هنيا ودون القوت يكفيني
لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد * أفضلت فضلا كثيرا للمساكين
[أما تصبك من الأيام جائحة * لا سهل منك على دنيا ولا دين
ولا نقول إذا أصبحت مغتبطا * ألا أمير برب الناس آمين] (٨)

---

(١) في مروج الذهب ٣ / ٩١ فما عسى أن يسع ذلك من الدنيا.
(٢) وهو الضحاك بن فيروز الديلمي - كما في مروج الذهب ٣ / ٩١.
(٣) مروج الذهب: أو أقل.
(٤) قضمت: يقال قضمت الدابة الشعير، وقضمت النار أي أكلت وأحرقت الحطب مع صوت يسمع.
(٥) في مروج الذهب: فلو كنت تجزى إذ تبين بنعمة.
(٦) بالأصل " أبو حدة " ما أثبت عن مروج الذهب ٣ / ٩١ وفيه: أبو حرة مولى الزبير.
(٧) بالأصل: " كمثل " وما أثبت عن مروج الذهب.
(٨) مكان هذين البيتين في مروج الذهب ٣ / ٩١.
إن امرءا كنت مولاه فضيعني * يرجو الفلاح لعمري حق مغبون

ثم أعلن عبد الله بن الزبير ما هو فيه، وأرسل إلى سعد مولى عتبة بن أبي سفيان وهو متحصن بالطائف، فأرسل إليه بقوم فحاصروه حتى استنزلوه في خمسين رجلا من أصحابه من شيعة يزيد بن معاوية، فأتوا بهم إليه فأمر بحبسهم، ويقال: إنه قتلهم عن آخرهم - والله أعلم -.

قال: ثم أقبل حتى نزل دار البلاط بمكة فجعلها دار إمارته. قال: وتفرق كل من كان بمكة من شيعة بني أمية خوفا على أنفسهم، فصاروا إلى الشام، وأنشأ بعض أهل مكة يقول:

[بلى أم حمد ما تحمد أهله * فكيف بذي وجد من القوم آلف
من أجل أبي بكر جلت عن بلادها * أمية والأيام دار تعارف
وقد حل في دار البلاط مطوع * قبول على الأرحام ليس بعاطف
وعما قليل سوف يأتي بيثرب * عليها من الأبطال ذات زواحف]

قال: وبلغ أهل المدينة أن عبد الله بن الزبير بايعه أهل مكة والطائف وسائر الحجاز فوثبوا على عاملهم عمرو بن سعيد بن العاص (١) فأخرجوه من المدينة، وأخرجوا من كان معه من بني أمية فطردوهم بأجمعهم وبايعوا عبد الله بن الزبير (٢).

---

(١) كذا بالأصل، وفي الطبري ٥ / ٤٨٢ وابن الأثير ٢ / ٥٩٣ والإمامة والسياسة ١ / ٢٣٠ عثمان بن محمد بن أبي سفيان.

(٢) في الطبري بايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل.

ويرى صاحب الإمامة والسياسة أن السبب في خلع أهل المدينة يزيدا أن يزيد كان قد أرسل إليهم كتابا جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإني قد نفستكم حتى أخلفتكم ورفقتكم حتى أخرفتكم، ووضعتكم على رأسي قد وضعتكم وأيم الله لئن آثرت أن أضعكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل منها عددكم وأترككم أحاديث تناسخ كأحاديث عاد وثمود، وآيم الله لا يأتيكم مني أولى من عقوبتي، فلا أفلح من ندم.

قلت: لم يكن كتاب يزيد إلى أهل المدينة، ولا تعيينه عثمان بن محمد بن أبي سفيان ذلك الفتى الغر الحدث الغمر الذي لم يجرب الأمور ولم يحنكه السن ولم تضرسه التجارب والذي كان لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله السبب في خلافهم على يزيد، وخلعهم إياه ونكثهم بيعتهم له.

وقد يكون هو العامل الذي حرك الأسباب الحقيقة لتحرك أهل المدينة خاصة ودفعها إلى الواجهة حيث أخذت المواجهة بين المدنيين والحكم الأموي المتمثل بيزيد الطابع الصدامي والأكثر دموية.

ولحركة المدينة أسباب كثيرة منها سياسية ومنها اقتصادية واجتماعية، وأهم هذه الأسباب:

- السياسة الأموية التي وضع معاوية بن أبي سفيان خطوطها الأولى كانت وراء الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالمدينة والتي دفعت بها إلى حدود الضيق والفقر (انظر تفاصيل حول هذه السياسة أوردها د. إبراهيم بيضون في كتابه الحجاز والدولة الإسلامية ص ٢٥٠ وما بعدها).

- القهر السياسي الذي عانى منه الحجاز عامة والمدينة ومكة خاصة حيث حظر على زعمائهما تجاوز الاهتمامات الاجتماعية والثقافية بعد انتقال الخلافة إلى الشام.

- رفض الحكم الأموي، وقد جاء غياب معاوية فرصة لإظهار هذا الفرض من الخفاء إلى العلن، وقد كان غيابه مؤشرا للإنفجار المرتقب حيث كان وجوده عاملا في منعه أو تجميده.

- فشل الخليفة يزيد أمام الأزمات الخطيرة التي واجهت حكمه وانغماسه (حسب الروايات) بالترف والمجون واستغراقه حتى العبث في حياته الخاصة في إذكاء روح المعارضة وتجرؤها على الإعلان عن نفسها.
- ضربه الرموز الإسلامية بمنتهى العنف، حيث رأى في اتباعه هذه السياسة مدخلا إلى إثبات حضوره السلطوي لكن هذا شجع المعارضة على المبادرة إلى اتخاذ موقف علني ضده.
- ثورة الحسين التي كانت السباقة إلى رفض الأمر الواقع والتي انتهت بمأساة دموية في العراق وأوقعت النظام الأموي وأدواته في ارتباك شديد.
- حركة ابن الزبير التي استطاعت أن تستثمر النقمة المتزايدة على الحكم الأموي.
- وجود الوالي عثمان بن محمد بن أبي سفيان والذي وصف بأنه غر قليل التجربة حديث السن وأخفاقه في التعاطي مع المستجدات الخطيرة في مكة والمدينة.
- محاولة أهل المدينة (الأنصار) إعادة التوازن الذي اختل منذ السقيفة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن دعوة ابن الزبير للمدينة لبيعته بعد مقتل الحسين لم يرافقها في المدينة كثير من الحماسة فقد انقسمت بين مؤيد له ومتحفظ ومتردد، لكن اللقاء مع ابن الزبير تمحور حول هدف كبير مشترك هو الإطاحة بالخليفة الأموي، وما تولي عبد الله بن حنظلة (من الأوس) إلا إشارة على التوجه الأنصاري لأهل المدينة. وهذا ما سيؤدي (كما سيرد) إلى استفراد المدينة في الحملة العسكرية التي استهدفتها.

قال: وبلغ ذلك ابن الزبير فأرسل إلى عبد الله بن حنظلة (١) بن أبي عامر الغسيل - غسيل الملائكة - فولاه المدينة، قال: فخلت مكة والمدينة من بني أمية.
قال: وجعل عبد الله بن حنظلة أمير المدينة يشتم يزيد بن معاوية ويظهر عيب يزيد وعيب بني أمية، ويقول فيهم ويقذفهم بكل عجيب. فقال له مسلم: أيها الأمير! مهلا عن بني أمية، فإنك تعلم أنك قدمت على معاوية فأجلست معه على سريره ورد عليك صدقة أبيك ثم قضى حوائجه وأمر له بمائة ألف درهم، ثم إنك قصدت ابنه يزيد فأجلست أيضا على سريره وأكرمك، فو الله ما كافيت ابنه يزيد ولا معاوية، ما لك ولبني أمية تشتمهم وتظهر عيبهم وأنت لا تدري ما يكون في عاقبة هذا الأمر، فقال له عبد الله: اسكت ويحك يا مسلم! فو الله ما خرجت بسيفي وطردت بني أمية عن المدينة حتى كنت أصعد إلى سطح بيتي في جوف الليل فأخاف أن ينحروني

---

(١) بالأصل: حنضلة.

بالهجوم لما أرى من كثرة بني أمية وجورهم وأعمالهم القبيحة ولا أقدر أن أغيرها. قال: وبلغ يزيد بن معاوية ما قد فعله أهل المدينة بعامله عمرو بن سعيد بن العاص (١) وببني أمية وما فعله عبد الله بن الزبير بمكة، فدعا بالضحاك بن قيس الفهري (٢) وأمره أن يسير إلى المدينة ومكة فيتولى حرب عبد الله بن الزبير، فقال الضحاك: لا والله يا أمير المؤمنين لا أحب أن أكون أول من أراق دم قريش، فادع لهذا الأمر غيري. قال: فتركه ودعا مسلم بن عقبة المري وكان شيخا كبيرا من أبناء بضع وتسعين سنة، فكلمه يزيد في ذلك وأمره بالخروج إلى عبد الله بن الزبير، فقال: أنا شيخ كبير، فقال له: لا بد لك من ذلك فإن أبي أوصاك بحفظي من بعده (٣)، ولا أجد أحدا (٤) يقوم بذلك سواك، فإذا تقاربت من المدينة فاجعل طريقك عليها، فإن كان أهل المدينة قتلوا أحدا من بني أمية فأدخلها بالسيف وأرق الدماء فيها ثلاثة أيام، ثم سر بعد ذلك إلى مكة، وإن لم يكن أهل المدينة قتلوا أحدا فلا تتعرض لهم إلا بكل خير (٥). قال: ثم أمر يزيد الناس فجمعهم لمسلم (٦) بن عقبة المري فاجتمع إليه عشرون ألف فارس وسبعة آلاف راجل (٧)، فأعطى يزيد كل واحد منهم مائتي دينار، ولكل راجل مائة دينار، وأمرهم بالمسير مع [مسلم بن] (٨) عقبة وشيعهم حتى إذا صار إلى موضع يقال له الثنية ودعه يزيد ثم

---

(١) كذا، وقد مر أنه عثمان بن محمد بن أبي سفيان.

(٢) في الطبري: " عمرو بن سعيد " وفيه: أن يزيد كتب إلى ابن مرجانة (عبيد الله بن زياد) أن اغز ابن الزبير: فقال: لا أجمعهما للفاسق أبدا. أقتل ابن بنت رسول الله وأغزو الكعبة. ثم أرسل إليه يعتذر (انظر ابن الأثير ٢ / ٥٩٤).

(٣) في رواية في الطبري ٥ / ٤٩٥ أن معاوية لما حضرته الوفاة قال ليزيد: إن لك من أهل المدينة يوما، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة، فإنه رجل قد عرفت نصيحته. وجاء في الإمامة والسياسة ١ / ٢٣١ أن يزيد قال له: سر إلى هذه المدينة بهذه الجيوش، وإن شئت أعفيتك فإني أراك مدنفا منهوكا، فقال: نشدتك الله ألا تحرمني أجرا ساقه الله إلي.

(٤) بالأصل: أحد.

(٥) انظر وصية يزيد لمسلم بن عقبة في الطبري ٥ / ٤٨٤ وابن الأثير ٢ / ٥٩٤ والإمامة والسياسة ١ / ٢٣٢.

(٦) بالأصل: لعمرو.

(٧) في الطبري وابن الأثير وابن كثير: اثنا عشر ألف فارس، زيد في البداية والنهاية: وخمسة عشر ألف راجل.

(٨) زيادة عن الطبري.

أوصاه بوصية ثم جعل يقول (١):
[أبلغ أبا بكر إذا الليل سرى * وهبط القوم على وادي القرى
عشرون ألف بين كهل وفتى * أجمع سكران من القوى ترى
أم جمع يقظان نفى عنه الكرى * يا عجبا من ملحد يا عجبا
مخادع في الدين يقفو بالعرى -]
ذكر مسير مسلم بن عقبة المري إلى مكة
قال: وسار مسلم بن عقبة مع الجيش يريد مكة، فلما تقارب من المدينة استقبله بنو أمية مطرودين (٢) من المدينة فوقفوا إليه (٣) وسلموا عليه فقال لهم مسلم: هل قتل منكم أحد؟ قالوا: لا ولكن أخرجنا عن المدينة مطرودين (٤)، فقال: لا بأس عليكم، ارجعوا معي حتى نفرغ من عبد الله بن الزبير، فقد أمرني يزيد بأمر وأنا منته (٥) إلى أمره.
قال: فرجعت معه بنو أمية ونزل مسلم بن عقبة المدينة عن يساره ومضى نحو الساحل لكي يخرج إلى مكة، ثم إنه نزل في بعض المنازل قريبا من المدنية فتطرف (٦)
عسكره، ووقعت الصيحة، فقال مسلم: ما هذا؟ فقالوا: أيها الأمير! هؤلاء سفهاء المدينة قد خرجوا يتطرفون عسكرنا يريدون الغارة علينا. قال: فغضب مسلم بن عقبة وقال: ارجعوا الآن إليهم حتى ننزل بهم ما هم أهله! قال: فرجع القوم حتى نزلوا بموضع يقال له حرة وأقم.
ذكر حرة وأقم وما قتل فيها من المسلمين
قال: وخرج أهل المدينة مع أميرهم عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر (٧) إلى

---

(١) الطبري ص ٥ / ٤٨٤ ابن الأثير ٢ / ٥٩٤ مروج الذهب ٢ / ٨٤ الأخبار الطوال ص ٢٦٥ البداية والنهاية
٨ / ٢٣٩ باختلاف في بعض الألفاظ بين المصادر. وما أثبت يوافق رواية الطبري للأرجاز.
(٢) الأصل: مطرودون.
(٣) وذلك بوادي القرى (الطبري).
(٤) الأصل: مطرودون.
(٥) الأصل: منتهي.
(٦) بالأصل: فتطرفوا.
(٧) في الطبري ٥ / ٤٨٧ عبد بن مطيع كان على قريش من أهل المدينة، وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار ومعقل بن سنان على المهاجرين (انظر ابن الأثير والأخبار الطوال).

حرب أهل الشام، فأبى عبد الله بن حنظلة أصحابه وجعل على ميمنته يعقوب بن طلحة بن عبيد الله (١)، وعلى ميسرته أبو جهم بن حذيفة العدوي (٢)، وعلى الجناح عبد الله بن خزيمة بن أبي ثابت (٣) الأنصاري، وعبي مسلم بن عقبة أصحابه عن المدينة. قال: فاختلطوا واقتتلوا. فوقعت الهزيمة على أهل المدينة، فقتل منهم مقتلة عظيمة، فأما المقتل فقيل إنهم لما انهزموا أخذهم السيف فقتل من أولاد المهاجرين ألف وثلاثمائة وقتل من أبناء الأنصار ألف وسبعمائة، ومن العبيد والموالي وسائر الناس ثلاثة آلاف وخمسمائة: فتلك ستة آلاف وخمسمائة رجل (٤) ودخل أهل
الشام إلى المدينة بالسيف فجعلوا يقتلون كل من يقدرون عليه من صغير أو كبير، ثم وضعوا الغارة على أهل المدينة فأغاروا عليها ثلاثة أيام ولياليها وفجروا بالنساء. قال أبو سعيد الخدري: فو الله ما سمعنا الأذان بالمدينة منذ ثلاثة أيام إلا من قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
قال: ومسلم بن عقبة المري قد وضع له سرير على باب المسجد وكل من أتي به ضرب عنقه. قال: فبينما هو كذلك إذا أتي بأبي جهم بن حذيفة (٥) العدوي وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له مسلم بن عقبة: من أنت؟ فقال: أنا أبو جهم بن حذيفة العدوي! قال: وتتكنى علي وتقول أنا أبو جهم [بن حذيفة، بايع الآن يزيد بن معاوية على أنك عبد من عبيده! فقال أبو جهم] يا سبحان [الله] كيف أكون عبدا ليزيد وأنا رجل من قريش معروف الحسب والنسب! فقال مسلم بن عقبة: اضربوا عنقه! فقال: إني أبايع على ما تأمرني به، فقال: لا والله لا أقبلك، ثم قدمه فضرب عنقه (٦). ثم أتى بعبد الرحمن بن سمرة بن جندب، فقال

---

(١) بالأصل: عبد الله خطأ.
(٢) كذا بالأصل، وفي الطبري: محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي.
(٣) الصواب: ثابت، ولم نجد لخزيمة بن ثابت ولدا اسمه عبد الله.
(٤) في عدد من قتل من أهل المدينة أقوال. قال خليفة بن خياط في تاريخه ص ٢٥٠: فجميع من أصيب من الأنصار مئة رجل وثلاثة وسبعون رجلا، وجميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاثمئة رجل وستة رجال.
وقد ذكر خليفة ص ٢٤٠ وما بعدها أسماء من قتل يوم الحرة. وانظر في عدد من قتل ابن الأثير ٢ / ٦٠٠ سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٢٠ العقد الفريد ٤ / ٣٩٠ مروج الذهب ٣ / ٨٥ النجوم الزاهرة ١ / ١٦١ الإمامة والسياسة ١ / ٢٣٧ البداية والنهاية ٨ / ٢٢٠ والمعرفة والتاريخ ٣ / ٣٢٥.
(٥) بالأصل: عمرو خطأ، وقد مر أنه محمد بن أبي جهم.
(٦) انظر في كيفية مقتله الأخبار الطوال ص ٢٦٦ والإمامة والسياسة ٢ / ١٥.

له مسلم: من الرجل؟ قال: رجل من بني أمية، فقال: بايع يزيد على أنك عبده! فقال: ما كنت قط إلا حرا فكيف أكون عبدا ليزيد وأنا معه في عبد شمس، فقال: اضربوا عنقه! فجردوه بين يديه فضربوا عنقه. ثم قال: اطلبوا لي معقل بن سنان! فإنه ابن عمي فلعله قد خاف مني، فطلبوه فأصابوه وقد خرج من المدينة يريد مكة، فأخذوه فقالوا: إن ابن عمك قد أمرنا أن نأتي بك إليه فقال ويحكم! اتقوا الله فإني عارف به وإن كان ابن عمي، فقالوا: والله لا نفارقك أو نأتي بك إليه قال: ثم أتوا به وقد أجهده العطش، وكان شيخا قد أسن، فلما نظر إليه ابن عقبة قال: يا غلام! علي بقدح من سويق الكوز (١) الذي زدناه أمير المؤمنين! قال: فأتي بقدح فيه سويق الكوز مكتوف بالقند، فجرعوه بالماء ثم ناولوه إياه، فقال له مسلم بن عقبة: اشرب أبا محمد! فعزيز علي ما نالك من العطش. فلما شرب قال له مسلم بن عقبة: أتذكر إذ أنا وأنت بالطبرية وأمير المؤمنين يزيد إذ ذاك في دعوة فلان ابن فلان، فالتفت إلي وقلت (٢): إلى كم هذا الذل والهوان الذي نحن فيه من الله! لئن أخر الله لي في الأجل لأبايعن رجلا من أبناء المهاجرين! أما إنك وفيت بما قلت فبايعت لعبد الله بن الزبير، وهو لعمري رجل من أبناء المهاجرين الأولين، أتعرف هذا الحديث؟ فقال: نعم، أعرفه، فقال: إذ عرفته فاضرب يا غلام عنقه! فقال: أنا ابن عمك، أنا رجل من أشجع وأنت من بني مرة ويجمعني وإياك قيس غيلان، فقال مسلم بن عقبة: ولذلك أقتلك لأنك ابن عمي، ثم قدمه فضرب عنقه (٣). فقال في ذلك بعض أهل مكة:

[رمانا يزيد بابن عقبة مسلم * فلا سلمت حدثا من الحدثان
يقود إلى أهل المدينة جحفلا * له لجب كالبحر في الجريان
يقتل سكان المدينة عنوة * وقد أصبحوا صرعى بكل مكان
وأصبحت الأنصار تبكي (٤) سراتها * وأشجع تبكي (٥) معقل بن سنان]

قال ثم قدم إليه عمرو بن أسد بن خزيمة بن أسد، فلما وقف بين يديه قال

---

(١) الطبري: العسل. وفي الإمامة والسياسة: البلح.
(٢) الأصل: قال.
(٣) خبر مقتل معقل بن سنان في الطبري ٥ / ٤٩٧ والأخبار الطوال ص ٢٦٦ وابن الأثير ٢ / ٥٩٨ والإمامة
والسياسة ١ / ١٥ باختلاف بين المصادر وبينها وبين الأصل.
(٤) عن الاستيعاب، وبالأصل تبغى.
(٥) عن الاستيعاب وبالأصل " يسعى ".

[ابن] (١) عقبة: ما أكثر قبائل قريش! من أنت من قريش؟ قال: أنا رجل من بني أسد بن عبد العزى بن قصي، ولي حرمة بأمير المؤمنين يزيد، قال: ومن أجل ذلك خرجت عليه وبايعت عبد الله بن الزبير؟ فقال مروان بن الحكم: هذا نديم أمير المؤمنين وجليسه، فقال [ابن] (١) عقبة: من ههنا جاء في عنقه! فلم يزل القوم يحاورون في عنق مروان حتى سقط، فقال عبد الملك (٢) بن مروان: أيها الأمير! حسبك فقد أبلغت من الشيخ! فقال مسلم بن عقبة: يا عبد الملك! أنت عندي أرجى من مروان (٣) وأبعد منه همة، يراني وقد قتلت ابن عمي معقل بن سنان فيقول: هذا نديم أمير المؤمنين وجليسه!

قال: ثم أتي بعلي بن عبد الله بن عباس، فلما قدم إليه قامت قبائل كندة من كل ناحية فقالوا: أيها الأمير! إن هذا الذي قدم عليك منا وإلينا، وذلك أن عبد الله بن العباس خطب إلينا فزوجناه بنت عم لنا يقال لها زرعة بنت مشرح (٤) فأولدها، هذا الفتى ابن أختنا فخل سبيله! فقال: يا معشر كندة! خلعتم أيديكم من الطاعة! فقالوا: ما خلعنا أيدينا من الطاعة، ولكنا لا نمكنك من ابن أختنا تقتله! فقال لهم: إذا فيبايع أمير المؤمنين يزيد! فقالوا (٥): أما البيعة فإنه يبايع على أنه والله أشرف من يزيد وأكرم فيه أبا وأما. قال: فبايع علي بن عبد الله بن عباس يزيد بن معاوية وتنحى ناحية من بين يدي مسلم بن عقبة.

قال: وسمع مسلم بن عقبة صياحا وصراخا فقال: ما هذا؟ فقيل: إنه قد أتي

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) بالأصل " عمرو ".

(٣) بالأصل: عبيد.

(٤) بالأصل: زرعة بنت عمرو بن مشرح وما أثبت عن نسب قريش ص ٢٨ وفي جمهرة ابن حزم: زهرة بنت منشرح الكندية.

(٥) في ابن الأثير ٢ / ٥٩٩ فقال الحصين بن نمير السكوني: لا يبايع ابن أختنا إلا كبيعة علي بن الحسين، فقامت كندة مع الحصين فتركه مسلم.

ذكر ابن الأثير: فقال علي:

أبي العباس قرم بني قصي * وأخوالي الملوك بني وليعة

هم منعوا ذماري يوم جاءت * كتائب مسرف وبنو اللكيعة

أرادوني التي لا عز فيها * فحالت دونه أيد سريعة

والأبيات في مروج الذهب ٣ / ٨٦ باختلاف بعض الألفاظ.

بعلي بن الحسين بن يديه (١) وهؤلاء أقاربه يصيحون، فقال: أعلموه أنه لا بأس عليه! قال: فلما أتي بعلي بن الحسين وثب مسلم بن عقبة فصافحه وقبل بين عينيه وأقعده معه على سريره، ثم قال له: لا بأس عليك وأمير المؤمنين يزيد بن معاوية يقرأ عليك السلام ويقول لك: لا تلمني على حبس عطائي لك، إنما (٢) شغلني عنك عبد الله بن الزبير وأنا موجه إليك بعطائك موفرا. قال: ثم أمر له مسلم بن عقبة بألف درهم، وقال: احملوه إلى منزله.

و لم يزل مسلم بن عقبة يفعل بأهل المدينة ما فعل ثلاثة أيام ولياليهن، ثم خرج يوم الربع منها وقد انتهب وأغار وقتل من قتل وفعل ما فعل، وخرج يريد مكة (٣)

إلى عبد الله بن الزبير حتى إذا صار إلى بعض الطريق أدركته الوفاة (٤)، فدعا بالجند والمقاتلة الذين كانوا معه. ثم دعا الحصين بن نمير السكوني فأقعده بين يديه ثم أقبل إليه فقال: اسمع مني ما أقول لك يا بن برذعة الحمار! إني قد وليتك هذا الجيش، ولو كان الأمر إلي ما فعلت، غير أن أمير المؤمنين أمرني بذلك وأنا ميت لا محالة (٥)، فانظر أن تفعل في أهل مكة وفي عبد الله بن الزبير كما رأيتني فعلت بأهل المدينة. ثم جعل يقول: اللهم! إنك تعلم أني لم أعص خليفة قط، اللهم!

[إني] لا أعلم (٦) عملا أرجو به النجاة إلا ما فعلت بأهل المدينة. ثم اشتد به الأمر فمات، فغسلوه وكفنوه ودفنوه، وبايع الناس للحصين بن نمير السكوني من بعده، وسار القوم يريدون مكة، وخرج أهل ذلك المنزل فنبشوه من قبره وصلبوه على نخلة (٧). قال: وبلغ ذلك أهل العسكر فرجعوا إلى أهل ذلك المنزل فوضعوا السيف فيهم، فقتل (٨) منهم من قتل وهرب الباقون، ثم أنزلوه من النخلة فدفنوه ثم أجلسوا

---

(١) جاء يمشي بين مروان بن الحكم وابنه عبد الملك حتى جلس بينهما عند مسلم (ابن الأثير).

(٢) في الطبري ٥ / ٤٩٣: إن هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن وصلتك.

(٣) خلف على المدينة روح بن زنباع الجذامي (طبري).

(٤) في قفا المشلل وذلك في آخر المحرم سنة ٦٤ ه. وكانت إصابته بالذبحة كما في الأخبار الطوال ص ٢٦٧.

(٥) زيد في الأخبار الطوال ص ٢٦٧ لأن من شأن اليمانية الرقة، غير أني لا أعصى أمير المؤمنين.

(٦) في الطبري ٥ / ٤٩٧: إني لم أعمل عملا قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أحب إلي من قتل أهل المدينة.

(٧) في الإمامة والسياسة ١ / ٢٤٢ أتته أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة... فبشت عنه.... فصلبته على المشلل.

(٨) بالأصل: فقتلوا.

على قبره من يحفظه.
وسار القوم يريدون مكة وعبد الله بن الزبير يومئذ في جمع كثيف وقد بلغه ما قد فعل بأهل المدينة فعزم على حربهم. قال: وبلغ ذلك رجل من أهل البصرة، فخرجوا إلى عبد الله بن الزبير لمعاونته (١)، وجعل عبد الله بن الزبير يحارب القوم.
قال: والحصين بن نمير قد أمر بالمجانيق فنصبت، فجعل يرمي أهل مكة رميا متداركا لا يفتر من الرمي، فجعل رجل (٢) من أهل مكة يقول في ذلك:
ابن نمير (٣) بئس ما تولى * قد أحرق المقام والمصلى
وبيت ذي العرش العلي الأعلى * قبلة من حج له وصلى
قال: وإذا بصاعقة قد نزلت فأحرقت منجنيقا كان لهم.
قال: فلم يزل القوم يرمون المسجد الحرام والبيت بالنيران والحجارة، فلما رأى عبد الله بن الزبير ذلك خرج إليهم فيمن كان عنده من الجيش، فحاربهم حربا شديدا فقتل منهم جماعة، وجعل المختار بن أبي عبيد يقاتل بين يدي عبد الله بن الزبير أشد القتال وهو يقول:
أنا ابن الكرار لست من بني الفرار (٤)
ثم حمل فقاتل حتى ضج أهل الشام من قتاله. فأقام القوم على ذلك أياما لا يفترون عن القتال ليلا ونهارا حتى قتل من أهل الشام خلق كثير وكذلك من أصحاب عبد الله بن الزبير.
قال: فبينما الحصين كذلك إذا برجل من أهل الشام قد قدم عليه فسلم ثم جلس عنده فقال: أيها الشيخ الضال! أنت حائم على بيت الله الحرام ترميه

---

(١) وفي الطبري ٥ / ٤٩٧ وقدم عليه كل أهل المدينة، وقد قدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في أناس من الخوارج يمنعون البيت.
(٢) هو أبو وجزة المدني، يزيد بن عبيد السلمي السعدي كما في مروج الذهب ٣ / ٨٧.
(٣) عن مروج الذهب، وبالأصل: أن نميرا.
(٤) بالأصل: " أبناء الفرارين " وفي الطبري ٥ / ٥٧٥ نادى المختار: يا أهل الإسلام إلي إلي، أنا ابن أبي عبيد بن مسعود، وأنا ابن الكرار لا الفرار، أنا ابن المقدمين غير المحجمين، إلي يا أهل الحفاظ وحماة الأوتار.

بالحجارة والنيران ويزيد بن معاوية قد مات ومضى إلى سبيله (١)، فقال الحصين: ويلك! ما تقول؟ فقال: أقول ما تسمع، فقال له: وما كان سبب ذلك؟ فقال: إنه شرب من الليل شرابا كثيرا ثم أصبح مخمورا فذرعه القيء ثم لم يزل كذلك إلى أن مات حتى قذف عشرين طشتا من ذهب فهذه قصته (٢). قال الحصين: ويحك! لمن بايع الناس بعده؟ فقال: بايعوا ابنه معاوية بن يزيد، غير أنه خلع نفسه من الخلافة (١)، فقال: ولم ذلك؟ فقال: إذا أخبرك أنه ملك أربعين يوما، فلما كان بعد ذلك سعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب وقال في خطبته: أيها الناس! إنما أنا لحم ودم، واللحم والدم لا يصبران على نار جهنم، وأنا خالع هذا الأمر، فقلدوا أموركم من أحببتم! فناداه الناس من كل مكان فقالوا: يا أمير المؤمنين! فاعهد عهدك إلى من أحببت فإنا له سامعون مطيعون! فقال: ما أنا بأمير المؤمنين ولا أعهد إلى أحد، فإن نال خيرا فقد نال منه آل أبي سفيان، وإن كان شرا فلا أحب أن أوردهم الدنيا وأمضي في الآخرة (٣)، ثم نزل عن المنبر فصار إلى منزله (٤)، فعاش ثلاثة أيام ومات (٥)، والناس في الشام في أمر عظيم من الاختلاف.

---

(١) وفي الطبري ٥ / ٥٠١ وابن الأثير ٢ / ٦٠٤ أن خبر هلاك يزيد بلغ عبد الله بن الزبير قبل أن يعلم به الحصين بن نمير ومن معه من عسكر الشام.

(٢) مات يزيد بقرية من قرى حمص يقال لها حوارين من أرض الشام لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ٦٤ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة. (الطبري ٥ / ٤٩٩ وانظر ابن الأثير ٢ / ٦٠٢ ومروج الذهب ٣ / ٦٦ ونسب قريش ص ١٢٨ الجوهر الثمين لابن دقماق ص ١ / ٧٩ تاريخ خليفة ص ٢٥٣).

(٣) انظر خطبته في الطبري ٥ / ٥٣٠ ابن الأثير ٢ / ٦٠٥ ومروج الذهب ٣ / ٨٨. والإمامة والسياسة ٢ / ١٧ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٤ الفخري ص ١١٨ تاريخ ابن العبري ص ١١١ باختلاف بين المصادر وبينها وبين الأصل.

(٤) موقف الخليفة معاوية بن يزيد بن معاوية المفاجئ وبعد وقت قصير جدا على توليته مقاليد الخلافة، حيث بقي محجوبا لا يرى حاول بعض المؤرخين تعقبه. قال ابن العبري: إنه كان قدريا، حيث قال: إني لا أحب أن ألقى الله بتبعاتكم فشأنكم وأمركم ولوه من شئتم وتخلى للعبادة حتى مات.
ورأى الفخري أنه كان صبيا ضعيفا وقد عرف بأبي ليلى لضعفه كما قال المسعودي في مروجه: هذه الكنية للمستضعف من العرب.
ونرى أن اعتكافه وعزلته في منزله واحتجابه عن الناس يعود لأسباب كثيرة أقلها ثلاثة:
١ - عدمه اقتناعه - من حيث المبدأ - بأحقيته للولاية (الفخري).
ب - اشتداد الصراع بين أطراف القيادة الأموية بين القيسية (الضحاك) واليمينية.
ج - ظهور عبد الله بن الزبير الرجل القوي بعد موت يزيد ودعوته الناس لمبايعته وادعائه الخلافة وظفره بالحجاز والعراق وخراسان ومصر واليمن والشام إلا الأردن.

(٥) لم يرد في الطبري ولا ابن الأثير ولا عند المسعودي أنه كان مريضا قال المسعودي في مروجه: وقد تنوزع في سبب وفاته فمنهم من رأى أنه سقي شربة ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أنه طعن ٣ / ٨٩.

قال: فبقي الحصين حائرا ماذا يصنع! ثم أرسل إلى عبد الله بن الزبير فقال إن أذنت لي أن أدخل مكة فأهل بالعمرة! فأرسل إليه عبد الله بن الزبير: ذلك إليك.
قال: فدخل أهل الشام إلى مكة نادمين على ما كان منهم، فلما عزموا على الرحيل منها إلى الشام أقبل الحصين إلى عبد الله بن الزبير فجلس إليه ثم قال: أبا بكر! إن يزيد بن معاوية قد مضى إلى حال سبيله، وليس بالشام خليفة، وهذا الجيش معي كما ترى، فأخرج معي إلى الشام حتى تكون خليفة هناك فأنت رجل من أبناء المهاجرين الأولين. قال: فرفع عبد الله بن الزبير صوته، وقال: لا والله أو أقتل بكل رجل قتل من الحرة عشرة آلاف من أهل الشام (١). قال: فقال له الحصين: ويحك (٢) يا بن الزبير! تزعم أنك عاقل وأنا أكلمك بهذا سرا وتكلمني جهرا، وأدعوك إلى أن تكون خليفة وتوعدني بالقتل! يا بن الزبير! إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم من مكة، ثم إنه لم يرضها له دارا حتى نقله إلى المدينة، فكانت المدينة
داره وقراره إلى أن أدركته الوفاة صلى الله عليه وآله وسلم والمدينة موضع قبره ومنزله ومنبره، ثم صار الأمر
من بعده إلى أبي بكر، ثم إلى عمر، ثم إلى عثمان - رضي الله عنهم -، فلما قتل أهل المدينة عثمان انتقلت الخلافة إلى الشام والشام دار الخلافة، فاقبل مني يا بن الزبير واخرج معي إلى الشام، فأنا أول من يبايعك ثم يبايعك أهل هذا العسكر وأهل الشام جميعهم. قال: فأبى عبد الله بن الزبير أن يجيب الحصين بن نمير إلى ذلك.
قال: فرحل الحصين إلى الشام بعسكره ذلك، وانصرف أهل البصرة إلى
البصرة، وبها يومئذ عبيد الله بن زياد، ثم أرسل إليهم فدعاهم ثم قال: يا أعداء الله! أخرجتم من البصرة لنصرة عبد الله بن الزبير لتعينوه على أمير المؤمنين يزيد بن معاوية؟ قال فقالوا له: أيها الأمير! إنا ما خرجنا إلى مكة لنعين عبد الله بن الزبير على يزيد، وإنما خرجنا لننصر البيت الحرام من أهل الشام، وأما يزيد فقد مضى لسبيله ولعله قد بلغك ذلك! قال: وكان الخبر وقع إلى عبيد الله بن زياد بأن يزيد قد

---

(١) في مروج الذهب ٣ / ٩٩: أبعد قتل أهل الحرة، لا والله حتى أقتل بكل رجل خمسة من أهل الشام، وانظر الطبري ٥ / ٥٠٢ الأخبار الطوال ص ٢٨٦ والإمامة والسياسة ٢ / ٢٠.
(٢) في مروج الذهب: من زعم يا بن الزبير أنك داهية فهو أحمق. وانظر ما حرى فيهما في المصادر السابقة. حيث أضاع عبد الله بن الزبير فرصة ثمينة لم تتكرر وسيدفع بعد قليل ثمن غلطته هذه حياته. وكان آخر ما قال له الحصين: والله لا تفلح أبدا وفستعلم أينا المقتول.

مات فلم يصدق (١)، فلما خبره هؤلاء القوم بما خبروه علم وتيقن أن يزيد قد مضى لسبيله فاتقى لنفسه من أهل البصرة (٢)، فأرسل إلى نفر من خاصة أصحابه فدعاهم ثم استشارهم في أمره، فأشاروا عليه بأن يحبس هؤلاء القوم الذين قدموا من مكة.

قال: فأرسل عبيد الله بن زياد إلى هؤلاء القوم فجمعهم إليه ثم أمر بهم فحبسهم. ثم خرج في جوف الليل في جماعة من خاصته (٣) حتى صار إلى دار مسعود بن عمرو الأزدي وهو شيخ الأزد بالبصرة، فاستجار به عبيد الله بن زياد، فأجاره وأجار من كان معه.

قال: وأصبح أهل البصرة فعلموا أن عبيد الله بن زياد قد هرب، فاجتمعوا وراحوا إلى داره البيضاء والحمراء (٤) فغاروا عليها، ثم دخلوا إلى أم عبيد الله بن زياد فسلبوها وسلبوا امرأته وحرمه حتى أخذوا مقانعهن من رؤوسهن، قال: واجتمعت الناس إلى الدارين جميعا وأخرجوا كل من كان في حبس عبيد الله بن زياد – لعنه الله –! وجعلوا يطلبونه فلا يقدرون عليه (٥).

قال: واتقى عبيد الله بن زياد – لعنه الله – أن يعلم بمكانه، فأقبل على مسعود بن عمرو فقال له: إنك قد أجرتني وأجرت أصحابي هؤلاء، وأنا خائف على نفسي من أهل البصرة وأنا أريد منك أن تتم إحسانك وأن تخلصني كيف شئت وأنى شئت (٦)، فقال له مسعود بن عمرو: أفعل ذلك إن شاء الله! فقد كان لأبيك علي حق واجب. قال: ثم دعى بثلاثين (٧) رجلا من أصحابه وأمرهم أن يخفروا

---

(١) في الطبري ٥ / ٥٠٦ أن عبيد الله أرسل مولى له يقال له أيوب بن حمران إلى الشام ليأتيه بخبر يزيد فلما قدم أيوب أسر بموته إلى عبيد الله.

(٢) انظر أمر عبيد الله بن زياد وأهل البصرة بعد موت يزيد بن معاوية في الطبري ٥ / ٥٠٤.

ص ٢٨٢ إلى وصوله إلى دار مسعود بن عمرو وكان قائده إلى هناك الحارث بن قيس فقال مسعود بن عمرو للحارث: أهلكت قومك يا بن قيس، وعرضتنا لحرب جميع أهل البصرة، وقد كنا آجرنا أباه زياد من قبله فما كانت عنده مكافأة.

(٤) كذا، ولم نجدها.

(٥) في الأخبار الطوال ص ٢٨٣: أتوا داره فاقتحموها ليقتلوه، فلم يصادفوا فيها أحدا، فانطلقوا إلى الحبس فكسروه وأخرجوا من كان فيه وبقي أهل البصرة تسعة أيام بغير وال.

(٦) وذلك بعد أيام كما في الأخبار الطوال، وفي الطبري بعد أربعين ليلة.

(٧) في الطبري ٥ / ٥٢٢ مئة من الأزد.

عبيد الله بن زياد حتى يلحقوه بالشام. قال: فخرج عبيد الله بن زياد في جوف الليل مع جماعة من خاصته وغلمانه وحشمه ومعه هؤلاء الثلاثون رجلا، فساروا حتى أصبحوا على مرحلتين من البصرة، واستقام لهم الطريق فساروا وجعل عبيد الله بن زياد – لعنه الله – يفكر في أمره، فقال له بعض من كان معه (١): أيها الأمير! إني أراك مفكرا وكأن قد علمت فيما تفكر. فقال عبيد الله بن زياد: وما ذلك؟ فقال: إن فكرت فقلت يا ليتني لم أقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وليتني لم أبن داري البيضاء والحمراء (٢) وليتني لم أستعمل الدهاقين على كور البصرة (٣)! فقال ابن زياد – لعنه الله –: لا والله ما أصبت! أما الحسين بن علي – رحمه الله – فإنه صار إلى
أهل العراق يريد قتلي فاخترت أن أقتله، وأما داري الحمراء والبيضاء فإني أنفقت عليهما مالي الذي وصلني به يزيد (٤)، وأما الدهاقين فإني استعملتهم برضاء أهل البصرة، ولكنني كنت أفكر يا ليتني كنت قتلت أولئك القوم الذين قدموا من عند عبد الله بن الزبير، فإني أعلم أنهم هم فراعنة أهل البصرة، وسيكون لهم نبأ (٥).
وبلغ ذلك أهل البصرة أن مسعود بن عمرو الأزدي هو الذي أجار عبيد الله بن زياد، فجاؤوا إليه ودخلوا عليه فقتلوه في جوف الليل ونبهوا ماله (٦).
قال: وسار عبيد الله بن زياد – لعنه الله – حتى صار إلى الشام، وبلغ ذلك سلم (٧) بن زياد وهو يومئذ بخراسان بمدينة مرثي كما ولاه يزيد بن معاوية من قبل، وكان أيضا لا يصدق موت يزيد، غير أنه قعد في منزله وأغلق بابه، واحتجب عن الناس، فبعث إليه شاعره حنظلة بن قيس بن عروة التميمي (٨) بهذه الأبيات:

---

(١) وهو رجل من بني يشكر، اكتراه مسعود ليهدي ابن زياد ومن معه على الطريق.
(٢) كذا، وتكرر ذكر الحمراء ولم نجدها. وفي الطبري ٥ / ٥٢٢: ليتني لم أكن بنيت البيضاء. وفي الأخبار الطوال: القصر الأبيض.
(٣) الأصل والطبري، ومكانها في الأخبار الطوال: وندمت على ما كان من قتلك الخوارج من أهل البصرة على الظنة والتوهم.
وزيد في الطبري: تقول: ليتني كنت أسخى مما كنت.
(٤) بالأصل: " معاوية بن يزيد " خطأ وما أثبت عن الطبري.
(٥) انظر ما ورد هنا في الطبري ٥ / ٥٢٣ والأخبار الطوال ص ٢٨٥ والإمامة والسياسة ٢ / ٣٠.
(٦) انظر خبر مقتل مسعود بن عمرو في الطبري ٥ / ٥١٧.
(٧) بالأصل: مسلم.
(٨) كذا، وفي الطبري ٥ / ٥٤٥ حنظلة بن عرادة، وقد مر خبره لما عين يزيد بن معاوية سلم على خراسان وتوجه إلى البصرة يختار من رجالها، فاختاره معه. وانظر ابن الأثير ٢ / ٦٢٢.

يا أيها الرجل المغلق بابه * حدثت أمور (٢) شأنهن عظيم
حدثت أمور (٣) في أمية جمة * ويزيد أعلن شأنه المكتوم
طرقت منيته وعند وساده * عود وزق راعف مرثوم (٤)
ومرنة تبكي (٥) على نشوانه * بالصنج (٦) تقعد ساعة وتقوم
فلئن رضيت لترضين عشيرتي * ولئن غضبت لتغضبن تميم

قال: فعندها علم سلم (٧) بن زياد أن يزيد بن معاوية قد مات، فتجهز وخرج يريد بلاد الشام، وخلف المهلب بن أبي صفرة على بلاد خراسان. وخرج يريد الشام ومعه مال جزيل يزيد على خمسمائة ألف دينار، فلما صار في بعض الطريق استقبله عبد الله بن خازم السلمي فقال: إلى أين يا عدو الله؟ إلى أين يا بن مرجانة؟ إلى أين يا بن عبد بني علاج؟ غصبت أهل خراسان أموالهم فكلت وادخرت ولبست وركبت، ثم حملت أموال خراسان تريد الشام، والله يا عدو الله لا تفارقني أو آخذ جميع ما معك وأجعلك صفرا. قال: ولم تزل الرسل بينهم إلى أن صالحه على نصف ما معه وأطلقه (٨)، ومضى سلم (٩) بن زياد إلى الشام وتغلب ابن خازم على بلاد خراسان، فأخذها وجعل يدعو لعبد الله بن الزبير.

قال: وخرج عليه رجل من أهل خراسان يقال له بكير بن وشاح التميمي، فمع هذا جيش ومع هذا جيش، فلم يزالا يقتتلان مدة من المدد إلى أن قتل عبد الله بن خازم واحتوى بكير بن وشاح على بلاد خراسان.

ثم رجعنا إلى أخبار الشام

قال: وأهل الشام يومئذ في أمر عظيم من الاختلاف، فقوم يؤمون إلى

---

(١) الطبري وابن الأثير: الملك.
(٢) بالأصل: أمورا وما أثبت عن الطبري.
(٣) بالأصل: أمورا. وصدره في المصدرين: " قتلى بجنزة والذين بكابل " وفي ابن الأثير: قتلى بحرة.
(٤) عن الطبري وبالأصل " مكتوم ".
(٥) عن المصدرين وبالأصل " ومر به يبكي ".
(٦) عن الطبري، وبالأصل وابن الأثير: بالصبح.
(٧) الأصل: مسلم.
(٨) في الطبري ٥ / ٥٤٦ كتب لعبد الله بن خازم عهدا على خراسان وأعانه بمئة ألف درهم.
(٩) الأصل: مسلم.

عبد الله بن الزبير، وقوم يؤمون إلى خالد بن يزيد بن معاوية، وقوم إلى الضحاك بن قيس الفهري، وآخرون يؤمون إلى مروان بن الحكم (١).
قال: واجتمع الناس إلى الضحاك بن قيس الفهري (٢)، وأرسل مروان بن الحكم إلى روح بن زنباع الجذامي فقال له: أشر علي برأيك! فقال: أشير عليك أن تطلب هذا الأمر لنفسك، فإنك اليوم شيخ كبير بني أمية، وأنت ابن عم أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وأنت أحق بهذا الأمر من الضحاك بن قيس. قال:

---

(١) كان موت يزيد بن معاوية وارتباك الأسرة الأموية في معالجة النتائج السلبية التي انعكست عليها عاملا دعم موقف وسياسة ابن الزبير الذي خرج منتصرا من هزيمة عسكرية محققة وامتد نفوذه وانتشر، هذا الانتشار زاد في إرباك القيادات الأموية حتى أن مروان بن الحكم نفسه فكر في أن يلحق به وينضاف إلى جملته (مروج الذهب) ونرى ذلك واضحا عند قدوم الحصين بن نمير الشام حيث قال لمروان ولبني أمية: نراكم في اختلاط شديد فأقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شامكم.
وجاء بعد وقت قصير جدا الاختفاء الغامض لمعاوية بن يزيد ليزيد أزمة الأسرة الأموية خطورة ويفتح الصراعات بين الأجنحة الممثلة للسلطة الأموية على مختلف الاتجاهات ويضع الجميع على مفترق مصيري، حيث الفراغ في السلطة المركزية يقابله تمدد نفوذ وسلطة ابن الزبير.
أمام هذا الواقع الأزمة، وأمام هذه الفتنة العمياء الصماء المرتقبة برز اتجاهان تجاذبا الصراع على النفوذ بعد ما تمزقت الجبهة الأموية نتيجة الصراعات القديمة الجديدة بين الأجنحة القبلية التي كانت تقوم عليها - وترتكز - السلطة المركزية الأموية السفيانية وتجلى هذا الصراع بين أجنحة ثلاثة كل منها يعمل لإيصال مرشحه للخلافة:
- جناح خالد بن يزيد بن معاوية ممثل الشرعية السفيانية.
- جناح مروان بن الحكم، شيخ بني العاص، والذي طرح مرشحه كمرشح تسوية أو إجماع.
- جماح عمرو بن سعيد (الأشدق) وكان الأضعف في مواجهة التيارين الآخرين.
كان هذا الصراع بين أجنحة الاتجاه اليمني - الكلبي.
وأما الاتجاه القيسي وبعد أن رأى تماسك الاتجاه الأول وحرصه على المحافظة على المعادلة التقليدية في الشام، تطلع إلى ابن الزبير وتحالف معه. وفي الاجتماع اليمني الذي عقد في الجابية جرت التسوية بين أجنحة هذا الإتجاة الثلاثة فطرح مروان كمرشح تسوية على أن يكون خالد بن يزيد وليا للعهد فضلا عن تعيينه أميرا على حمص، وأعطيت للقطب الثالث عمرو بن سعيد ولاية عهد خالد وإمارة دمشق (انظر تفاصيل وافية أوردها د. إبراهيم بيضون في كتابه تكون الاتجاهات السياسية في الإسلام الأول ص ٢١١ وما بعدها ومروج الذهب ٣ / ١٠٣). واشترط حسان بن بحدل - وكان رئيس قحطان وسيدها بالشام - ما كان لهم من الشروط على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية منها: أن يفرض لهم لألفي رجل ألفين ألفين، وإن مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه، وعلى أن يكون لهم الأمر والنهي وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأي منهم ومشورة. فأجابه مروان إلى ما سأل (مروج الذهب ٣ / ١٠٤).
(٢) في الطبري ٥ / ٥٣٠ بايعه أهل دمشق على أن يصلي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع أمر أمة محمد.

فعندها جعل مروان يجمع الناس حتى صار إليه ثمانية عشر ألفا أكثرهم جماعة اليمن، وفي ذلك يقول مروان بن الحكم حيث يقول:

أعددت غسان لهم وكلبا * والسكسكيين رجالا غلبا
لا يأخذون الملك إلا غصبا * بالطعن أحيانا وحينا ضربا (١)

قال: والضحاك يومئذ في نيف وعشرين ألفا أكثرهم قبائل قيس بن غيلان. ثم إنه بعث إلى النعمان بن بشير، والنعمان يومئذ بمدينة حمص، قد كان ولاه يزيد بن معاوية قبل موته. قال: فكتب إليه الضحاك بن قيس يسأله المدد، فأمده النعمان بن بشير بألفي رجل، فصار الضحاك في اثنين وعشرين ألفا. قال: وتواعد القوم للقتال (٢)، فأنشأ رجل من أصحاب مروان يقول في ذلك:

أرى عسكرا جمعا لسفك دمائنا * وعما قليل لا نشك محارب
وأشهدكم أني لمروان سامع * مطيع وللضحاك عاص مجانب
إمامان أما واحد فعلى الهدى * وآخر بدعو للضلالة كاذب
فلا بد من حرب يفرق جمعنا * يثلم فيها المرهفات القواضب

قال: ثم دنا القوم بعضهم من بعض، قال: فكان وقعتهم بموضع يقال له مرج راهط (٣) إلى جانب زراعة (٤) الضحاك بن قيس، والزراعة يقال لها

---

(١) وردت أرجاز مروان بن الحكم حين بويع له في الطبري ٥ / ٥٢٨ وابن الأثير ٢ / ٦١٨ ومروج الذهب ٣ / ١٠٥.

(٢) أشرنا إلى أن الصراع قد فتح على مصراعيه بين الأجنحة القبلية الداعمة للأمويين وحدث من ذلك تحرك العصبية فكانت مرج راهط بين العصبتين القيسية الممثلة بالتحالف بين الضحاك وابن الزبير والقبائل المنضوية تحت لواء الضحاك واليمينية التي تمثلت في الأجنحة المتحالفة بزعامة مروان بن الحكم.

وكان من أبرز نتائج هذه المعركة:

- انهزام الخط الزبيري الذي أخفق في الاستقطاب القبلي.
- استمرارية النظام الأموي عبر مرحلة انتقالية تمثلها خلافة مروان بن الحكم على أن تعود الخلافة للبيت السفياني ممثلا بخالد بن يزيد (حسب الاتفاق الذي جرى بين أجنحة النظام الأموي - انظر ما لاحظناه قريبا) لكن مروان بن الحكم عمد إلى خرق هذا الاتفاق - من خلال تزوجه بأم خالد بن يزيد ليحط من قدره ويضعفه ثم مبادرته بعد ذلك إلى تعيين ولديه لولاية العهد مطوقا أية محاولة في المستقبل لانتزاع السلطة من بيت بني العاص أو بني مروان.

(٣) على أميال من دمشق (مروج الذهب).

(٤) بالأصل " ذراعة " وما أثبت عن معجم البلدان.

جوبر (١)، وقد ذكر ذلك بعض العرب (٢) في قصيدة له حيث يقول:

إذا فاخر القيسي فاذكر بلاءه * بزراعة الضحاك شرقي جوبرا

قال: فاقتتل القوم هناك قتالا شديدا، فقتل الضحاك بن قيس وقتل عامة أصحابه، وانهزم الباقون، واستأمر عامتهم إلى مروان بن الحكم فبايعه الناس بموضع يقال له دير أيوب (٣)، فدخل مروان إلى دمشق فاستوسق له الأمر. فكتب إلى النعمان بن بشير: أما بعد فقد بلغني ما كان من معونتك للضحاك بن قيس، وقد قتل الله الضحاك وشيعته وأمكن منهم، وقد استقر الأمر قراره، فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فزوج ابنتك عمرة من ابني عبد الملك، وادخل في طاعتي، وادع لي هنالك بالخلافة على منبر حمص، فإذا فعلت ذلك محوت ما كان منك إلي من خطيئتك، وإن أنت تربصت أو ارتبت بعثت إليك من يقتلك ويأخذ ابنتك غصبا - والسلام -.

قال: فلما ورد كتاب مروان على النعمان بن بشير وقرأه جعل يقول لمن عنده: ما كنت أدخل في طاعة مروان الطريد ابن الطريد، ولا أزوج ابنتي من ابنه! ثم تجهز وخرج من حمص يريد مكة إلى عبد الله بن الزبير يريد أن يبايعه ويكون معه، وبلغ ذلك مروان بن الحكم فوجه إليه رجلا (٤) يقال له عبد الرحمن بن الخلي (٥) فقال له: سر

فأينما رأيت النعمان فجئني به أسيرا، فإن تأبى عليك فاضرب عنقه وأتني برأسه!

قال: فسار عبد الرحمن يريد إلى حمص، فلما دخلها سأل عن النعمان بن بشير، فخبر أنه رحل عنها، فسار عبد الرحمن في طلبه، فلحقه في بعض المنازل، فقتله واحتز رأسه، واحتوى على قليله وكثيره، وجاء بالرأس حتى وضعه بين يدي مروان بن الحكم. فلما أتته عمرة فلا ندري تزوجت بعبد الملك أم لا - والله أعلم - (٦).

---

(١) جوبر قرية بالغوطة من دمشق، وقيل نهر بها.

(٢) هو عمرو بن مخلاة الكلبي (معجم البلدان " زراعة ").

(٣) دير أيوب: قرية بحوران من نواحي دمشق.

(٤) في الأصل: رجل.

(٥) في الطبري عمرو بن الخلي وفي ابن الأثير: عمرو بن الجلي. وفي مروج الذهب ٣ / ١٠٦ خالد بن عدي الكلاعي اتبعه فيمن خف معه من أهل حمص فلحقه وقتله وبعث برأسه إلى مروان. وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٦ تبعه قوم من حمير وباهلة فقتلوه في البرية واحتزوا رأسه.

(٦) في الأخبار الطوال ص ٣٠٩ أن عمرة بنت النعمان بن بشير كانت زوجة المختار بن أبي عبيد.

قال: وأقام مروان في خلافته تسعة أشهر ومات (١)، وصار الأمر من بعده إلى ابنه عبد الملك بن مروان، وبكير بن الوشاح يومئذ على بلاد خراسان ضابطا لها معينا عليها، فلما بلغه أن الأمر صار إلى عبد الملك بن مروان جعل يدعو له بخراسان، وعبد الله بن الزبير يومئذ بالحجاز وقد بايعه أهل الحجاز وأهل البصرة وأهل الكوفة، وعامله بالبصرة عبد الله بن حارث بن نوفل النوفلي.

---

(١) في سبب موته أقوال منها أن امرأته أم خالد سقته السم فلما أحس بالموت جمع بني أمية وأشراف أهل الشام فبايع لابنه عبد الملك (الأخبار الطوال ص ٢٨٥) وفي مروج الذهب ٣ / ١٠٧ وضعت على نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات. وقيل: أعدت له لبنا مسموما. وانظر ابن الأثير ٢ / ٦٤٧ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٧ والإمامة والسياسة ٢ / ٢٣ والبداية والنهاية ٨ / ٢٨٢.
ومات في شهر رمضان سنة ٦٥ بدمشق.